"مجلـــــــــــة جامعـــــــــــة الحضـــــــــــارة للبحـــــــــوث التطبيقيـــــــــــة والإنســـــــــانية"

مجلة علمية محكمة ، نصف سنويّة تصدر عن جامعة الحضارة باللّغتين العربية والإنجليزية

العدد الحادي عشر (أغسطس) 2026م

الرّقم القانونيّ 1286/2019م

الترقيم الدولي : *ISSN: 2710-2181 219-2710*

عناوين المجلة

ترسل البحوث والمراسلات إلى مجلة جامعة الحضارة للعلوم التّطبيقيّة والإنسانيّة على العنوان الآتي:

- الجمهورية اليمنيّة – صنعاء- جامعة الحضارة، شارع حده جوار مركز المدينة للرياضة.
- هاتف :774707977
- إيميل cujahs.ye@gmail.com

الإشراف العام

أ.د. عبدالحميد عبدالهادي السعدون

أ. د. سعد عبدالحسين العتابي

أ. د. دايخ عبد علي عبود

هيئة التحرير

ا. د. دايخ عبد علي عبود رئيس التحرير

أ. د. سعد عبدالحسين العتابي نائبًا

أ.د. انتصار حسن جويد مدير التحرير

أعضاء هيئة تحرير المجلة:

أ.د. أحمد خالد عبدالرحيم صالح

أ.د. بدر عبدالرزاق طالب إسماعيل

أ.م. د. محمد حسين سلام مسعود

أ.م.د. ناظم محمد نعمان سلام (نائب مدير التحرير)

أ.م.د. جلال حمود عبدالله القدسي

أ.م.د. وضاح الحاج

أ.د. منير عبدالله سعيد المخلافي

د. لمياء أنور كامل يعقوب

د. عبد التواب القدسي

أعضاء الهيئة الاستشارية:

أ.د. حسين بن عبدالله العمري اليمن.

أ.د. عبدالوهاب إسماعيل محمد الخولاني اليمن.

أ.د نعمان أحمد علي فيروز اليمن

أ.م. د. أمل عبد المعز الحميري اليمن

أ.د. طارق عبدالرؤوف محمد عامر مصر.

أ.د. أحمد محمد القطبة اليمن.

أ.د. مالك إبراهيم صالح الدليمي العراق.

أ.د. عبدالعزيز إبراهيم مناضل المغرب.

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد السودان.

أ.م.د. سمير عبدالعزيز الرميمه اليمن.

أ.م.د. علي أحمد محمد غزوان اليمن.

التدقيق والمراجعات اللغوية : أ.د عبد الله راجحي غانم (عربي) د. كمال أبو هادي (إنجليزي)

سكرتارية التحرير: أ. نجوى حسن الحسني

تصميم الغلاف: أ. زكريا محمد أحمد الأحمدي

طُبع في: مركز الراقي (01 205042)

تنسيق وإخراج: ماجد الذبحاني (706 233 775)

قواعد النشر بالمجلة

- لغة النشر (العربية والإنجليزية).
- ألّا يكون البحث قد سبق نشره أو تقديمه للنشر في مجلة علمية أخرى وأن يتسم بالأصالة والموضوعية مع شمول الأثر المعرفي وسلامة المنهجية.
- تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة (العليا، السفلى، اليمني، اليسرى) 3سم، والمسافة بين الأسطر مفردة (single space) .
- الكلمات الدالة للبحث (كلمات مفتاحية keywords) تكتب بحجم خط 10 أسفل الخلاصة شريطة ألا تزيد عن خمس كلمات، غير موجودة في عنوان البحث، تعبر عن المجالات التي يتناولها البحث (خاص بالأبحاث العلمية) .
- يكون نوع الخط في المتن للبحوث باللغة العربية (Simplified Arabic) بحجم 13وللبحوث باللغة الإنجليزية (Time New Roman) وبحجم (11)، يكون حجم خط عنوان البحث (16).
- ترتب الجداول والأشكال (أو البيانات والخرائط) بحسب تسلسل ورودها في البحث وتضمُّ عنوانا مختصرا يكتب أعلى الجدول، أمَّا في الأشكال فيكتب أسفل الشكل، وبحجم خط (11) للبحوث باللغة العربية و(10) للبحوث الإنجليزية.
- تُوثَّق المصادر والمراجع العربية بالطريقة العلمية المتعارف عليها في أبحاث العلوم الإنسانية، حيث يذكر الاسم الأخير لصاحب المرجع وسنة النشر ورقم الصفحة (الصالح، 2010م، ص130).
- تُرتَّب المصادر هجائيا، وتبدأ كتابة المصادر باسم الباحث (الباحثين)، ثم السنة، وعنوان البحث، فاسم المجلة، ورقم المجلد، وأرقام الصفحات، وإذا كان المصدر كتابا تُذكر المعلومات نفسها، وبالترتيب ذاته، مع ذكر جهة النشر ومكانها.
- الخلاصة (Summary)أو المستخلص Abstract: تكتب باللغتين العربية والإنجليزية للبحوث العلمية والإنسانية، ويكون حجم الخط (12) وأن لا تزيد عدد كلماتها عن (200) كلمة.
- يُشترط ألا تزيد عدد صفحات البحث عن 30 صفحة شاملة الجداول والأشكال والمراجع وغيرها للأبحاث الإنسانية و15 صفحة في العلوم التطبيقية وأن يشمل ذلك مُلَخَّص البحث.
- تُسلَّم ثلاث نسخ ورقية من البحثA4 على أن لا تقل المسافة بين الأسطر عن سطر ونصف فضلا عن نسخة word ونسخة pdf على قرص مدمج CD.
- ترحب المجلة بنشر ما يصل إليها من مُلَخَّصات الرسائل الجامعية التي نوقشت وأجيزت في حقول العلوم التطبيقية والإنسانية، على أن يكون المُلَخَّص من إعداد صاحب الرسالة نفسه وأن لا يتعدى الـ 5 صفحات، وكذلك عروض الكتب ومُلَخَّصات المؤتمرات والندوات العلمية.

- يـرفق مـع البحـث مُلَخَّـص السيـرة الذاتيـة للباحـث تتضـمن سيـرته العلميـة، اسـمه ولقبـه وجامعته والكلية والقسم وأهم مؤلفاته ومشاركاته العلمية والعناوين وأرقام التواصل.
- تخضع جميع البحوث المُقدَّمة إلى التحكيم من قبل متخصصين ذوي خبرة علمية ومكانة أكاديمية متميزة.
- يبلغ رئيس التحرير مؤلف البحث بصلاحية البحث أو عدم صلاحيته للنشر بأسرع وقت ممكن.
- لا تُنشر البحوث إلا بعد إجراء التعديلات المطلوبة بحسب آراء الأساتذة المحكَّمين وتُسلّم نسخة ورقية نهائية من البحث، فضلاً عن نسخة إليكترونية على قرص مدمج أو إيميل بالبريد الإليكتروني في موعد أقصاه خمسة عشر يوما.

تكاليف نشر الأبحاث في المجلة هي كالآتي:

أولاً: - بالنسبة للناشر (من داخل الجامعة)

- الباحثين وطلاب الدراسات العليا وأساتذة الجامعة: مبلغ 15000 ريال يمني.

ثانيا: - بالنسبة للناشر الخارجي (من خارج الجامعة)

- الباحثين وطلاب الدراسات العليا وأساتذة الجامعات اليمنية الأخرى: مبلغ 25000 ريال يمني.
- الباحثين وطلاب الدراسات العليا وأساتذة الجامعات من خارج اليمن: مبلغ 150$.

المواد المنشورة بالمجلة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة



كلمة رئيس مجلس الأمناء

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين...

أمّا بعد:

تتجدد إطلالتنا مع كل عدد من أعداد مجلتنا: مجلة جامعة الحضارة، وهذه واحدة من إطلالاتنا التي جاءت مع العدد الحادي عشر 2026/ 1447هـ، ولعل ما يميز هذا العدد هو تعدد أبحاثه وتنوعها، إذ شمل مساحة عملية شاسعة، فجاءت متنوعة في أنواعها متعددة في مجالاتها . وستبقى مجلتنا مقصدا وملاذًا وخيارًا نوعيا للباحثين الذين يتخيرون لأبحاثهم أفضل المجلات وأصدقها؛ فالمعرفة لم تعد تقف عند حدود الكم بقدر ما هو التركيز على الكيف، وستظل مجلتنا تحرص على التجدد والمصداقية، وسنظل نسعى ما وسعنا الجهد، للرقي بها إلى أعلى المراتب. ولعل خير شاهد على هذا التوجه أن كل عدد من مجلتنا يبدأ من حيث انتهينا في العدد الذي قبله، فغايتنا هي أن تصبح مجلتنا رقما له حساب، وقيمة علمية تحظى باحترام الباحثين وتقديرهم. ونحن على ثقة كبير بكوادرنا المؤهلة التي تقوم على هذه المجلة، وكذلك هي ثقنا في الإخوة الباحثين الذين يشاركونا النجاح والتميز، وستظل أبحاثهم نقطة فارقة في فضاء هذه المجلة، وسنظل نعم العون ونعم السند.

والله الموفق،

د. عبد الحميد السعدون

رئيس مجلس الأمناء



كلمة رئيس التحرير

افتتاحية العدد الحادي عشر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وله الفضل والحمد والمنة، فقد خرج العدد الحادي عشر من مجلة جامعة الحضارة للعلوم الإنسانية والتطبيقية، بحلته الجديدة، وفي موعده المحدد. كما ظهر هذا العدد وقد تحقق للمجلة إضافات نوعية تمثلت في كونها أصبحت قد حصلت على معامل التأثير (2.35) للعام 2025، إضافة إلى ما تحقق لها من إنجازات تجعل منها مجلة معتمدة لدى جهات عدة. وأمّا العدد الحادي عشر، فقد ضم بين دفتيه أبحاث متميزة في مادتها، متنوعة في مجالاتها؛ ولا شك أن لهذا التنوع دلالاته، التي تشير بوضح إلى ثقة الباحثين في مجلتنا التي وجدوا فيها المصداقية والانضباط، فكانت ملاذًا لأبحاثهم يطلون من خلالها على عوالم المعرفة، وإننا لنعاهد إخوتنا وأبناءنا الباحثين أننا لن نتوانى أو نقصر في بذل أقصى جهودنا، وسنظل نمد إليهم أيدينا ونسخر لهم كل إمكانياتنا وقدراتنا؛ لنخطو بمجلتنا إلى أبعد مدى نستطيع الوصول إليه، وإن طموحاتنا لا حدود لها، ولن ندخر جهدا في الوصول بمجلتنا إلى أبعد الغايات؛ تلبية لطموحات الباحثين عن التميز ، ولن تكون مجلتنا بعيدة عن هذا؛ لتكون واحدة من أهم المجلات التي يتنافس الباحثون لنشر أبحاثهم فيها. وإننا لعلى ثقة تامة أن جهودنا وحدها لن تكون كافية، فنحن في حاجة لأن يشاركنا الباحثون آمالنا وطموحاتنا من خلال رفد مجلتنا بالأبحاث الرصينة والمتميزة، التي ى تسهم في تقديم المعرفة والوصول إلى كل ما هو جديد، وسيظل التناغم بيننا قائما لنصل إلى ما نصبوا إليه.

والله من وراء القصد

أ. د. دايخ عبد علي عبود

رئيس هيئة التحرير

قائمة المحتويات

دور موسم الحج في تعزيز التواصل العلمي والثقافي في عصر الدولة الرسولية	أ.د عبد الغني أحمد علي الحاوري	9
تأثير إنترنت الأشياء (IoT) في الموارد البشرية (HR): دراسة تطبيقية مع تحليل الدور الوسيط لجودة المعلومات والاتصالات	د. عبدالتواب القدسي د. خالد أحمد المسوري	43
مهددات البنية الاجتماعية والاقتصادية في دارفور (القرن العشرين - الواحد والعشرين)	د. حنان عبد الرحمن عبدالله التجاني	63
الحاجب المنصور ودوره في عصر الخلافة الأموية في الأندلس (329 – 392هـ / 940–1002م) (دراسة تحليلية)	د. حامد إبراهيم الأحيدب قادم	81
تشكل الصورة وألفاظ الطبيعة في شعر أبي تمام	د. أحمد عبدالرحمن الشميري	105
ظاهرة أطفال الشوارع: التعريف، الأسباب، الآثار والمعالجات	د. إيناس فرحان محمد الزهيري	139
منهج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرحمة بالمخالفين، دراسة تطبيقية من السنة النبوية	د. عبد اللّطيف أحمد يعقوب محمّد	165
Low-Cost Production of Sucrose Fatty Acid Esters from Sugarcane Molasses Using a Non-Aqueous Chemical Process	Daiekh A. A. Abod, Ali B. AL-Zubaidy Olla Sharhan,	191
Seroprevalence of Anti- Rubella Antibody Among Pregnant Women in Al-Turbah City Taiz Governorate, Yemen.	Al-Zubiery, et al	221

دور موسم الحج في تعزيز التواصل العلمي والثقافي في عصر الدولة الرسولية

أ.د عبد الغني أحمد علي الحاوري[1]

الملخص:

سعت الدراسة إلى تسليط الضوء على الدور الذي يقوم به موسم الحج في تعزيز التواصل العلمي والثقافي في عصر الدولة الرسولية، ولتحقيق ذلك تم استخدام ثلاثة مناهج الأول: المنهج التاريخي؛ للاطلاع على المصادر والمراجع التاريخية التي وثقت لعملية التواصل العلمي في العصر الرسولي، والثاني: المنهج الوصفي التحليلي لوصف العلاقة بين موسم الحج وبين الحراك العلمي والثقافي الذي تم خلال فترة الدولة الرسولية، أما الثالث فهو المنهج المقارن لإجراء المقارنة في بعض جوانب النهضة العلمية أيام الحضارة الاسلامية، ومن أبرز النتائج التي تم التوصل إليها: شهدت اليمن أيام الدولة الرسولية ازدهارًا علميًا وثقافيًا ملحوظًا، تجلى ذلك في اهتمام السلاطين والأمراء والتجار بتشجيع العلم والعلماء ولم يكن ذلك الاهتمام مقتصرًا على تشجيع العلم والعلماء فحسب؛ وإنما مشاركة السلاطين في التأليف الذي هو الأخر لم يكن قاصرًا على أحد السلاطين وإنما ظهرت سلالة جمعت بين رعاية العلم والتأليف ليس في العلوم الشرعية فحسب بل في الطب والزراعة والرياضيات والفلك وغيرها، كما أكدت النتائج أن الحج ساهم في بناء النهضة العلمية والحضارية في اليمن، ومثل نقطة التقاء وتواصل للعلماء من اليمن وبقية البلدان الإسلامية، وقد برز العديد من العلماء اليمنيين وغير اليمنيين الذين كان لهم دور فاعل في عملية التواصل العلمي والاحتكاك الثقافي.

الكلمات المفتاحية: موسم الحج، التواصل العلمي والثقافي، الدولة الرسولية، السلاطين الرسوليين.

[1] أستاذ أصول التربية جامعة صنعاء

Alhaweri555@gmail.com

The Role of the Hajj Season in Enhancing Scientific and Cultural Exchange during the Rasulid Era

Abstract:

The study aimed to highlight the role of the Hajj season in enhancing scientific and cultural communication during the Rasulid Dynasty era. To achieve this, three methodologies were employed: first, the historical method to review the sources and references that documented the process of scientific communication during the Rasulid era; second the descriptive-analytical method to describe the relationship between the Hajj season and the scientific and cultural activity that took place during the Rasulid period; and thirdly, the comparative method to draw comparisons between aspects of the scientific renaissance during the Islamic civilization. Among the most prominent findings of the study: Yemen witnessed a remarkable scientific and cultural flourishing during the Rasulid era, evident in the attention given by sultans, princes, and merchants to promote science and support scientists. This attention was not limited to patronizing science and scholars; rather, it extended to the authorship of the sultans themselves. Moreover, this authorship was not confined to a single sultan but was a dynastic tradition, encompassing not only religious sciences but also medicine, agriculture, mathematics, astronomy, and other fields. The findings also confirmed that the Hajj contributed to building the scientific and civilizational renaissance in Yemen and served as a meeting point and a means of communication for scholars from Yemen and other Islamic countries. Consequently, numerous Yemeni and non-Yemeni scholars emerged who played an active role in the process of scientific communication and cultural interaction.

Keywords: Hajj season, scientific and cultural communication, Rasulid Dynasty, Rasulid sultans.

المقدمة:

الحج ليس شعيرة دينية فحسب؛ بل هو ملتقى علمي ومنتدى ثقافي يجمع العلماء من مختلف البلدان العربية والإسلامية، وهو محطة لتبادل الأفكار والتزود بالمعارف، وقد شهد الحج العديد من اللقاءات العلمية والنقاشات الفكرية وتبادل المخطوطات والكتب، وكان العلماء والباحثين يستغلون هذه المواسم للتباحث في مختلف المسائل والعلوم، وقد أسهمت المناظرات العلمية التي كانت تجري بين العلماء في تطوير العلوم وتبادل الأفكار، وتعزيز التواصل بين المدارس الفكرية في أرجاء العالم الإسلامي، الأمر الذي عُد الحج جسر لنقل المعارف وتطوير العلوم، وتداول الجديد.

وتعد الدولة الرسولية• من أهم الدول التي كان لها شرف الاهتمام بالعلم وتشجيع العلوم في مختلف المجالات، ليس على مستوى اليمن فقط؛ وإنما على مستوى العالم الإسلامي مما أهلها لتكون مركزًا علميًا تصبو إليه الأفئدة، ويسافر إليها العلماء من كل أقطار العالم العربي والإسلامي، وقد اهتم سلاطين الدولة الرسولية ببناء المدارس وتشجيع العلماء على البحث والتأليف. وتقديم الرعاية الكاملة، بل واستقطابهم من مختلف الأقطار العربية والإسلامية، وتعيينهم في مناصب رفيعة، كما اهتموا بجمع المخطوطات والكتب النادرة، ونشرها بين الناس. بالإضافة إلى ذلك، فقد شجعوا العلماء على المشاركة في مواسم الحج على اعتبار أن موسم الحج فرصة ثمينة لتعزيز التواصل العلمي بين علماء اليمن والعلماء من مختلف البلدان الإسلامية.

وقد ازدهرت الحركة العلمية في عهد الدولة الرسولية في شتى مجالات العلم، وبرز الكثير من العلماء الذين صنفوا مصنفات قيمة، وشاركهم في ذلك ملوك الدولة الرسولية الذين كانت لهم إسهامات عظيمة في التأليف والإنتاج العلمي ليس في الجوانب الشرعية واللغوية فقط؛ وإنما في المجالات التطبيقية مثل الحساب والطب والزراعة والبيطرة والفلك وغيرها من العلوم.

ولم يقتصر اهتمام السلاطين الرسوليين بعلماء اليمن؛ وإنما طال العلماء الوافدين إلى اليمن

• قامت الدولة الرسولية في اليمن خلال الفترة (626-858هـ/ 1229-1454م)، وقد أسسها المنصور عمر بن علي بن رسول الذي دخل اليمن مع جيش الدولة الأيوبية التي حكمت اليمن لمدة 57 عامًا منذ (569-626هـ/ 1173-1229م) وقد عين الأيوبيين عمر بن رسول واليًا على زبيد، وبعد انحسار النفوذ الأيوبي في اليمن بسبب انشغالهم في مصر والشام استقل بحكم اليمن، وأعلن نفسه سلطانًا على اليمن مؤسسًا بذلك الدولة الرسولية.

أمثال محمد بن يعقوب الفيروز أبادي• (ت817هـ/ 1414م) الذي اهتم به السلطان الأشرف الثاني••[1] وأنزله منزلة تليق بمقامه وانعم عليه العطايا وقلده منصب القضاء العام باليمن (الخزرجي، 1814، ص229). ومن قدم إلى اليمن في فترة الدولة الرسولية الرحالة ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت 779هـ/ 1377م)، وقد دون مشاهداته وانطباعاته عن بعض المدن اليمنية ومنها زبيد في رسالته المشهورة (ابن بطوطة، 1985، ص272).

ويُعرف التواصل العلمي بأنه " عملية تبادل للمعرفة والأفكار والمعلومات بين العلماء والباحثين عبر وسائط مباشرة وغير مباشرة بهدف نشرها وتطويرها وتعزيز التراكم العلمي" (الدوري، 2016، 145)، وهو " نظام اجتماعي ثقافي يتم من خلال تداول المعارف وتطويرها في إطار من التفاعل المستمر بين العلماء والمجتمعات" (الجابري، 1986، ص55)، أما التواصل الثقافي فهو " تبادل الرموز والأفكار والقيم والعادات بين الشعوب أو الجماعات مما يؤدي إلى إثراء المشهد الثقافي، وإيجاد قواسم مشتركة أو تأثيرات متبادلة" (هول، 2001، ص74)، وهو" محصلة العمليات التي تتم من خلال انتقال الثقافة والجماعات سواءً عبر الاحتكاك المباشر أو عبر الوسائط كالكتب والرحلات والأسواق" (حسين، 1967، ص33).

وباستقراء الأدب السابق يتبين أن هناك العديد من الدراسات السابقة التي اهتمت بدراسة الموضوع من جوانب متعددة، منها دراسة أحمد (1994) التي كشفت عن الدور الكبير للسلاطين الرسوليين في تطوير الحركة العلمية في تعز♦ من خلال الهبات والعطايا المقدمة للعلماء، وأشارت النتائج إلى مساهمة المدارس العلمية والأربطة ودور الأيتام في ازدهار الحركة العلمية، كما كشفت عن الإنتاج العلمي لعلماء تعز الذي لم يقتصر على العلوم الشرعية وعلوم اللغة؛ وإنما توسع ليشمل

••• هو مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي من أعلام اللغة والمعاجم، ولد في شيراز ورحل في طلب العلم إلى مصر والشام والحجاز واليمن، ثم استقر به المقام في مدينة زبيد ومن أشهر مؤلفاته القاموس المحيط.

[1]•• هو الأشرف إسماعيل الثاني بن الأفضل العباس حكم خلال الفترة (877-803هـ/ 1376-1400م).

♦♦♦ اتخذ السلاطين الرسوليين مدينة تعز عاصمة سياسية وإدارية لهم، وقد أصبحت مركزًا ثقافيًا وحضاريًا بارزًا، جمعت بين الوظائف السياسية والإدارية والعلمية، وشيدت فيها المدارس والمراكز العلمية، واحتضنت العديد من العلماء.

العلوم غير الشرعية كالطب والهندسة والصيدلة والحساب.

أما دراسة العبادي (1995)، فقد أوضحت أن مدينة زبيد عاشت حياة علمية ثرية من ملامحها انتشار المدارس والكتاتيب وخزائن الكتب، وكان لها دور فاعل في نشر العلم والمعرفة، وقد اهتمت تلك المدارس بنشر المذهب الشافعي والحنفي، واهتمت بالعلوم الشرعية كعلم القراءات والحديث، بالإضافة إلى العلوم المساندة، مثل: النحو والأدب والحساب والزراعة، وكشفت الدراسة عن المكانة العلمية لمدينة زبيد* وأثرها الفكري ليس على مستوى اليمن؛ وإنما على مستوى العالم الإسلامي، وكانت تربطها علاقات علمية قوية بحواضر العالم الإسلامي وليس أدل على ذلك من قدوم كثير من العلماء المسلمين إلى زبيد والعيش فيها من أمثال اللغوي المشهور الفيروز أبادي، وابن الجزري، والمؤرخ الفاسي، وابن حجر، والنحوي ابن الدماميني.

وتوصلت دراسة الحميدي (2008) إلى أن الملك الأفضل الرسولي عباس** لم يكن مؤرخًا فحسب؛ بل كان عالمًا موسوعيًا ومشاركًا في تأليف الكتب في الطب والزراعة وغيرها من العلوم، ومن أهم مصنفاته في الطب كتاب " اللمعة الكافية في الأدوية الشافية" وكتاب " نيل الأغراض في مداواة الأمراض"، وفي الزراعة له بعض المؤلفات منها" بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين"، وكتاب " المتألم والإسقاء في اليمن المحروسة"، أما دراسة معمر (2017) فقد أبانت الدور الكبير الذي يمثله موسم الحج في تعزيز عملية التواصل الفكري والعلمي بين علماء المغرب الأوسط وعلماء الحجاز واليمن وبقية الأقطار العربية، وأن رحلة الحج كانت تتخللها لقاءات علمية ومناظرات فكرية. بينما أشارت دراسة سليماني (2023) إلى تعدد مساهمات المجاورين الجزائريين في الحياة العلمية والاجتماعية بالحرمين الشريفين، وإثراء الحياة العلمية من خلال إلقاء الدروس، وتصنيف المؤلفات. فيما كشفت

* تعتبر مدينة زبيد عاصمة العلم والثقافة والحضارة في عهد الدولة الرسولية، وقد أنشأت العديد من المدارس والأربطة والمساجد الكبرى، واشتهرت بكثرة العلماء وصارت مقصدًا للباحثين والعلماء ليس من اليمن فقط؛ وإنما من سائر البلاد العربية والإسلامية.

** هو السلطان الأفضل عباس بن علي حكم خلال الفترة (764-778هـ/ 1363-1376م) كان له عناية خاصة بالثقافة والمعرفة، واهتم بجمع الكتب وتدوين المسائل العلمية، ودعم العلماء والطلاب، وساهم في ترسيخ النهج العلمي للدولة، وقد أشرف على تطوير المدارس.

دراسة مرزوق وشعباني (2023) عن الإسهام الكبير الذي قام به علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية من خلال ترأس حلقات الدروس سواءً في أروقة المسجد الحرام، والمدارس المشهورة، أو الأربطة المتواجدة في أماكن متفرقة من مكة، وتتويج تلاميذهم بالإجازات العلمية، وتزويد المكتبات بإنتاجهم الفكري، واصطحاب بعض الكتب وإهدائها لمكتبة الحرم الشريف. وأخيرًا توصلت دراسة قويدر (2023) إلى أن للعلماء المغاربة المجاورين أثر بارز في التفاعل الثقافي والتواصل العلمي مع مختلف الثقافات والأجناس، ويتجلى ذلك التفاعل والتواصل من خلال المجالس العلمية والمناظرات الفكرية وتبادل الاجازات والمؤلفات العلمية، كما كشفت عن إسهام علماء المغرب في إثراء الحركة العلمية والفكرية من خلال التفاعل مع العلماء أخذًا وسماعًا، إقراء وتعليميًا، إمامة وتدريسًا، قضاء وإفتاءً، تأليف وتصنيفًا.

ويلاحظ من خلال عرض الدراسات السابقة أن البعض منها ركزت على الجانب العلمي أيام الدولة الرسولية ودور السلاطين الرسوليين في تشجيع الحياة العلمية والثقافية وخاصة في حواضر تلك الدولة، مثل: تعز التي كانت العاصمة السياسية والإدارية للدولة الرسولية، واهتمت دراسات أخرى بالدور الذي قام به العلماء المغاربة المجاورون للحرمين الشريفين في نشر العلم وتعزيز التواصل العلمي والفكري وتطوير الحياة العلمية والثقافية في موسم الحج غير أنه يلاحظ افتقار الأدب السابق لدراسات تناولت جانب مهم ورافد أساس من روافد النهضة العلمية في اليمن والمتمثل في موسم الحج الذي لم يكن مجرد شعيرة دينية او مناسبة تعبدية فقط؛ وإنما كان ملتقى كبير وفرصة مهمة للتواصل العلمي والثقافي وتبادل الخبرات والمعارف والكتب وآخر المؤلفات، فموسم الحج كان نقطة التقاء للعلماء من كافة البلاد الإسلامية، وهو فرصة عظيمة للاحتكاك العلمي والاطلاع على ما لدى علماء كل بلد من نتاجات علمية ومؤلفات حديثة، وهذا ما اضطلعت به الدراسة الحالية.

وقد تم اختيار الموضوع لعدد من الاعتبارات منها: ما تمثله الفترة التي حكمت فيها الدولة الرسولية اليمن من نهضة علمية وثقافية واسعة، بما يمكن عدها علامة فارقة في التاريخ اليمني، ونقطة مضيئة جعلت اليمن تتبوء مكانة علمية ومعرفية عربيًا وإسلاميًا. وهي محاولة لإعطاء الدولة الرسولية حقها من الاحترام والعرفان بالدور الذي قامت به في تحقيق النهضة العلمية في اليمن ليس في المجالات الشرعية واللغوية فحسب؛ وإنما في مختلف العلوم التطبيقية، مثل: الطب والهندسة والحساب والزراعة وغيرها من العلوم، ناهيك عن شحة الدراسات التي اهتمت برافد مهم من روافد النهضة

العلمية في اليمن، وهو موسم الحج الذي يعتبر من أهم الروافد التي أدت إلى تحقيق النهضة العلمية معتمدًا على وجود الدولة الراعية للعلم والعلماء، ومستفيدًا من تحسن طرق الحج البرية والبحرية في فترة الدولة الرسولية.

إشكالية الدراسة:

يعد موسم الحج من أهم المناسبات التي توفر فرصة للتواصل العلمي والثقافي بين الشعوب، إذ لم يكن مجرد لقاءٍ دينيٍّ أو فريضة تعبدية فحسب؛ وإنما يعد ملتقى حضاري، ومنتدى علميا واسعًا، يضم العلماء والباحثين من كل أقطار العالم، وعلى الرغم من وجود بعض الدراسات التي تناولت الدولة الرسولية من زوايا إدارية وعسكرية وحتى علمية إلا أنه يلاحظ افتقار هذه الدراسات لتناول قضية التواصل العلمي والثقافي أثناء موسم الحج – على الرغم من أهميته – خلال فترة الدولة الرسولية، ومن هنا تبرز الإشكالية الرئيسة للدراسة:

كيف ساهم الحج في تعزيز التواصل العلمي والثقافي في عصر الدولة الرسولية؟

تساؤلات الدراسة:

1. ما ملامح الحياة العلمية والثقافية في عصر الدولة الرسولية؟
2. ما دور الدولة الرسولية في تشجيع التواصل العلمي والثقافي في موسم الحج؟
3. ما دور موسم الحج في تعزيز التواصل العلمي والثقافي في عصر الدولة الرسولية؟
4. من هم أبرز العلماء الذين ساهموا في عملية التواصل العلمي في عصر الدولة الرسولية؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تسد فجوة بحثية لم يتم تناولها سابقًا من قبل الدراسات السابقة أو الكتابات العلمية التي تتناول العلاقة بين موسم الحج والحراك العلمي والثقافي الذي حصل في اليمن أيام الدولة الرسولية، ما يعني أن الدراسة ستساهم في تسليط الضوء على جانب حضاري مهم من تاريخ الدولة الرسولية بما يعمل على إعادة تقييم ممارساتها العلمية والثقافية.

الفرضية الأساسية:

تفترض الدراسة أن موسم الحج في عصر الدولة الرسولية لم يكن مجرد فرصة دينية؛ بل أصبح جسرًا للتواصل العلمي والثقافي بين اليمن وبلدان العالم العربي والإسلامي مما ساهم في تعزيز الحضور العلمي للدولة الرسولية على مستوى العالم الإسلامي.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على **المنهج التاريخ** من خلال الاطلاع على الوثائق والمصادر التاريخية التي وثقت لحركة العلم والعلماء أثناء موسم الحج في عصر الدولة الرسولية، ودراسة التراجم والكتب والدراسات العلمية التي تطرقت لهذا الموضوع، كما تم استخدام **المنهج الوصفي التحليلي** لوصف وتفسير العلاقة بين موسم الحج وبين الحراك العلمي والثقافي والتواصل الذي تم خلال فترة الدولة الرسولية، بالإضافة إلى **المنهج المقارن** للمقارنة في بعض جوانب النهضة العلمية أيام الحضارة الاسلامية.

وقد انتظمت الدراسة في أربعة **محاور** هي:

المحور الأول. ملامح الحياة العلمية والثقافية في عصر الدولة الرسولية:

المحور الثاني. دور الدولة الرسولية في تشجيع التواصل العلمي والثقافي في موسم الحج:

المحور الثالث. دور الحج في تعزيز التواصل العلمي والثقافي في عصر الدولة الرسولية:

المحور الرابع. أبرز العلماء الذين ساهموا في عملية التواصل العلمي والثقافي في عصر الدولة الرسولية:

المحور الأول. ملامح الحياة العلمية والثقافية في عصر الدولة الرسولية:

شهدت اليمن خلال فترة الرسوليين نشاطًا فكريًا وعلميًا منقطع النظير، ويعد بحق عصر الازدهار العلمي في شتى المجالات، وحظيت الحركة العلمية بعناية فائقة من قبل الدولة التي كان عصرها من أزهى العصور اليمنية وأوسعها انتاجًا، ولم يقتصر هذا الاهتمام على السلاطين؛ بل اقتفى أثرهم أبنائهم ونساءهم ووزرائهم ومواليهم وأعيان عصرهم من العلماء والفقهاء والقضاة والتجار حتى أصبحت سمة من سمات دولتهم (الحميدي، 2008، ص271). وليس أدل على ذلك الاهتمام من اشتغال السلاطين والوزراء بطلب العلم والتأليف، والتشجيع على الابداع والعناية بالعلماء والاهتمام بدور العلم (العبادي، 1995، ص102).

وقد عمل الرسوليين على استقطاب العلماء وقدموا لهم كل ما يليق بمكانتهم وأكرموا وفادتهم وفتحوا لهم قصورهم يرتادونها وقت ما يشاؤوا، وعرضوا عليهم أرفع المناصب، الأمر الذي سهل لهؤلاء العلماء الابداع وجادت قرائحهم بالنفيس من المؤلفات والأبحاث في شتى العلوم والمعارف (الأصبحي، 2004، ص49).

وهو ما أدى أن يشهد العصر الرسولي حركة تأليف واسعة شملت كثير من العلوم، ولم يألوا

سلاطين الدولة الرسولية جهدًا في دعم هذه الحركة، وقد انتهجوا في هذا الدعم طرقًا عدة منها: تقديم العطايا والهبات للعلماء ورفع مقامهم، وقد حظي العلماء بمظاهر تكريم غدت مضرب المثل للباحثين والعلماء الآخرين (الحبشي، 1980، ص62). ومن تلك الطرق حث العلماء البارزين في فرع من فروع العلم بالتصنيف فيه ثم مكافأة ذلك العالم على هذا التصنيف (العبادي، 1995، ص121). وكان مبدأ الإثابة والمكافأة قد تم تأصيله منذ تأسيس الدولة الرسولية ولم يقتصر على المكافأة المالية المجزية؛ بل تعداه إلى رفع مقام العالم وإسناد المناصب إليه وقضاء حوائجه (الخزرجي، 1814، ص116).

وكان للسلطان المؤسس عمر بن علي[•] أثره في غرس حب العلم والعلماء في أبناءه وخلفاءه من بعده، وأُثر عنه شغفه بالعلم وصحبة العلماء (الجندي، 1995، ص542). وقد نشأ ابنه السلطان المظفر يوسف [••] نشأه عليمة، تشرب خلالها حب العلم والعلماء عن والده، وقد قال عنه الخزرجي بأنه " كان مشتغلا بالعلم آخذًا من كل فن بنصيب" (الخزرجي، 1814، ص233). ويرى بعض الباحثين أن وصول السلطان المظفر إلى سدة الحكم كان بمثابة دفعة قوية للحركة العلمية، إذ ما إن استقرت أوضاع الدولة الرسولية في عهده حتى شرع في بناء نهضة علمية واسعة، وشجع العلماء في مختلف المجالات، وقد أُنشأت المكتبات وتنافس الملوك والأمراء ورجال الدولة والأثرياء في الانفاق بسخاء على العلم والعلماء وفي إنشاء المدارس، فكانت تلك المدارس بمثابة جامعات يفد إليها الطلاب من كل أرجاء اليمن بل ومن الأقطار المجاورة (العراشي، 2006، ص185).

[•] هو السلطان عمر بن علي بن رسول تولى الحكم عام (626هـ/ 1229م) وكان نائبًا للأيوبيين، وأعلن استقلاله عنهم وتأسيس دولة قوية عاصمتها مدينة تعز، وتلقب بالمنصور وقد توفي في 647هـ/ 1259م)، ويعد من أوائل السلاطين الذين اهتموا بالعلم ورعاية العلماء وتشجيعهم على النشر والتأليف، أنشأ العديد من المدارس في المدن الكبرى التي كانت تعتبر نواة النهضة العلمية التي تحققت فيما بعد.

[••] هو المظفر يوسف بن عمر يعد من أعظم سلاطين الدولة الرسولية، حكم من (647هـ 694هـ/ 1249-1295م) وعرف بالقوة والحكمة الإدارية واهتمامه بالعلم والعلماء، وازدهرت الدولة في عهده من الناحية العلمية والاقتصادية، وأنشأ المدارس في زبيد وتعز وعدن، واهتم بتدريس الفقه والحديث والتفسير وله العديد من المؤلفات، وشجع العلماء على التأليف، وكان يرعى العلماء ويقدم لهم الهبات والعطايا، يعد عصره العصر الذهبي للدولة الرسولية. وكان يلقب بالمظفر العالم، وفي عهده ارتحل إلى اليمن العديد من العلماء

ونستطيع القول إن السلطان المظفر هو الذي أرسى دعائم النهضة العلمية في اليمن بعد أن استقرت الأوضاع وعم الأمن ووجدت الدولة المركزية، كما كان الحال بالنسبة للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (ت158هـ/775) الذي يعد المؤسس للنهضة العلمية والفكرية التي انطلقت من بغداد وعمت العالم العربي والإسلامي، وهو "من أوائل الخلفاء العباسيين الذين انبروا لهذا الدور العظيم" (الخزرجي، 1814، ص196).

وأُثر عن السلطان المؤيد داود[••] حبه للعلم والعلماء وتضلعه في العلوم الشرعية والعربية والأدب والتاريخ والأنساب (الخزرجي، 1814، ص).وكان شغوفًا بالعلم، مصنفًا بالعديد من العلوم منها: التاريخ والأدب والفقه (الجندي، 1995، ص31). كما أثر عن السلطان المجاهد علي[♦] والسلطان الأفضل عباس حبهم للعلم، وقد تلقى السلطان المجاهد العلم على يد أكابر العلماء، واهتم به والده السلطان المؤيد منذ صغره، وعهد به إلى بعض العلماء (الخزرجي، 1814، ص57). وكان السلطان الأفضل عباس أحد المبرزين في النحو والتاريخ والأدب والأنساب (الخزرجي، 1814، ص57). وكان فقيها مشاركًا للعلماء في عدة فنون عارفًا باللغة والأنساب وسير العرب والملوك (الخزرجي، 1814، ص135).

وقد اهتمت الدولة الرسولية وسلاطينها بشكلٍ عام بالعلوم، وكان اهتمامهم أكبر بعلوم القرآن الكريم، وعلوم السنة النبوية، وعلم الفقه والأصول، وعلم الفرائض، وعلم أصول الدين، وعلوم اللغة العربية (النحو، البلاغة وفروعها المختلفة، الأدب وفروعه). واهتموا[♦] كذلك بالتاريخ والأنساب والفلك والطب والبيطرة إلى جانب الزراعة (الخزرجي، 1814، ص234)، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ المعروف الخزرجي في كتابة العقود اللؤلؤية إذ ذكر " أن السلطان المظفر يوسف لم يقتصر اهتمامه بالعلوم الشرعية فحسب؛ بل كان له اهتمامات بالفلك والطب والصيدلة وغيرها من العلوم" (الخزرجي، 1814،

[••] هو داود بن يوسف الرسولي امتد حكمه من (696 الى 721هـ/ 1296 الى 1321م) واتسم عهده بالاستقرار والنهضة العلمية والاقتصادية، وكان أديبًا ومؤرخًا (الخزرجي، العقود، ج1، ص359).

[♦] هو المجاهد علي بن داود حكم خلال الفترة (721-764هـ/ 1321-1363م) استمر في دعم المدارس العلمية، ورعاية العلماء من مختلف المذاهب، ووفر الأمن والاستقرار الذي ساعد على استمرار النشاط العلمي خاصة في مدينة زبيد.

[♦] يذكرنا هذا الاهتمام الذي لاقاه العلماء في العصر العباسي الأول على يد كثير من الخلفاء العباسيين بدءًا بالخليفة أبو جعفر المنصور مرورًا بهارون الرشيد ثم المأمون الذي يعتبر أكثر الخفاء العباسيين اهتمامًا بالعلم والعلماء.

ص33). وكان يعتبر أن لا خير في السلطان إذا كان في رعيته من هو أعلم منه (سعيد، 1990، ص33).

واشتغل سلاطين الدولة الرسولية بعلم الفلك، وألفوا فيه بعض المؤلفات، كما اعتنوا بالوافدين من العلماء والفلكيين والاستفادة منهم واسناد بعض الوظائف لهم (الجندي، 1995، ص144). حيث استقدم السلطان المؤيد إلى اليمن في (720هـ/ 1320م) الأمير بدر الدين حسن بن أحمد بن المختار، وكان ضليعًا في العلوم الطبيعية خاصة الفلك والهندسة والرياضيات (الخزرجي، 1814، ص354). ومن العلوم التي حظيت باهتمام السلاطين الرسوليين علم الطب الذي برز فيه عدد من العلماء وبلغت الدراسات الطبية بشقيها النظري والتطبيقي درجة عالية تدل على مدى تقدم الطب في تلك الفترة (الحبشي، 1980، ص118).

وهنا قد يبرز تساؤل نصه: لماذا هذا الاهتمام بالعلم والعلماء من سلاطين الدولة الرسولية؟ والجواب يؤكده بعض المؤرخين الذين يرجعون السبب في ذلك إلى حاجة الدولة الرسولية إلى تعزيز شرعيتها السياسية، فشعور السلاطين الرسوليين بعدم انتمائهم لليمن كونهم دخلاء على هذا البلد، دخلوها مع الأيوبيين• عزز ذلك لديهم الحاجة للتمسك بخيار العلم، وبناء شرعيتهم على أسس علمية جعلتهم يهتمون بالعلم ويؤسسون المدارس ويرعون العلماء ويدعمون التأليف والمساهمة في خلق أجيال تهتم بالعلم وتحب السلطة التي اهتمت بالعلم (الحبشي، 1980، ص118).

ويرى الباحث أنه بالإضافة إلى السبب السابق؛ فهناك أسباب أخرى تقف وراء اهتمام الرسوليين بالعلم، مثل: حاجة الدولة إلى بناء القدرات الإدارية والعسكرية التي تحميها من الأطماع الداخلية

[???] تعددت الروايات حول أصل بني رسول بين من يرى أنهم من تركمانية كالمقريزي الذي يؤكد أن أصل بني رسول يعود إلى جدهم رسول بن زيد الذي كان من بلاد التركمان (المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص395)، واكد على ذلك ابن خلدون الذي قال أن أصولهم تعود إلى التركمان وأنهم دخلوا مع الأيوبيين إلى اليمن (ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج5، ص264)، وكذلك قال ابن حجر العسقلاني (العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج2، ص88)، أما من قال بيمنيتهم فمنهم الشرجي الذي قال أن بني رسول يعود أصلهم إلى قبيلة أزد التي خرج جدهم إلى العراق ثم عاد إلى اليمن (الشرجي، طبقات الخواص، ص121)، وايده الجندي الذي قال بأصلهم اليمني (الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج2، ص47)، والخزرجي الذي قال أن بني رسول عرب من الأزد (الخزرجي، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، ص198)..

والخارجية، فكما هو معروف أن صنعاء وشمالها الى صعدة كثيرًا ما كانت تقع تحت سيطرة الدولة الزيدية التي لم تتوقف أطماعها في التوسع والسيطرة على اليمن كاملًا، بالإضافة إلى ذلك -وفي إطار بسط نفوذها على اليمن فكريًا قبل أن يكون سياسيًا- فقد تبنى الرسوليين المذهب الشافعي في مقابل المذهب الزيدي الذي تبنته الدولة الزيدية، الذي انتشر في المناطق الشمالية من اليمن منذ دخول يحيى بن الحسين إلى اليمن في 286هـ، الأمر الذي يعني بناء المدارس والاهتمام بالعلماء حتى يتعزز سيطرتها الفكرية والسياسية وتحقق نوعًا من التميز على الدولة الزيدية.

أضف إلى ما تقدم حالة الاستقرار السياسي النسبي الذي شهدته اليمن في العصر الرسولي بسبب وجود السلطة المركزية القوية التي أمنت الطرق، ووفرت الحماية لقوافل الحج وشجعت العلماء على السفر والتنقل إلى الأراضي المقدسة، وتحقيق التواصل العلمي والتبادل الفكري، الأمر الذي أدى إلى انتشار المدارس العلمية والمكتبات العامة، وبروز عدد من المدن اليمنية التي أصبحت مراكز للتنوير وبيئات للثقافة، مثل: زبيد، وتعز، وعدن.

ولم يقتصر اهتمام السلاطين الرسوليين بطلب العلم وتشجيع العلماء؛ وإنما كانت لهم مؤلفات في شتى العلوم ليس في الشريعة واللغة فحسب؛ وإنما في علوم أخرى مثل: الحساب والطب والفلك والصيدلة والبيطرة والزراعة وغيرها (العبادي، 1995، ص109). وفي مقدمة السلاطين المؤلفين السلطان المظفر يوسف الذي كان له مؤلفات في الفلك والطب والصيدلة وغيرها من العلوم (العبادي، 1995، ص109).

ولم يكن الأمر مقتصرًا على السلطان المظفر؛ وإنما تحلى معظم السلاطين الرسوليين بالهمة العالية والبصيرة النافذة في التأليف والابداع، وهي ظاهرة فريدة في تاريخ الفكر الإسلامي أن تجد الحاكم– رغم مشاغله السياسية والعسكرية – مهتمًا بالتأليف في مختلف العلوم بما فيها الطب وعلم الأدوية والزراعة، وهو أمر جديد لم تعهده اليمن من قبل (العمري، د ت، ص160). ومن أولئك السلاطين المؤلفين السلطان الأشرف الأول عمر بن يوسف• الذي كان له مؤلفات في عدد من الفنون منها الفلك والبيطرة والطب والزراعة والتاريخ (ابن الديبع، 1979، ص51). ويعد السلطان الأشرف

• هو السلطان الأشرف عمر بن يوسف بن علي بن رسول تولى الحكم خلال الفترة (694-696هـ/ 1295-1997م).

الثاني إسماعيل بن العباس آخر المؤلفين من السلاطين الرسوليين في العلوم (العبادي، 1995، ص112).

هذا الاهتمام يجعل من هؤلاء السلاطين حالة فريدة في تاريخ الملوك والسلاطين، فبرغم الاهتمام الذي أولاه كثير من الخلفاء العباسيين* وخاصة في العصر العباسي الأول، أمثال: المنصور والرشيد والمأمون والواثق وكذلك خلفاء الأندلس، أمثال: الحكم الثاني المستنصر بالله (ت365هـ/ 977م) الذي كان من أشد المعجبين بالعلم والقراءة والاطلاع، رغم كل ذلك إلا أننا لم نلاحظ اهتمامًا بالتأليف، فالمأمون "رغم حبه للعلم واهتمامه بالعلماء ومشاركته في المناظرات العلمية واهتمامه بالعلوم الطبيعية لم ينسب إليه أي مؤلف سوى بعض الرسائل الفلسفية" (الكناني، د ت، ص89). والحكم الثاني المستنصر بالله رغم انه كان عالمًا محبًا للعلم إلا أنه لم يؤثر عن أي مؤلف واحد.

ومن هنا يمكن القول إن الحضارة الإسلامية لم تعرف سلالة حاكمة جمع سلاطينها بين رعاية العلم وأهله من جهة، وبين التأليف من جهة ثانية كما هو الحال لدى السلاطين الرسوليين مع توارث هذه الخصال من سلطان إلى آخر (سعيد، ، ص63). وقد وصفهم أحد الباحثين بالسلاطين العلماء، وكانت رعايتهم للعلم والعلماء نابعة عن دراية وتفطن، وأن ذلك من واجبات السلطان (العبادي، 1995، ص109).

وقد يعود السبب في بروز تلك الظاهرة الفريدة في التاريخ الإسلامي إلى أنه بالإضافة إلى السعي لاكتساب الشرعية السياسية، ومحاولة السيطرة الفكرية على المناطق الخاضعة لحكمهم -كما تم ذكرهما سابقًا- تقف أسباب أخرى أدت إلى ذلك منها: النموذج القدوة الذي أرساه السلطان المظفر واقتفى أثره السلاطين من بعده، والمتمثل في عدم الاقتصار على تشجيع العلماء فقط؛ وإنما المشاركة في التأليف والتصنيف في مختلف العلوم، وقد طبق هذا النموذج من خلال "مؤلفاته في الفلك والطب والصيدلة وغيرها، وله كتاب مشهور بعنوان المعتمد في الأدوية المفردة" (الحبشي، 1980، ص118).

*تميز العصر العباسي الأول بوجود الكثير من الخلفاء والأمراء الذين شجعوا الحركة العلمية وهيأوا البيئة الملائمة لازدهار العلوم وتطوير المعارف، فأنشأوا المدارس والمكتبات ودور العلم، وجدوا في البحث عن الكتب والمخطوطات، والحصول عليها من مظانها المختلفة، وتنافسوا في تقدير العلم واجتذاب العلماء (الحاوري، الحضارة الإسلامية في ركب الحضارة الإنسانية، ص18).

هذا النهج الذي سلكة سلاطين بني رسول في حب العلم والرغبة في التأليف في مختلف العلوم والفنون كان له دورٌ فاعلٌ في تحقيق نهضة علمية تعد من أزهى فترات الحضارة الإسلامية في اليمن (الحداد، 1986، ص211). الأمر الذي جعل اليمن من البلدان العربية البارزة علميًا، وقد تجلى ذلك من خلال وفود العلماء من مختلف الأقطار العربية إلى اليمن لطلب العلم والاحتكاك بالعلماء اليمنيين (الجندي، 1995، ص31).

وكما ظهرت أيام الحضارة الاسلامية عدد من المدن التي كانت منارات للعلم ومصابيح للحضارة، ومنتديات لمختلف العلوم يتسابق إليها الطلاب من كل حدب وصوب، ويقصدها العلماء من كل مكان، ويتلهف إليها الباحثون للارتواء من معين معارفها من جميع أصقاع العالم مثل بغداد ودمشق ومرو وبخارى وسمرقند في المشرق العربي، والقاهرة وفاس وقرطبة وطليطلة في المغرب العربي (الحاوري، 2019، ص98)؛ فقد ظهرت عدد من المدن اليمنية مثل زبيد وتعز وعدن التي كانت عواصم علمية ليس لليمنيين فقط، وإنما للعلماء من مختلف الأقطار العربية، ومراكز ثقافية تضم عددًا من المدارس العلمية والمراكز الفكرية والمنتديات الثقافية.

وكما برزت عدد من المدن اليمنية كمراكز علمية؛ فقد برز العديد من العلماء اليمنيين ليس في المجال الشرعي فحسب؛ وإنما في المجالات العلمية وفي مقدمتها الرياضيات والطب والصيدلة، ويبدو أن اهتمام السلاطين الرسوليين بمثل هذه العلوم نابع من دوافع دينية وعلمية، حيث ارتبطت الرياضيات بعلوم الفلك والفلاحة وهي علوم مهمة لتحديد العبادات ورسم المعالم البحرية التي كانت أساسًا للأنشطة البحرية، بينما تم الاهتمام بالطب والصيدلة لارتباطها بحاجات الناس، وتوفير الصحة العامة للمجتمع، وفي نفس الوقت يمثل ذلك الاهتمام رمزًا لمكانة الدولة العلمي، فمثل هذه العلوم دليلًا على التحضر، ناهيك أن مثل هذا الاهتمام يعزز من مكانة اليمن علميًا في محيطها العربي والإسلامي.

ومن أبرز أولئك العلماء محمد بن حسين الحضرمي (ت 650هـ/ 1252م) الذي كان يعقد دروسه الرياضية في مسجده الذي اشتهر به وعنه أخذ عدد كبير من الطلاب، وكانت مؤلفاته من أهم المصادر التي يتم الاعتماد عليها، وقد قصده الطلاب من كل مكان (الجندي، 1995، ص31).

كما برز أيضًا أبو بكر بن عمر بن عثمان الناشري (ت 760هـ/ 1368م) الذي كان من أشهر العلماء اليمنيين في الحساب (الأهدل، ص62). وبرز أيضًا أحمد بن عمر بن هاشم المزيحقي (ت 689هـ/

1281م) الذي كان عالمًا في الرياضيات، ويعد من أوائل اليمنيين الذين ألفوا في هذا المجال، ومن مؤلفاته كتابه " شرح مختصر الخوارزمي في الجبر والمقابلة " وكان من الكتب المعتمدة في تدريس الرياضيات، وله أيضًا كتاب أسماه " جواهر الحساب" وكذلك " مقدمة في علم الحساب" (الجندي، 1995، ص179).

وفي الطب برز العديد من العلماء منهم إبراهيم بن إسماعيل الحضرمي (ت 792هـ/ 1389م) الذي صنف في الطب كتابًا أسماه " فطن الأذهان في طب الأبدان" (الحضرمي، 1985، ص75). وبرز أيضًا عمر بن محمد الجبلي (ت 758هـ/ 1356م) وقد عده بعض المؤرخين بأنه أعلم زمانه بالطب، وقد جلس لتدريس الطب في مدرسته كما اشتهر بمزاولة الطب (الخزرجي، 1981، ص399)، كما برز عدد من العلماء في علوم أخرى منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفاسي (ت677هـ/ 1278م) الذي برز في الموسيقى* وألف فيه كتابًا بعنوان " دائرة الطرب"، وكتاب آخر في وضع الألحان، وبرز أيضًا في الطب والتداوي والبيطرة وقد وضع كتابًا في ذلك بعنوان " التبصرة في علم البيطرة" (لخزرجي، 1814، ص178).

وعلى غرار بعض الأسر العلمية التي برزت أثناء النهضة الإسلامية كأسرة ابن زهر في الأندلس التي برزت في الطب ونشأت في القرن الخامس الهجري واستمرت حتى السابع الهجري، وأسرة آل موسى بن شاكر التي تميزت في الرياضيات والفلك فقد " برزت أسر يمنية في الرياضيات والحساب منهم أسرة آل الحضرمي، وأسرة آل الناشري وآل العلوي وآل الشرجي" (العبادي، 1995، ص329). وبرزت أسر يمنية في الطب منها أسرة بنو السابح التي تعد إحدى الأسر العلمية المشتغلة بالطب في تعز وقد أخذ الطلبة عنهم هذا العلم (الجندي، 1995، ص370).

وعمومًا قد يقول قائل: كيف بدأت النهضة العملية في اليمن في العهد الرسولي؟ أو ما هي الروافد التي اعتمدت عليها في تحقيق هذه النهضة؟ وتحب الدراسة أن تشير إلى مجموعة من الروافد التي أسست لهذه النهضة في مقدمتها التواصل العلمي والثقافي الذي كان يتم في موسم الحج والذي شجعه السلاطين الرسوليين خاصة بعد تحسن طرق الحج البرية والبحرية، حيث شكل موسم الحج فرصة كبيرة لتواصل علماء اليمن بعلماء الأقطار الاسلامية، والاطلاع على آخر المؤلفات. إضافة إلى حرص

* هذا الاهتمام بالموسيقى سبقه اهتمام بعض العلماء المسلمين أمثال الفارابي الذي ألف كتابًا أسماه كتاب الموسيقى الكبير، والكندي الذي ألف كتابًا أسماه المدخل إلى صناعة الموسيقى، وأيضًا رسالة في الإيقاع.

السلاطين الرسوليين على استقطاب عدد كبير من العلماء غير اليمنيين المبرزين في العلوم اللغوية والطبيعية، وتشجيعهم على الاستقرار في اليمن وتقديم العطايا والهبات والمناصب، ناهيك عن أيفاد الكثير من الطلبة والعلماء إلى الشام والعراق ومصر للاحتكاك بعلماء تلك البلدان و"جلب الكتب والمؤلفات الجديدة التي ساعدت على تكوين نهضة علمية ومعرفية كبيرة" (عباس، 2010، ص74).

ومن المفارقات العجيبة أنه بينما كانت النهضة العلمية في العالم العربي والإسلامي في حالة انحسار وتراجع بعد سيطرة المغول على الخلافة العباسية وسقوط بغداد في (656هـ)، وقتل الكثير من العلماء، وتدمير عدد من المراكز العلمية وبيوت الحكمة، ناهيك عن ملايين الكتب التي تم إحراقها ورميها في نهري دجلة والفرات حتى تغير لونهما، إذا بالنهضة العلمية في اليمن تشرق شمسها، وربما كان سقوط بغداد وتراجع الدور الحضاري لها كان أحد الأسباب التي دفعت السلاطين الرسوليين إلى تبني النهج العلمي، ومواصلة الدور الذي قامت به الخلافة العباسية في الاهتمام بالعلم والعلماء، فكما انتقلت الراية السياسية إلى القاهرة وإسطنبول بعد سقوط بغداد ها هي تنتقل الراية العلمية إلى اليمن خاصة وأن الدولة الرسولية توسعت وامتد نفوذها إلى الحجاز وظلت مسيطرة على مكة قرابة الخمسين عامًا بدءًا من 631هـ

وفي نفس الوقت قد يقول قائل بينما كانت الحضارة الإسلامية تشهد ازدهارًا علميًا وفكريًا خلال القرن الثاني وحتى السابع الهجري -وإن بنسب متفاوتة بين القرون- لماذا لم يكن لليمن أي دور في هذه النهضة؟ ولماذا لم يبرز من اليمن علماء أمثال الكندي والرازي والفارابي وابن سينا والغزالي والبيروني والخوارزمي وجابر بن حيان وغيرهم؟ وقد يعود السبب في ذلك إلى كثير من التحديات والصراعات التي مرتب بها اليمن، فاليمن كان هدفًا للثورات العلوية، ومطامع السيطرة على اليمن بدأت منذ القرن الثاني الهجري، وتم تحقيق هذه الأطماع في عام 286هـ على يد يحي بن الحسين الملقب بالإمام الهادي الذي أسس دولته في صعدة ثم توسع حتى وصل إلى صنعاء، وتوالت الحروب والصراعات في اليمن للسيطرة على الحكم سواءً من الأئمة الزيديين أو الدول المختلفة*، إضافة إلى ما تقدم فبعد اليمن عن

* تعاقبت على حكم اليمن عدد من الدول من أهمها: الدولة اليعفرية (205-387هـ/ 820-997م)، وكان عاصمتها صنعاء، والدولة الزيدية (284هـ) الذي أسسها يحي بن الحسين في صعدة وشمال اليمن، والدولة الصليحية (439-532هـ/ 1047-1138م)، وكان عاصمتها صنعاء، والدولة الزريعية (470-569هـ/ 1078-1173م)، وكان عاصمتها عدن،

مراكز الحضارة الاسلامية التي نشأت في بغداد ودمشق وبخارى وسمرقند شرقًا، والقاهرة وفاس وقرطبة غربًا لم توفر له أي فرصة للتواصل والاحتكاك العلمي مما جعل اليمن تعيش في عزلة علمية وثقافية طويلة.

ومجمل القول؛ يرى الباحث أنه لولا أن النهضة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية جاءت في فترة انحسار النهضة الإسلامية في المشرق والمغرب، وتراجع الحس العلمي والحضاري بعد سيطرة المغول على بغداد والشام، ودخول كثير من البلدان العربية والإسلامية في صراعات وحروب، لولا ذلك فإنه كان سيكون للنهضة العلمية في اليمن شأن أكبر مما حصلت عليه.

المحور الثاني. دور الدولة الرسولية في تشجيع عملية التواصل العلمي في موسم الحج:

يعدّ موسم الحج من أهم المواسم التي يجتمع فيه العلماء من كل مكان، حاملا معه فرصة التواصل الحضاري والتبادل العلمي، وتطوير العلوم، والاستفادة مما لدى كل واحد منهم، ناهيك عن المناظرات العلمية والنقاشات الفكرية وتبادل المؤلفات والمخطوطات التي كانت تتم في هذا الموسم، وقد أدرك السلاطين الرسوليين هذه الفرصة ولم يغفلوا هذه المناسبة في تعزيز التواصل العلمي بين العلماء خاصة أن وسائل العلم في ذلك العصر كانت محدودة فحرصوا على تشجيع العلماء على المشاركة في هذا الموسم، ودعموا رحلاتهم بالمال والعتاد الأمر الذي أدى إلى تطوير النهضة العلمية في اليمن. وتحقيق الازدهار الفكري.

وكان للدولة الرسولية دور بارز في تشجيع عملية التواصل العلمي في موسم الحج بدءًا من ترأس السلاطين لقافلة الحج، أو تعيين أشخاص أصحاب مكانة علمية لرئاستها (الحارثي، 2023، ص32)([1]). ومن أولئك العلماء الذين ترأسوا قافلة الحج أحمد بن موسى العجيل (ت 690هـ/ 1291م)، والعلامة عمر بن الأكسع([2]) وقد كان لهذه الإمارة الأثر الكبير في تبادل العلوم والمعارف بين علماء اليمن وعلماء الحجاز والعالم الإسلامي (الحارثي، 2010، ص32). وقد شكل المحمل جانبًا مهمًا في قوافل الركب

والدولة الهمدانية الحاتمية (403-554هـ/ 1012-1159م) واتخذت من صنعاء عاصمة لها، والدولة الأيوبية (569-626هـ/ 1173-1229م) وكانت تعز هي العاصمة السياسية.

[1] - وثيقة من الأرشيف العثماني برقم (15242)، م3-35/14، ف، ت، محفوظة بالمركز الوطني للوثائق، صنعاء، اليمن.

[2] - هو أبو حفص عمر الأكسع فقيه مشهور وكان يقود قافلة حجاج اليمن

اليمنية منذ عهد الدولة الرسولية التي بالغت الاهتمام به وجعلته من متطلبات القافلة (الشامي، د ت). وأثناء سير قافلة الحج كانت تتم بعض المناظرات العلمية بين العلماء، منها المناظرة التي عقدت بين الشيخ أبي بكر بن الفقيه بن عجيل (ت750هـ/ 1349م) والشيخ عمر البركاني، وكذا المناظرة بين أبي عبد الله محمد بن ظفر الشميري (ت13م) وأبي العباس المقري وقد اكتسبت تلك المناظرات شهرة واسعة وتأثير ثقافي كبير (الشرجبي، 2023، ص301).

وتعزيزًا لعملية التواصل العلمي؛ فقد بني سلاطين الدولة الرسولية العديد من المدارس والمراكز العلمية في مكة والمدينة، وهو ما شجع العلماء والطلبة على الرحلة إلى هذه الأماكن للتزود بالعلم والتواصل مع العلماء من مختلف البلاد الإسلامية (السنيدي، 2005، ص19). كما أوفد السلاطين الرسوليين طلاب العلم والعلماء لتلقي العلم في مكة والمدينة التي كان لهما تأثير فكري متميز على اليمن لموقعهما الديني من ناحية وقربهما الجغرافي من ناحية أخرى (حماد، 2004، ص558).

وقدم السلاطين الرسوليين الهبات والعطايا وكل أنواع الدعم الذي لم يقتصر على العلماء اليمنيين؛ وإنما شمل علماء الأقطار الإسلامية، إذ اعتاد من حج من أولئك السلاطين أن يوزع الهبات في الحرم، ومن ذلك ما ناله الفقيه بهاء الدين علي بن هبة الله اللخمي المعروف بابن الجميزي (ت 649هـ/ 1251م) من صلة وهبة في موسم الحج (ابن تغري بردي، 1993، ص24). كما انتهج السلاطين أسلوب الاستقطاب والتقريب والتعيين للعلماء المبرزين من مختلف البلاد العربية والإسلامية، حيث استدعى السلطان المظفر شيخ الحجاز محب الدين أبو العباس الطبري (ت694هـ/ 1294م) للإقامة في اليمن، وقد استجاب لدعوته وصنف في علوم عديدة منها الحديث الذي صنف فيه كتابًا أسماه "الأحكام الكبرى" في ست مجلدات، كما صنف في الفقه كتاب "شرح التنبيه"، وقد حظي بمكانة سامية لدى المظفر الذي قربه إليه وأدناه منه منزله وأجزل له العطايا (ابن قاص، 1987، ص18). كما استدعى السلطان المؤيد الفقيه محمد بن عبد الله البغدادي الذي قدم إلى مكة شابًا وسمع على العديد من علمائها ثم ارتحل إلى اليمن في (708هـ) وأجزل له السلطان العطايا ورفع منزلته (الفاسي، 1969، ص75).

وارتحل إلى اليمن بعد أداء فريضة الحج عام (742هـ/1341م) صحبة السلطان المجاهد الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد بن صقر الدمشقي الذي حج بيت الله الحرام والتقى بعلمائه وولاه السلطان المجاهد القضاء الأكبر، وجعله من خواصه وأهل حضرته، وبقي على القضاء فترة في عهده وطوال عهد

ولده الأفضل وصدرًا من عهد الأشرف الثاني (البريهي، د ت، ص188).

واستدعى الأشرف الثاني النحوي المصري عبد اللطيف بن أبي بكر بن أحمد الشرجي سراج الدين (ت802هـ/ 1399م) وكان بارعًا في العربية شيخ نحاة مصر وإمامهم في عصره، الذي قدم مكة للحج والتقى بعلماء اليمن ثم ارتحل إليها وأقام بزبيد وذاع صيته وصنف عدة مصنفات في النحو والفلك وغيرها (القاضي، 1971، ص169). واستدعى الأشرف الثاني كذلك غياث الدين أبو عبد الله محمد بن خضر الكابلي (ت794هـ/ 1391م) من كابول الذي كان فقيهًا ونحويًا ولغويًا شمولي المعرفة، متقنًا للمنطق وعلم المعاني والبيان وغيرها من العلوم، وقد قصد مكة لأداء فريضة الحج، ثم ارتحل إلى عدن ثم زبيد بعد أن استدعاه الأشرف الذي أكرمه وأجزل له العطايا (بامخرمة، د ت، ص214).

كما استدعى الأشرف الثاني العالم اللغوي المعروف مجد الدين الشيرازي الفيروز أبادي (ت817هـ/ 1414م) وكان إمام عصره في النحو والعربية والحديث، الذي ارتحل إلى الحجاز والتقى بالعلماء من كل البلاد الإسلامية واشتهرت تصنيفاته، وقد وفد إلى اليمن في (796هـ/ 1393م) وعينه الأشرف الثاني في منصب قاضي القضاة باليمن، وقد حظي بمكانة مرموقة في البلاط الأشرفي، ونال مكانة عظيمة في اليمن (البريهي، د.ت، ص296). واستدعى السلطان الناصر أحمد• الفقيه حسان الدين الحسن بن علي الأبيوري (ت 816هـ/ 1413م) من خراسان الذي قصد مكة للحج ودرس بها صحيح مسلم، كما درس علم الرياضيات وصنف في ذلك تصنيفات كثيرة، وكان يتردد على مكة لأداء فريضة الحج، ويلتقي بعلماء اليمن، وارتحل إليها في (815هـ)، ودخل مدينة زبيد ثم انتقل إلى مدينة تعز وأكرمه السلطان الناصر وأوكل إليه تدريس العلوم التطبيقية في بعض مدارس تعز (الفاسي، 1969، ص19).

كما استقطب السلطان الناصر جمال الدين أبو البركات محمد بن موسى بن علي المراكشي الذي كان عالمًا في الحديث وصنف فيه عدة مصنفات، وظهرت مهاراته في العلوم الشرعية وقد أعجب به الناصر فمال إليه وأكرمه وكان يخرج إلى الحج ويقيم في مكة والمدينة، ويقبل عليه طلاب العلم للاستفادة منه وتوفي في مكة أثناء إحدى حجاته عام (833هـ/ 1420م)(الفاسي، 1969، ص364).

[???] هو الناصر أحمد بن علي حكم خلال الفترة (803-827هـ/ 1400-1424م) وقد واصل الاهتمام بالعلم والعلماء والحفاظ على المدارس والمراكز العلمية، ودعم حلقات العلم في تعز وزبيد، يجل العلماء ويستشيرهم في كثير من الأمور وخاصة الكبيرة منها.

المحور الثالث. دور الحج في تعزيز التواصل العلمي في عصر الدولة الرسولية:

مثل الحج فرصة كبيرة للتواصل الفكري والعلمي بين العلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي وكانت الحجاز ميدانًا للعلماء من شتى الأقطار اتيحت فيه الفرصة للاستفادة من بعض، والاطلاع على كل جديد من المعارف والأفكار والعلوم والكتب، وقد ارتبط موسم الحج بالعلم والثقافة ونتج عنه آثار علمية أيقظت حركة الفكر والثقافة في العالم الإسلامي. وازدهرت الحركة العلمية والثقافية على يد العلماء أثناء مواسم الحج، وكانت مكة بمثابة تجمع علمي يضم العلماء من كل الأقطار العربية والإسلامية.

ونتيجة لأهمية موسم الحج كجسر للتواصل العلمي؛ فقد تم إنشاء المراكز الفكرية، وبناء المدارس والأربطة العلمية، بل وتخصيص الأوقاف السخية لاستمرار عمل تلك المراكز والمدارس والأربطة (الحارثي، 2023، ص33) وكان العلماء والأدباء والمؤرخون يقصدون مكة المكرمة والمدينة المنورة لا لأداء فريضة الحج فقط؛ وإنما لنشر ما لديهم من علوم ومعارف، وكانوا رسل علم وحملة ثقافة ودعاة معرفة، وقد أثر عن بعضهم كتب دونت ما كان يطرح منها من مسائل العلم وقضايا الأدب واللغة والفقه (الحقيل، 2023، ص6). وقد كان لموسم الحج مساهمات كبيرة في بناء الكيان العلمي والحضاري لليمن، إذ عاد الكثير منهم بالمصنفات العلمية المفيدة التي اقتنوها في شتى مجالات العلم.

وشكل الحج مناسبة مهمة للإعلان عن آخر المؤلفات العلمية، والنتاجات الفكرية التي دونت في البلاد الإسلامية في مختلف المجالات (هديل، 2011، ص288). وقد اتيح لعلماء اليمن الفرصة لنشر علومهم وإبراز معارفهم، والمشاركة بمؤلفاتهم القيمة في مختلف المجالات، الأمر الذي ساهم في انتشار أسواق الكتب ومكاتب النساخين.

وكان العلماء يصطحبون معهم بعض الكتب لبيعها في أسواق الكتب أو إهدائها لعلماء مكة والمدينة (الجابري، 2005، ص585). واهتم بعض العلماء بتوثيق كتبه ومصنفاته في مكتبة الحرمين الشريفين منهم الشيخ برهان الدين إبراهيم بن رجب التلمساني (ت755هـ/ 1356م) الذي كانت له كتب نفيسة في الأصول والحديث والفقه واللغة وقد أوقفها بمكتبة الحرم الشريف (ابن فرحون، 1977، ص156). وكان سوق الكتب في مكة والمدينة فرصة لتبادل الأفكار والتواصل بين مختلف فئات المجتمع من علماء ومتعلمين، بل صار منتدى للعلماء والأدباء والمفكرين تدور فيه المناقشات العلمية والمناظرات الفكرية (الجابري، 2005، ص286). وقد تعددت أماكن بيع الكتب وشرائها في أكثر من مكان بمكة

المكرمة حيث أشار الرحالة ابن بطوطة إلى وجود مساطب بالمسجد الحرام يجلس عليها النساخون (ابن بطوطة، 1985، ص132).

ومن هنا يمكن القول، إن أسواق الكتب قد أسهمت بشكلٍ فعال في إثراء الحركة العلمية من خلال ارتياد العلماء وطلبة العلم ومبعوثي السلاطين والملوك والأمراء لهذه الأسواق، واقتناء كل جديد من المصنفات وبأغلى الأثمان (الحادثي، ص34). الأمر الذي أدى إلى ازدهار حركة التأليف والنسخ والوراقة والتنافس في شراء المؤلفات الضخمة لكبار العلماء والمؤلفين (السنيدي، 2006، ص159).

ولما تتمتع به مكة والمدينة من ازدهار علمي وفكري، وحرصًا من بعض العلماء اليمنيين على توسيع عملية التواصل العلمي والتزود من مختلف العلوم والمعارف؛ فقد جاوروا* هاتين المدينتين لكي يتمكنوا من اللقاء بعلماء المشرق والمغرب في مواسم الحج والعمرة، و"حضور الاجتماعات والمناقشات العلمية وتبادل الأفكار والآراء في مختلف القضايا، وهي أيضًا فرصة لنشر علومهم وإبراز ما لديهم من معارف" (آل مشاري، 1988، ص47).

وقد أسهم العلماء المجاورين في إثراء الحياة العلمية والفكرية، والتفاعل مع العلماء الوافدين على الحرمين الشريفين أخذًا وسماعًا وتأليفًا وتصنيفًا (قويدر، 2023، ص363). وشاركوا إلقاء الدروس في المسجد الحرام والمسجد النبوي، وكانت تعقد لهم مجالس علمية وحلقات فكرية، وقد أجيزت هذه الحلقات من قبل السلاطين الرسوليين، وخصصوا لها الأوقاف الكافية حتى أصبح الحرمين الشريفين يمثل جامعتين تستقطبان كبار العلماء والطلاب من مختلف البلدان العربية والإسلامية (آل مشاري، 1988، ص 114-115).

* من العلماء اليمنيين الذين جاوروا مكة والمدينة بطال الركبي (ت673هـ/ 1235م) الذي جاور مكة أربعة عشر عاما، ومنهم أبو الحسن علي بن عبد الله الهمداني (ت 712هـ/ 1313م) والعلامة عبد الله بن علوي (ت731هـ/ 1230م) الذي لقب بإمام الحرمين، بالإضافة إلى علي بن علوي (ت767هـ/ 1268م) والعلامة عبد الله محمد الخطيب (ت773هـ/ 1336م) (الجندي، السلوك، ص179)، ومنهم العلامة محمد بن حجاج بن إبراهيم الذي حج سنة (653هـ/ 1255م) ومنهم عفيف الدين اليافعي (ت768هـ/ 1366م)، ومنهم الفقيه التعكري محمد بن عمر الذي جاور مكة واستقر بها حتى توفي في (780هـ/ 1378م)، ومنهم محمد بن عبد الله البعداني (ت810هـ/ 1407م) الذي جاور الحرمين نحو ثلاثون عامًا، ومنهم أبو زيد علي الزبيدي (ت813هـ/ 1410) (الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج7، ص103).

ونظرًا للمكانة العلمية التي تبوأها بعض العلماء اليمنيين المجاورين فقد تم تقليدهم بعض الوظائف المهمة، مثل: منصب القضاء في الحرمين الشريفين، ومنصب مشيخة الخدام، والخطابة وإمامة الحرمين، وتقلد البعض منهم منصب ناظر المدارس التي انشأها ملوك بني رسول في مكة (آل مشاري، 1988، ص111).

وحرصًا من بعض العلماء اليمنيين على تعميق عملية التواصل العلمي؛ فقد حصلوا على إجازات علمية من العلماء العرب والمسلمين، من أولئك الفقيه محمد بن سلمان أبو الرجال ([1])● الذي أجازه الشيخ أحمد بن إبراهيم الفاروثي●• وذلك في موسم حج سنة (688هـ/ 1288) (الشوكاني، ص200). كما أجاز الشيخ برهان الإبناسي([2])● القاضي أبا بكر بن محمد الحبشي (ت 800هـ/ 1413م) إجازة عامة وذلك في موسم حج سنة (771هـ/ 1369)، وأجاز للفقيه الحسين بن الصديق بن الأهدل في موسم حج سنة (772هـ/ 1370م) (الاهدل، ، ص559).

وأجاز شيخ الحرم المكي أبو العباس أحمد بن محمد الطبري●• السلطان المؤيد في البخاري والترمذي وناوله صحيح مسلم وأجازه في باقي أمهات الكتب (الحبشي، 1980، ص639)، كما أجاز شيخ الحرمين عبد الله بن أحمد الهروي العلامة أبي الخير أيوب بن محمد كديش (الجندي، 1995، ص237). وفي موسم حج (801هـ/ 1398م) أجيز للقاضي محمد بن سعيد بن كبن (ت ق9هـ/ 15م) من قبل سراج الدين بن

[1] هو أحد فقهاء اليمن أخذ علومه عن الأمير المؤيد بن أحمد القاضي عبد الله الأكوع، وقد توفي في 730هـ/ 1321م (البدر الطالع، ص200).

●[؟؟؟] هو أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرح الواسطي المقري ولدي سنة (614هـ/ 1217م)، وتوفي في مواسط (694هـ/ 1294م)، له عدة مؤلفات منها النفخة المسكية والإرشاد المتيقن (ابن كثير، البداية، ص215).

[2] هو إبراهيم بن موسى بن أيوب الإبناسي، عالم وفقيه ولد في إبناس من أعمال القاهرة له العديد من المؤلفات منها: الدرر المضيئة في شرح الألفية وقد توفي في (806هـ/ 1413م).

●[؟؟؟] هو أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم محب الدين الطبري، ولد بمكة عام (703هـ/ 1304م) ونشأ فيها، وأخذ العلم على علمائها وتم تعيينه قاضيها ؟؟ بن المجاهد الرسولي علي بن المؤيد (الفاسي، ؟ اليمن، ج3، ص161).

النحوي[••]، كما أجاز عدد من علماء الحرم للفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الرحمن[♦] (البريهي، د ت، ص30).

ولم تقتصر مجاورة الحرمين الشريفين على علماء اليمن؛ وإنما جاورها العلماء من مختلف البلاد العربية والإسلامية، وكانت تعقد لهم حلقات علمية في أماكن متفرقة من مكة المكرمة، وقد جذبت هذه الحلقات عددًا كبيرًا من الطلبة والعلماء، ومن أبرز أولئك العلماء عبد الله بن موسى الزاوي المقري (ت734هـ/ 1337م) الذي رحل إلى الحج في (690هـ/ 1289م) وجاور مكة عدة سنوات (ابن مرزوق، 2008، ص246).

ويؤكد بعض الباحثين أن أغلب المجاورين من أهل المغرب في القرنين الثامن والتاسع الهجريين قد أسهموا بشكل كبير في ازدهار الحياة العلمية والفكرية من خلال اشتغالهم بالتعليم وترأسهم للدروس العلمية سواءً في فناء المسجد الحرام والمدارس المشهورة، أو في الأربطة المتواجدة في أماكن متفرقة من مكة المكرمة، وتتويج تلاميذهم بالإجازات العلمية، ورفد مكتبة الحرمين الشريفين بمصنفاتهم النفيسة ونتاجهم الفكري القيم (مرزوق وشعباني، ص 607).

وعمومًا أنتج العلماء المجاورون – يمنيين وغير يمنيين - العديد من المؤلفات في مختلف العلوم، وكان لبعضهم الفضل في تدوين تاريخ الحجاز وتاريخ اليمن، ومن أولئك العلماء الذين تصدروا لهذه المهمة تقي الدين أحمد المقريزي (ت845هـ/ 1441م) الذي صنف عدة كتب منها كتاب " الطرف الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة" (السخاوي، د ت، ص57). ولعل أهم ما يميز الحركة العلمية بالحرمين الشريفين هو تنوع العلوم فلم تقتصر على العلوم النقلية من قرآن وتفسير وحديث ولغة وفقه وتاريخ؛ وإنما تجاوزت ذلك إلى العلوم العقلية مثل: الرياضيات والطب والفلك والجغرافيا وغيرها من العلوم (المديرس، 2003، ص247).

ونظرًا لأن موسم الحج لم يمثل لبعض العلماء العرب والمسلمين إلا نقطة البداية، وسعيًا منهم

[••] هو سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني المصري، كان نحويًا لغويًا ولد في (724هـ/ 1323م) وتوفي في (805هـ/ 1402م) (الزركلي، ص505).

[♦] هو المحدث والمحقق والفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عمر، من علماء منطقة مخلاف جعفر في وصاب العالي، له العديد من المصنفات وتوفي في (822هـ/ 1419م) (البريهي، ص22).

لاستدامة عملية التواصل العلمي؛ فقد كانوا بمجرد الانتهاء من الحج يتوجهون إلى اليمن لعقد لقاءات علمية مع علماء اليمن، وأخذ الإجازات العلمية منهم. ويبدو أن هجرة كثير من العلماء العرب والمسلمين إلى اليمن كان أمرًا طبيعيًا نتيجة لما شهدته اليمن من نهضة علمية وازدهار فكري في عصر الدولة الرسولية، وما اشتهر عن السلاطين الرسوليين من إكرام للعلماء والفقهاء.

ومن أولئك العلماء الذين هاجروا إلى اليمن بعد الانتهاء من فريضة الحج الفقيه محمد بن غانم القرشي الذي توفي بزبيد في (790هـ/ 1388م)، والفقيه محمد بن علي البيضاوي المكي الذي استقر به المقام في اليمن حتى توفي بزبيد في (ت837هـ/ 1433م)، وأحمد بن الفخر العجمي الذي استقر في عدن ومات فيها (الفاسي، 1969، ص38).

المحور الرابع. العلماء الذين ساهموا في عملية التواصل العلمي في موسم الحج عصر الدولة الرسولية:

برز العديد من العلماء اليمنيين وغير اليمنيين الذين كان لهم دور مهم في عملية التواصل العلمي والاحتكاك الثقافي، وكان موسم الحج بالنسبة لهم فرصة عظيمة للقاء ببعض وتبادل الأفكار والمعارف، والنقاش في مختلف العلوم، والاستفادة مما جادت به قرائهم من علوم وما تفتقت به عقولهم من مؤلفات ونتاجات.

من أبرز أولئك العلماء اليمنيين الذين ساهموا في عملية التواصل العلمي الفقيه عبد الرحمن بن سيد العقيبي الهمداني (ت690هـ/ 1291م)، وقد اتصف بكثرة الحج والاهتمام بجمع المؤلفات الحديثة التي يعلن عنها سنويًا في موسم الحج (الجندي، 1995، ص243). ومنهم الفقيه أبو بكر اليحوي (ت709هـ/ 1309م) الذي كان يستغل موسم الحج في الاطلاع على الجديد من الكتب ونسخها وإدخالها إلى اليمن (الخزرجي، 1814، ص389).

ومنهم حسن بن محمد بن أسيد اليمني (ت727هـ/ 1326م)، وعمر بن محمد المسجدي (ت740هـ/ 1339م)، وموفق بن عبد الله البركاني (ت784هـ/ 1382م)، والقاضي عبد اللطيف بن محمد بن علي الزبيدي (ت800هـ/ 1397م) وكذلك إسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن العلوي (ت835هـ/ 1431م) وغيرهم الكثير (الفاسي، 1969، ص175).

كما ارتحل الأديب والمؤرخ عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت 743هـ/ 1342م) إلى مكة لأداء فريضة الحج، وجالس العلماء وأخذ عنهم وأخذوا عنه، ثم عاد إلى اليمن وتولى التدريس في بعض

المدارس، وأخذ عنه العلم عدد كبير من الطلبة والسلاطين منهم السلطان المجاهد (الجندي، 1995، ص576). ومن العلماء كذلك عبد الله بن محمد البريهي• الذي ما إن يقترب من مكة المكرمة والمدينة المنورة حتى يخرج له فقهاء الحجاز وغيرهم من العلماء لمقابلته والانتفاع بعلمه (الخزرجي، 1814، ص1368). ومن العلماء أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي (ت768هـ/ 1374م) الملقب بعفيف الدين الذي ارتحل إلى مكة وتلقى العلم على شيوخها ولازم العلماء، وكان يتردد على مكة والمدينة للحج وأخذ العلم من العلماء، وقد انقطع بمكة للتصنيف والتدريس، فصنف في العديد من العلوم منها: النحو والعروض والتاريخ، وله كتب كثيرة منها: " روض الرياحين" وكتاب " مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة حوادث الزمان (حماد، 2004، ص566).

واستمرت وفود العلماء اليمنيين لأداء مناسك الحج وتلقي العلم في الحرمين الشريفين، منهم الفقيه أبو بكر محمد بن سلامة• الذي أخذ عن العلماء الوافدين في موسم الحج المجاورين لها (الشرجبي، 2023، ص389). وكان الفقيه أبو أحمد موسى بن عجيل•• كثير التردد على مكة المكرمة في موسم الحج، وكان يجتمع بعلمائها ويتبادل المعارف (الشرجبي، 2023، ص194). وارتحل الفقيه محمد بن أبي بكر المشهور بابن الخياط التعزي (839هـ/ 1435م) إلى مكة والمدينة المنورة، والتقى بعدد من العلماء والمشائخ وحصل على إجازات منهم، ثم عاد إلى اليمن، وكان مجلسه حافلًا بالعلماء والمتعلمين (السخاوي، د ت، ص228). ورحل الفقيه عبد الولي بن محمد بن عبد الله الوحصي (ت 839هـ/ 1435م) إلى مكة والمدينة في موسم الحج وأخذ عن العلماء المجاورين، وحصل على إجازات علمية منهم (السخاوي، د ت، ص96).

ومن أولئك العلماء الذين ساهموا في عملية التواصل العلمي، العلامة أبو بكر بن محمد بن عمران•،

[???] هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر البريهي السكسي صاحب قرية ذي سفال فقيها وعالميًا ومتفننًا في مختلف أنواع العلوم وخاصة الحديث والتفسير واللغة والنحو وتوفي في (764هـ/ 1362م).

• [???] هو محمد بن سلامة كان فقيها عالمًا زاهدًا متواضعًا غلبت عليه العبادة والنسك وتوفي في (ق8هـ/ 14م).

•• [???] هو الفقيه أبو أحمد موسى بن علي بن عمر بن عجيل بن مسرة ذاع صيته بالعلم والفقه، ويعد من أشهر علماء وفقهاء عصره حتى لقب بالشافعي الصغير، وقد توفي في (ق8هـ/ 14م) ولم يتجاوز عمره الثلاثون (الشرجي، ص343).

[???] هو أحد علماء وفقهاء بني عمران ويعد من أشهر علماء الحساب والادب وقد توفي في ق 8هـ/ 14م (الشرجي، ص384).

والعلامة محمد بن سعيد بن كبن• والعلامة العباس أحمد الشرجي••• الذي حج بيت الله الحرام سنة (835هـ/ 1431م) وتلقى العلم على يد علماء مكة (الشرجبي، 2023، ص8)، ومنهم الفقيه حسن بن محمد بن سعيد الشظبي (ت835هـ/ 1431م) الذي ارتحل إلى مكة والمدينة في موسم الحج وأخذ عن علمائها وحصل على إجازات منهم (السخاوي، د ت، ص143). ومنهم صالح بن قاسم المرادي (ت902هـ/ 1496م) الذي كان من علماء آخر العصر الرسولي، وارتحل إلى مكة مؤديًا لفريضة الحج واستغل الفرصة للاحتكاك بعلمائها، والنهل من معارفهم (السخاوي، د ت، ص314). ومنهم حمزة بن محمد البجائي (ت902هـ/ 1498م) الذي قصد مكة للحج أكثر من مرة، وكان يُدَرِس الطلبة علم المنطق واللغة والصرف وعلم المعاني (الحفناوي، 1906، ص140).

وفي الجانب الآخر من عملية التواصل العلمي؛ فهناك عدد من العلماء العرب والمسلمين الذين كان لهم دور بارز في تعزيز التواصل العلمي منهم: أبو عبد الله محمد القلعي (ت630هـ/ 1232م) وهو من مدينة حلب، وكان له تصانيف مشهورة في شتى العلوم منها مؤلفاته في الجبر والفرائض، وفي علم السياسة وفي القضاء، وقد خرج إلى الحج وجلس للتدريس بمكة وانتفع بعلمه كثير من الناس (الخزرجي، 1814، ص65). ومنهم الإمام أبو الفضائل الحسن بن محمد الصفاني (ت660هـ/ 1266م) من بغداد، جاور الحرمين الشريفين وكان عالمًا في النحو واللغة والأدب والمواريث، وله مصنفات كثيرة منها كتاب التكملة، والذيل والصلة، وكتاب الفرائض، وكتاب آخر في الوفيات (حماد، 2004، ص576).

ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن عطية المكناسي من قبيلة مكناس المغربية حج إلى بيت الله والتقى بعدد من العلماء اليمنيين (الفاسي، 1979، ص150). ومنهم إسحاق بن أبي بكر الطبري (ت670هـ) الذي التقى بعلماء اليمن ثم ارتحل إليها واستوطن زبيد وحظي بمكانة سامية بين قضاة اليمن (الفاسي، 1979، ص291). ومنهم الشيخ أبو الخطاب عمر بن عبد الرحمن القُدسي (ت688هـ/

• هو العلامة القاضي الفقيه المحدث الأصولي المتكلم محمد بن سعيد، تفقه على يد علماء زبيد، وأصبح بعد ذلك من قضاة عدن وتوفي في (ق9هـ/ 15م).

•• هو العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي، أحد علماء زبيد ومن أشهر محدثيها وأدباءها ولد سنة (812هـ/ 1407م) في زبيد وله العديد من المصنفات من أشهرها طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص وقد توفي في (893هـ/ 1487م).

1289م) من مدينة القدس ارتحل إلى مكة لأداء فريضة الحج، والتقى بعلماء اليمن ثم ارتحل إليها لتلقي العلم (الخزرجي، 1814، ص213).

ومنهم أبو عبد الله محمد الكاشغري من بلاد الترك قدم إلى مكة، والتقى بعلماء اليمن ثم ارتحل إليها وكان عالمًا في النحو واللغة والتفسير (الخزرجي، 1814، 303). ومنهم اللغوي محمد بن حجاج الحضرمي المعروف بابن مطرف الاشبيلي (ت 706هـ/ 1306م) الذي قدم حاجًا إلى مكة والتقى بالعلماء، ثم ارتحل إلى مدينة عدن لتدريس اللغة وعلومها (الفاسي، 1979، ص452).

ومنهم صفي الدين أبو عبد الله محمد الهندي (ت 715هـ/ 1315م) الذي ولد بالهند ثم خرج لأداء فريضة الحج في عام (667هـ)، وجاور بها ثلاثة أشهر ثم دخل اليمن ودَرسَ في بعض مراكزها واشتهر شهرة كبيرة بلغت الملك المظفر الذي أكرمه وأجزل له العطايا (الأسنوي، 1987، ص302).

ومن علماء المغرب العربي الشيخ محمد بن عمر الوهراني (751-843هـ) الذي اشتهرت به مدينة وهران حتى اليوم، وقد شد الرحال إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج واتصل بالعلماء المجاورين من كل البلاد الإسلامية وأخذ عنهم العلم (التلمساني، 2009، ص42-43). ومنهم محمد بن مرزوق التلمساني الخطيب (ت781هـ/ 1380م) الذي يعد من أبرز أعلام المغرب الأوسط خلال القرن الثامن الهجري، وقد حرص على تنويع مناهله والتزود بالعلم في مختلف العلوم (ابن مرزوق، 2008، ص246).

وارتحل الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التازي للحج في (830هـ/ 1426م) ثم تفرغ للعلم ومجالسة العلماء، والأخذ عنهم والتتلمذ على يد كبار العلماء منهم: أبو الفتح محمد بن بكر القرشي (التلمساني، 2009، ص139). ومنهم الأديب النحوي محمد بن أبي بكر الدماميني (ت828هـ/ 1424م)، وابن الجزري (ت833هـ/ 1429م) (العبادي، 1995، ص133).

وارتحل الإمام المحدث شهاب الدين أحمد بن عمر الأنصاري الشاذلي المصري إلى مكة لأداء فريضة الحج، وأقام بها مجلسًا للعلم وعكف عليه طلبة العلم وتوفي في (820هـ/ 1417م) (البريهي، د ت، ص241). وارتحل كذلك شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني (ت852هـ/ 1448م) إلى مكة وجاورها فترة، والتقى بعلماء اليمن ثم رحل إليها واشتغل بالتصنيف واجتمع إليه جماعة من العلماء وكانت له مع بعضهم مناظرات علمية أثرت الحياة العلمية باليمن (البريهي، د ت، ص339).

ومن أولئك العلماء فتح الدين محمد التحريري المعروف بابن الحكيم من مصر برز في الأدب والفقه

واللغة، وقصد مكة حاجا والتقى بالعديد من العلماء (الحنبلي، 1979، ص158). ومنهم الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (ت833هـ/ 1428م) صاحب كتاب العقد الثمين، كان له صلة بعلماء اليمن وقدم إليها في (805هـ/ 1402م)، وجلس للتدريس في عدد من مدارسها وكان متبحرًا في التاريخ والفقه وله عدد من المصنفات (الفاسي، 1979، ص327)، ومن العلماء عيسى بن عبد الرحمن الزواوي (ت878هـ/ 1474م)، وهو من العلماء الذين حجوا بيت الله أكثر من مرة، وكان يقوم بتدريس طلبة العلم الفرائض والحساب (السخاوي، د ت، ص15).

الخاتمة:

خلص البحث إلى عدد من النتائج المهمة التي تبرز المكانة العلمية لليمن والدور الحضاري الذي تبناه السلاطين الرسوليين ومن أبرز تلك النتائج:

- شهدت اليمن أيام الدولة الرسولية ازدهارًا علميًا وثقافيًا ملحوظًا، تجلى ذلك في اهتمام السلاطين والأمراء والتجار بالعلم وتشجيع العلماء وتقديم الدعم المالي والمادي.
- كشف البحث أن الاهتمام بالعلم والعلماء لم يكن مقتصرًا على أحد السلاطين؛ وإنما كانت سمة تميز بها كافة السلاطين الرسوليين، كما أبانت الدراسة أن اهتمام السلاطين بالعلم لم يكن قاصرًا العلوم الشرعية والدينية، وإنما طال كثير من المجالات منها: الرياضيات والطب والزراعية والفلك.
- توصلت الدراسة إلى أن اهتمام السلاطين بالعلم لم يكن مقتصرًا على تشجيع العلماء على التعليم والتأليف؛ وإنما المشاركة في التأليف الذي هو الأخر لم يكن قاصرًا على أحد السلاطين الرسوليين وإنما الغالب منهم وكانت لهم مؤلفات في الطب والزراعة والفلك وغيرها من المجالات.
- أظهرت الدراسة أن اليمن أيام الدولة الرسولية كانت نقطة جذب لكثير من العلماء المبرزين في مختلف العلوم ومن مختلف الأقطار العربية والإسلامية لما لاقوه من دعم وتشجيع من السلاطين.
- ساهم موسم الحج في بناء النهضة العلمية والحضارية لليمن ومثل نقطة التقاء وتواصل للعلماء من كافة البلدان الاسلامية.
- ساهم الحج في انتشار أسواق الكتب بمكة والمدينة وكثرت عمليات النسخ والبيع مما أدى إلى

إثراء الحركة العلمية وازدهار التأليف والإنتاج العلمي.

- ساهم موسم الحج في انتشار ظاهرة المجاورة للحرمين الشريفين من علماء اليمن وعلماء المسلمين، وقد ساهم المجاورون في إثراء الحياة العلمية وتوسيع عملية التواصل الفكري والثقافي، وانتشار المناقشات الفكرية والمناظرات العلمية، وانتاج العديد من المؤلفات في مختلف العلوم.
- برز العديد من العلماء اليمنيين وغير اليمنيين الذين كان لهم دور مهم في عملية التواصل العلمي والاحتكاك الثقافي من أبرزهم: أبو محمد عبد الله اليافعي، وموسى بن عجيل، وأحمد الشرجي والشطبي، أما من علماء العالم الإسلامي فقد برز منهم: أبو بكر القلعي وأبو الفضائل الصفاني، وأبو عبد الله المكناسي، والكاشغري وابن مطرف والاشبيلي والوهراني والفاسي وغيرهم.

المراجع:

- أحمد علي بن علي (1994) الحياة العلمية في مدينة تعز وأعمالها في عصر بني رسول (626-858هـ/1228-1454م)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
- آلاء أحمد الأصبحي (2004). المدرسة الأشرفية بتعز زمن الدولة الرسولية في اليمن (دراسة معمارية وتحليلية)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن.
- إدوار هول (2001). البعد الخفي، ترجمة سعيد الغانمي، دار الجمل، بيروت، لبنان.
- إسامة أحمد حماد (2004). مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي بني أيوب وبني رسول، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر.
- أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (1979). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط2، ج7، دار المسيرة، بيروت، لبنان.
- أبو العباس أحمد ابن القاضي (1971). درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ج3، القاهرة، مصر.
- أبو العباس أحمد الشرجي (2023). طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، تحقيق أحمد علوش، ط1، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، اليمن.
- أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي (1993). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق محمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- أبو بكر تقي الدين ابن قاص (1987). طبقات الشافعية، تصحيح وتعليق عبد العليم خان، ج2، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان.
- أبو عبد الله ابن مرزوق (2008). المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، ط1، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب.
- أحمد بن يحيى العمري (د.ت). مسالك الأمصار في ممالك الإبصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، مصر.

- أحمد شهاب الدين العسقلاني (د.ت). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج2، دار المعارف العثمانية، الهند.
- تقي الدين أبي الطيب الفاسي (1969). العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد وآخرين، ج2، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر.
- تقي الدين أحمد المقريزي (2015). السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، ج3، دار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، مصر.
- جمال الدين الأسنوي (1987). طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- خالد محسن الجابري (2005). الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي 648-923هـ/1250-1517م، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية.
- رحاب عكاوي (2002). الخوارزمي أبو عبد الله محمد بن موسى صاحب الجبر والمقابلة، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.
- طه حسين (1967). مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- طه حسين هديل (2011). "الرحلات العلمية من اليمن والأقطار الإسلامية الأخرى من القرن السابع إلى منتصف القرن التاسع الهجري/القرن الثالث عشر إلى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي"، مجلة التواصل، ع27.
- عبد الحكيم محمد العراشي (2006). "الدولة الرسولية في عهد السلطان المظفر الأول يوسف بن عمر (647هـ-694هـ): دراسة سياسية وحضارية"، مجلة اليمن، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، ع24، ص182-186.
- عبد الرحمن ابن خلدون (د.ت). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج5، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
- عبد الرحمن ابن الديبع (1979). قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ج2، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر.

- عبد الرحمن الحضرمي (1985). جامعة الأشاعر زبيد، ط1، المكتبة اليمنية، صنعاء، اليمن.
- عبد الرحمن مديري المديريس (2003). المدينة المنورة في العصر المملوكي 648-948هـ/1250-1517م: دراسة تاريخية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية.
- عبد العزيز الدوري (2016). مقدمة في تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- عبد العزيز راشد السنيدي (2005). المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة (570-660هـ/1174-1261م)، بحث مقدم إلى ندوة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية، مكة المكرمة، السعودية.
- عبد العزيز بن راشد السنيدي (2006). "أثر مكة العلمي على بلاد اليمن خلال العصرين الأموي والمملوكي"، مجلة الدرعية، السنة 9، ع34.
- عبد الغني أحمد الحاوري (2019). الحضارة الإسلامية في ركب الحضارة الإنسانية، دار المجد للنشر، صنعاء، اليمن.
- عبد الله بن حمد الحقيل (2023). رحلات الحج في عيون الرحالة وكتابات الأدباء والمؤرخين، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.
- عبد الله محمد الحبشي (1980). حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول، ط2، وزارة الإعلام، الجمهورية اليمنية، صنعاء، اليمن.
- عبد الله قايد العبادي (1995). الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية (626-858هـ/1228-1454م)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
- عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي (د.ت). طبقات صلحاء اليمن، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، اليمن.

- عبد القادر سليماني (2023). "المجاورون الجزائريون بالحرمين الشريفين في القرنين 8 و9هـ/14 و15م: الأدوار الاجتماعية والعلمية"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج8، ع3، ص739-760.
- علي بن الحسن الخزرجي (1981). العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، اليمن.
- علي بن الحسن الخزرجي (1814). العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج2، مطبعة الهلال بالفجالة، القاهرة، مصر.
- علي بن علي أحمد (1994). الحياة العلمية في مدينة تعز وأعمالها في عصر بني رسول (626-858هـ/1228-1454م)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
- علي عبد الله عباس (2010). النهضة العلمية في اليمن في العصر الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة الإيمان، صنعاء، اليمن.
- علي عبد الله الدفاع (1983). أعلام العرب والمسلمين في الطب، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- فؤاد عبد الوهاب الشامي (د.ت). رحلات الحج أثناء الحكم العثماني الثاني لليمن 1264-1337هـ/1848-1918م، بحث غير منشور، مكتبة الباحث.
- فتحية مرزوق ونور الدين شعباني (2023). "علماء المغرب الأوسط المجاورون في مكة المكرمة وإسهاماتهم العلمية خلال القرنين 8 و9هـ/14 و15م"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج19، ع1، ص594-613.
- محمد أبو القاسم الحفناوي (1906). تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيير فونتانه الشرقية، الجزائر، الجزائر.
- محمد بن عبد الله ابن بطوطة (1985). تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، تحقيق علي المنتصر الكناني، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- محمد بن عبد الحي الكتاني (د.ت). الترتيب الإداري للدولة العباسية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- محمد بن الرحمن السخاوي (د.ت). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج2، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- محمد بن صعد التلمساني (2009). روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق يحيى بو عزيز، عالم المعرفة، الجزائر، الجزائر.
- محمد بن يوسف الجندي (1995). السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ج2، وزارة الإعلام والثقافة، الجمهورية اليمنية، صنعاء، اليمن.
- محمد عابد الجابري (1986). تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- محمد محمد يحيى الحداد (1986). التاريخ العام لليمن، ج2، ط1، منشورات المدينة، بيروت، لبنان.
- محمد معمر (2023). "رحلات الحج في المغرب الأوسط إلى مكة المكرمة خلال العصر الوسيط"، مجلة الحضارة الإسلامية، مج18، ع1، ص277-295.
- محمد يحيى النحلاوي (1980). "التعريف بكتاب تسهيل المنافع في الطب والحكمة لابن الأزرق"، مجلة الإكليل، ع1، صنعاء، اليمن.
- مصطفى حاج قويدر (2023). "إسهام العلماء المجاورين المغاربة في الحركة العلمية بالحرمين الشريفين خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين"، مجلة النوازل الفقهية والقانونية، مج7، ع2.
- نوال النحلاوي (1980). "التعريف بكتاب تسهيل المنافع في الطب والحكمة لابن الأزرق"، مجلة الإكليل، ع1، صنعاء، اليمن.
- هنادي عواض الحارثي (2023). "سبل التواصل العلمي بين الحجاز واليمن والعوامل المؤثرة فيها في عصر دولة بني رسول (626-858هـ/1229-1445م)"، مجلة جامعة عدن للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج4، ع1، ص30-47.

تأثير إنترنت الأشياء (IoT) في الموارد البشرية (HR): دراسة تطبيقية مع تحليل الدور الوسيط لجودة المعلومات والاتصالات

د. عبدالتواب عبدالله القدسي [1]
د. خالد أحمد المسوري [2]

الخلاصة

في عالم اليوم تعتبر تكنولوجيا إنترنت الأشياء ظاهرة ناشئة وجديدة غيرت طريقة تفاعلنا مع محيطنا واصبحت تؤثر على جميع جوانب الحياة ومكان العمل. يهدف هذا البحث إلى دراسة تأثير إنترنت الأشياء عفي تنمية وتدريب الموارد البشرية في المؤسسات، والبحث الحالي هو بحث تطبيقي ومنهج البحث هو وصفي مسحي. ويتكون المجتمع الإحصائي للدراسة من موظفي معهد الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، تم اختيار 220 منهم باستخدام العينة العشوائية البسيطة. تم تحليل البيانات التي تم جمعها من الاستبيان باستخدام نمذجة المعادلات الهيكلية وبرامج Smart PLS وSPSS. تم استخدام الصلاحية الظاهرية والصلاحية المتقاربة لقياس صلاحية الاستبيان. وقد تم عرض الاستبيانات على عدد من الخبراء والمختصين وتم أخذ آرائهم حول الأسئلة وتم الموافقة على الاستبيان بالإجماع. ولفحص موثوقية استبيان، تم استخدام طريقة ألفا كرونباخ التي كانت قيمتها 0.891. أظهرت نتائج تحليل البيانات أن تطبيق إنترنت الأشياء له تأثير إيجابي وهام عفي جودة المعلومات وجودة الاتصالات، وتم تأكيد التأثير الإيجابي والمهم لجودة المعلومات وجودة الاتصالات في تنمية الموارد البشرية وتدريبها في هذه الدراسة، تم التحقيق في تأثير تطبيق إنترنت الأشياء في تدريب وتنمية الموارد

[1] أستاذ مساعد تكنولوجيا المعلومات، المعهد الوطني للعلوم الإدارية
abdtawan2009@gmail.com
[2] أستاذ مساعد في فسم تكنولوجيا المعلومات - المعهد الوطني للعلوم الإدارية صنعاء الجمهورية اليمنية
Khalidahmed2009@gmail.com

البشرية، الذي يمكن أن يخلق حافزًا لمديري الموارد البشرية لاستخدام أساليب التدريب الحديثة المبنية علي مفاهيم التكنولوجيا الحديثة والمتطورة.

الكلمات المفتاحية : إنترنت الأشياء، تنمية الموارد البشرية، تدريب الموارد البشرية، نمذجة المعادلات الهيكلية.

Abstract:

In today's world, Internet of Things (IoT) technology is considered an emerging and novel phenomenon that has changed the way we interact with our surroundings and has come to affect all aspects of life and the workplace. This research aims to study the impact of the Internet of Things on human resource development and training in organizations. The current study is an applied research, and the methodology adopted is a descriptive-survey method. The statistical population of the study consists of the employees of the Information and Communications Technology Institute, from which 220 individuals were selected using simple random sampling. The data collected from the questionnaire were analyzed using structural equation modeling, as well as SmartPLS and SPSS software. Face validity and convergent validity were used to measure the validity of the questionnaire. The questionnaires were presented to a number of experts and specialists, whose opinions on the questions were gathered, and the questionnaire was approved unanimously. To test the reliability of the questionnaire, Cronbach's alpha method was used, yielding a value of 0.891. The results of the data analysis showed that the implementation of the Internet of Things has a positive and significant impact on information quality and communication quality. Furthermore, the positive and significant impact of information quality and communication quality on human resource development and training was confirmed in this study. The impact of IoT implementation on human resource training and development was investigated, which can create an incentive for human resource managers to utilize modern training methods built upon modern and advanced technology concepts.

Keywords: Internet of Things, Human Resource Development, Human Resource Training, Structural Equation Modeling.

المقدمة

ظهرت شبكة الويب العالمية في عام 1990 وكان لها تأثير سريع في طريقة عمل البشر ومعيشتهم. بعد ذلك صاغ كيفن أشتون لأول مرة مصطلح " إنترنت الأشياء " في عام 1999، حيث تتفاعل جميع الكائنات بعضها مع بعض ومع البشر من خلال الإنترنت (Al-Emran et al,2020) واليوم تم تبني إنترنت الأشياء من قبل العديد من المنظمات الكبرى وجذب انتباه الباحثين والعلماء. وإنترنت الأشياء هو مجموعة من الأجهزة والأشياء التي تتصل ببعضها البعض وبالإنترنت، مما يتيح للأشياء إرسال واستقبال البيانات لتحسين عملية معالجة وإخراج المعلومات من خلال إرسال البيانات واستقبالها(Sasmita & Padma Charan, 2020). في الواقع، برز إنترنت الأشياء كنموذج جديد بهدف توفير حلول للتكامل والاتصال واستهلاك البيانات وتحليل الأجهزة الذكية (Khodadadi, Dastjerdi, & Buyya,2022).

مع إنترنت الأشياء، يتم تنفيذ جميع جوانب أنشطتنا المعرفية، الفردية والجماعية، بمشاركة الإنترنت (Smart et al.,2022) . وفقًا لتعريف معهد جارتنر للأبحاث، فإن إنترنت الأشياء شبكة من الأشياء المادية التي تتضمن مجموعة من التقنيات المضمنة للتواصل والاستشعار والتفاعل مع البيئة الخارجية أو المكونات الداخلية للكائن(zargar, 2022). وتماشياً مع التقدم التكنولوجي والتغيرات الجذرية في البيئة التنظيمية، يجب على مديري المنظمات، وخاصة مديري الموارد البشرية، مواكبة هذه التغييرات وإجراء تغييرات في أنشطتهم من توظيف الموظفين إلى الرواتب والاحتفاظ بالموظفين مع التقدم التكنولوج (Davenport et al, 2020). إن الموارد الأكثر قيمة في أي منظمة هي الموارد البشرية ومن خلال تنسيقها واستغلالها بشكل صحيح مع المكونات الأخرى للمنظمة، يمكن تحقيق أهداف المنظمة وهذه الموارد هي قدرات وإمكانات كامنة تصبح فعلية في البيئة التنظيمية، وتحقيق هذا الهدف يتطلب فهماً وإدراكاً كاملاً للإنسان وتوفير الظروف المناسبة للعمل والجهد (SARSHAR & SAMAI, 2019). ونظراً لأهمية الموارد البشرية فقد أصبح تنمية الموارد البشرية من أهم وأعظم اهتمامات المديرين والمنظمات اليوم، وتماشياً مع هذه التطورات أصبح لمفهوم تنمية الموارد البشرية اليوم مكانة متميزة في نظريات السلوك التنظيمي وإدارة الموارد البشرية والإدارة الاستراتيجية(Khalilnezhd & Mehri,2022).

نظراً لانتشار استخدام تقنية إنترنت الأشياء على نطاق واسع في العالم واهتمام الباحثين والعلماء بهذه التقنية ودراسة عواقب وتأثيرات استخدام وتطبيق إنترنت الأشياء في المنظمات، فإن الهدف

الرئيس من هذه الدراسة هو دراسة تأثير تطبيق إنترنت الأشياء في تنمية وتدريب الموارد البشرية. واليوم أصبح من الضروري دراسة آثار استخدام التقنيات الناشئة مثل إنترنت الأشياء، وتطبيقاتها في المنظمات، واستخدام خدماتها مثل العمل عن بعد والتحكم عن بعد. ويمكن أن تلعب إنترنت الأشياء دورًا مهمًا في تدريب وتطوير المنظمات من خلال توفير الظروف للتعليم عن بعد والتفاعلي وجعل التعليم عمليًا. يسعى هذا البحث إلى الإجابة على السؤال التالي: ما هو تأثير إنترنت الأشياء على تنمية وتدريب الموارد البشرية؟

إن إنترنت الأشياء لديه القدرة على تغيير الطريقة التي نتفاعل بها مع محيطنا بشكل جذري(Smart, 2017). وإنترنت الأشياء عبارة عن بنية تحتية من الأشياء والأشخاص والأنظمة وموارد المعلومات المترابطة إلى جانب الخدمات الذكية التي تمكنهم من معالجة المعلومات المتعلقة بالعالمين المادي والافتراضي والتفاعل معها(salam,2020). والمعهد الوطني للمعايير والتكنولوجيا يقوم بتعريف إنترنت الأشياء على النحو التالي: يتضمن إنترنت الأشياء ويعد ربط الأجهزة والأنظمة الذكية في قطاعات مثل النقل والطاقة والتصنيع والرعاية الصحية طريقة جديدة تمامًا للقيام بذلك. تتبنى المدن الذكية بشكل متزايد تقنيات إنترنت الأشياء لزيادة كفاءة عملياتها واستدامتها، وتحسين نوعية الحياة (Materese,2019).

على الرغم من أن مصطلح " إنترنت الأشياء " جديد نسبيًا؛ لكن مفهوم ربط أجهزة الكمبيوتر والشبكات لمراقبة الأجهزة والتحكم فيها موجود منذ عقود (Rose et al.,2022). مع ومع ذلك، فإن التقارب الأخير بين التقنيات الرئيسية مثل الإلكترونيات الدقيقة، وتكنولوجيا النانو، والتكنولوجيا الحيوية، والعلوم المعرفية، وعلم الأحياء الاصطناعي، وتقنيات الاتصالات المعلوماتية، واتجاهات السوق يبشر بواقع جديد لإنترنت الأشياء (Yawson et al,2022). إن إنترنت الأشياء يعد بفتح الباب أمام عالم " ذكي " ثوري ومترابط بشكل كامل ، مع علاقات بين الأشياء وبيئتها، وبين الأشياء والأشخاص، ويصبح الأشخاص والأشياء متشابكين بشكل متزايد (Rose et al.,2022). إن القدرة على مراقبة وإدارة الأشياء في العالم المادي إلكترونيًا تعد باتخاذ قرارات تعتمد على البيانات في مجالات جديدة من تنمية الموارد البشرية في المنظمات، وزيادة أداء الأنظمة والعمليات، وتوفير الوقت للأشخاص والشركات، وتحسين نوعية الحياة. إن تنمية الموارد البشرية في وضع فريد من نوعه لإعداد القوى العاملة لطريقة

العمل الجديدة والاستفادة من البيانات الضخمة التي تولدها إنترنت الأشياء(Manyika et al,2022). وقد أظهر أندرسون (2021) دور مشاركة إدارة الموارد البشرية في غرض وشكل توحيد معايير مجال الموارد البشرية؛ بمعنى آخر، على الرغم من عدم تحديد نتيجة مثل هذا الدور بوضوح، فإن وجود مجال إدارة الموارد البشرية يهدف إلى تشجيع وتحفيز التعلم والتطوير على المستويين التنظيمي والفردي، فضلاً عن التزام المنظمات بالأداء المستدام والشامل(Arsalan & Vaezi ,2021).

يرى يوسون (2020) أن تنمية الموارد البشرية تشمل تطوير الأفراد مع التركيز على تحسين المعرفة والمهارات والقدرات لقيادة المنظمات، وإنشاء رؤية طويلة المدى، وتطوير الاستراتيجية، والتواصل، والتحفيز نحو الرؤية، ودعم الإنتاجية(Yawson,2020). نادلر (1970) اعتبر تنمية الموارد البشرية بمثابة مجموعة من الأنشطة المنظمة التي تسبب تغيرات سلوكية خلال فترة زمنية محددة. تنمية الموارد البشرية وفقا لـ هاريسون (1992) هو أي نشاط يؤدي في المدى القريب أو البعيد إلى تنمية المعرفة والمهارات والرضا عن إنتاجية الأفراد من أجل تحقيق أهداف المنظمة، والتدريب هو تجربة تعليمية يتم إجراؤها بهدف إحداث تغييرات دائمة في الفرد لتمكينه من القيام بالعمل وتحسين قدراته وتغيير المهارات والمعارف والمواقف والسلوك الاجتماعي.(sarshar & samiei, 2019)

لقد تحول التعليم اليوم من نموذج نقل المعرفة إلى نموذج تشاركي موجه ذاتيًا. وقد أجبر هذا العديد من المديرين على إعادة التفكير في نهجهم في التدريس والتعلم. تمكن حلول إنترنت الأشياء المؤسسات التعليمية من جمع كميات هائلة من البيانات بسهولة أكبر من أجهزة الاستشعار والأجهزة القابلة للارتداء واتخاذ إجراءات ذات مغزى بناءً على هذه البيانات(Selinger et al, 2023).

"إيتاي أسو" مدير الابتكار الاستراتيجي في شركة Salesforce يقول إن إحدى أكبر الفوائد إن إنترنت الأشياء يتعلق بالتفاعلات الشخصية والفريدة مع الباحثين عن المعرفة. يساعد هذا المتعلمين ليس فقط على تلقي اقتراحات ومواضيع دروس مخصصة، بل يمكنه أيضًا حل مشكلات التعلم التي يواجهونها عن طريق إرسال تعليقات إلى المسؤولين(Asseo et al,2022).

"بوب نيلسن"، مدير حلول التسويق لشركات Extreme Networks يشير إلى أنه من الممكن استخدام الكائنات الذكية لتحسين التدريس والتعلم وناقش أيضًا دور إنترنت الأشياء في تمكين الحضور عن بعد للمتعلمين، وتحسين بيئة الفصول الدراسية، وصحة وسلامة المتعلمين (Asseo et al,

2022). ويشير "تشاباتي نيتي" مدير الابتكار في التعليم لشركة IBM الى أن إنترنت الأشياء يسمح للمديرين احتياجات فهم العاملين في مجال المعرفة وإدارة المنظمات بشكل أكثر فعالية(Asseo et al,2022). يمكن أن يساعد إنترنت الأشياء من خلال توفير تجربة تعليمية أكثر ثراءً ورؤى عملية في الوقت الفعلي حول أداء المتعلم. مساعدة المؤسسات على تحسين جودة التدريس والتعلم. ويمكن أن يؤدي هذا إلى إنشاء بيئة تعليمية ذكية حيث يمكن للمتعلمين ضبط المتغيرات البيئية مثل درجة حرارة الغرفة لتناسب اختيارهم الأمثل(Simic et al,2020). وعلى عكس الاعتقاد السائد فإن الجودة لا تعني عدم وجود عيوب بل تعني امتلاك خصائص وسمات قيمة ومرغوبة .(ISO,2020)ولجودة المعلومات أبعاد متعددة منها إدارة المعلومات وتحليلها ومراقبة الجودة والدقة والتخزين.

يذكر "تشابمان" مبادئ جودة المعلومات على النحو التالي:

- يجب تسجيل المعلومات وتخزينها في وقت الحصول عليها
- يجب أن تكون المعلومات آلية.
- يجب أن يكون هناك أرشيف للمعلومات.
- يجب أن تكون المعلومات قابلة للتتبع.
- يجب أن تكون المعلومات قابلة للعرض وقابلة للاستشهاد بها (Chapman, 2022)

في بيئة تعتمد على إنترنت الأشياء، فإن أساس اتخاذ القرارات الذكية وتوفير الخدمات هو البيانات التي يتم جمعها بواسطة أجهزة الاستشعار والمحركات. إذا كانت جودة البيانات رديئة، فقد تكون هذه القرارات الآلية غير صحيحة، بدءًا من فشل المستشعر وحتى تقديم معلومات غير صحيحة عمدًا بقصد خبيث. ومن ثم، فإن جودة البيانات مطلوبة لجذب المستخدمين للمشاركة وتبني نماذج وخدمات إنترنت الأشياء وتشير جودة البيانات إلى مدى تلبية البيانات لاحتياجات مستهلكي البيانات. وبنفس الطريقة، ترتبط جودة المعلومات بالقدرة على الحكم على مدى كفاية المعلومات لغرض محدد(Alcañiz et al, 2021).

يساهم إنترنت الأشياء في تحسين جودة الاتصالات في التعليم. يمكن للمتعلمين الوصول إلى مواد التعلم والمعلومات الأخرى من أي مكان وفي أي وقت. يمكن للمدرسين أيضًا استخدام الأجهزة القابلة للارتداء والهواتف الذكية في الفصول الدراسية لتحسين عملية التدريس والتعلم. يمكن تعريف الفصل

الدراسي الذكي بأنه بيئة ذكية مجهزة بأنواع مختلفة من وحدات الأجهزة والبرامج. تعتبر أجهزة عرض الفيديو والكاميرات وأجهزة الاستشعار وخوارزميات التعرف على الوجه أمثلة على الوحدات التي تتحكم في مختلف معلمات البيئة المادية(Xie et al,2021).

بورنا وآخرون (2019) وفي إحدى الدراسات، قاموا بفحص اكتشاف المعرفة وتطبيقها في إنترنت الأشياء. سيلعب اكتشاف المعرفة من خلال استخراج البيانات واستخراج النصوص دورًا رئيسًا في مجال الأنظمة الذكية، وبالتالي في تقديم الخدمات والبيئة المناسبة لتقديم الخدمات. تُستخدم أيضًا طرق استخراج البيانات على نطاق واسع لتجميع المعدات في شبكات الاستشعار اللاسلكية وتحديد رأس المجموعة. تقدم هذه المقالة مقدمة عن إنترنت الأشياء والهندسة المعمارية واكتشاف المعرفة ودور وتطبيق استخراج البيانات واستخراج النصوص في هذا المجال.

شكاري ودارند (2022) قاموا بدراسة أهم تطبيقات إنترنت الأشياء في النظام الإداري لمدينة يزد. يهدف هذا البحث إلى التعرف على إمكانيات تطبيق إنترنت الأشياء كأحد رموز تكنولوجيا الاتصالات المتقدمة في النظام الإداري لمدينة يزد. وبعد الاستخراج تم فحص القدرات باستخدام طريقة دلفي وتم تحليل النتائج باستخدام برنامج SPSS . وتشير نتائج التحليل العاملي الاستكشافي إلى استخراج تسعة تطبيقات رئيسة لإنترنت الأشياء في النظام الإداري لمحافظة يزد، بما في ذلك تحسين العمليات وجعلها ذكية، وتحسين جودة حياة العمل، وتحسين الرقابة، وتوفير الطاقة والتكاليف، والحد من الفساد الإداري، وتحسين جودة الخدمات، وتحسين نظام معلومات الموارد التنظيمية، وزيادة الدقة في تقديم الخدمات، وفي نهاية المطاف تحسين الإنتاجية. وأظهرت نتائج اختبار فريدمان أن تطبيق تحسينات العمليات وذكائها هو الأكثر أهمية بين العوامل.

جهان بيما (2019) قام بدراسة تطبيقات تكنولوجيا إنترنت الأشياء الجديدة في قطاع المنبع لصناعة النفط. تتناول هذه المقالة العديد من الأمثلة الناجحة لاستخدام إنترنت الأشياء وأثرها في خفض تكاليف المعدات والموارد البشرية وتحسين الإنتاج. ومن بين تطبيقاتها الاستخدام في عملية الرفع الاصطناعي، وتحسين إنتاج النفط، وزيادة عمر المعدات، وتحسين أداء المعدات، وتفتيش خطوط الأنابيب والمنشآت النفطية، التي يتم بحثها في هذه المقالة. وبحسب المؤلف، لا تزال هناك العديد من التحديات، بما في ذلك أمن الشبكات والمعلومات، في استخدام هذه التكنولوجيا، لكن هذا لا ينبغي أن

يوقف الاتجاه المتزايد لاستخدام التقنيات الجديدة في صناعة النفط.

زارغار (2019) قام بتقييم العوائق التي تحول دون تنفيذ إنترنت الأشياء في المكتبات التركية على أساس نهج هجين. وفي هذه الدراسة تم استخراج معوقات نشر إنترنت الأشياء في المكتبات من خلال مراجعة الأسس النظرية والتجريبية المتعلقة بالبحث وتم تصنيفها إلى عوامل مالية وأمنية وبشرية وبنية تحتية باستخدام أسلوب رأي الخبراء ومجموعات التركيز. ومن ثم تم تحديد العلاقة بين العوامل باستخدام طريقة DEMATEL، وتم تصنيف هذه الحواجز باستخدام تقنية عملية الشبكة التحليلية. وأظهرت النتائج التي تم الحصول عليها أن الأمن هو العائق الأول أمام نشر إنترنت الأشياء في المكتبات التركية، يليه الحواجز المتعلقة بالبنية التحتية والمالية والبشرية على التوالي.

ساسميتا وبادما تشاران (2020) في مقال، قاموا بدراسة دور إنترنت الأشياء في الموارد البشرية وحاولوا إنشاء إطار لفهم الموضوع. وفي هذه الدراسة تم استخدام أسلوب دلفي للوصول إلى توافق في وصف الدور وتطوير إطار لتحليل تأثيرات تطبيقات إنترنت الأشياء في أنشطة الموارد البشرية. اتفق خبراء الموارد البشرية والأكاديميون، كجزء من استطلاع دلفي، بالإجماع على التطبيق المستقبلي لإنترنت الأشياء في جميع أنشطة الموارد البشرية. تذكر هذه المقالة أن إنترنت الأشياء قد أعطى للشركات القدرة على الاتصال والتتبع والمراقبة وتقييم وتحليل الآلات والبشر على حد سواء في مجتمع رقمي. ويمكن أن يساعد هذا الشركات على التعامل مع الأدوات الشخصية والمؤسسية للموظفين والمؤسسات، فضلاً عن التواصل مع الفئة السكانية التي تركز على التطبيقات التي تتطلع إلى العمل عبر الإنترنت. يعمل نظام إنترنت الأشياء على تسهيل الأعمال التجارية الفعالة للشركات في مجال الموارد البشرية والتعويضات وتخطيط الموارد البشرية والتوظيف وطرق الاختيار وبيانات إدارة الموظفين وتدابير الأمن وبيانات مخزون الموارد البشرية وما إلى ذلك.

عمران وآخرون (2020) قاموا بتناول دراسة إنترنت الأشياء في التعليم. لقد حددوا إنترنت الأشياء باعتبارها المنصة الأكثر تحديًا التي ستحدد اتصال الأشياء المادية في المستقبل القريب. وبحسب رأيهم، وعلى عكس مجموعة واسعة من دراسات المراجعة التي تقوم بتحليل وتلخيص استخدام إنترنت الأشياء وتطبيقاتها في مختلف المجالات، هناك القليل جدا من الأبحاث حول التعليم وتأثير إنترنت الأشياء في هذا المجال. الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على التقدم الأخير في استخدام

تطبيقات إنترنت الأشياء في التعليم وتوفير الفرص والتحديات المختلفة للتجارب المستقبلية. وبشكل خاص، يلخص هذا الاستعراض وجهات النظر حول استخدام إنترنت الأشياء في التعليم والتدريب الطبي، والتعليم والتدريب المهني، وإنترنت الأشياء الأخضر في التعليم، والتقنيات القابلة للارتداء في التعليم. وخلصوا إلى أن تبني إنترنت الأشياء وتطبيقاته في البلدان النامية لا يزال في مراحله الأولى وأن هناك حاجة إلى مزيد من البحث في هذا المجال.

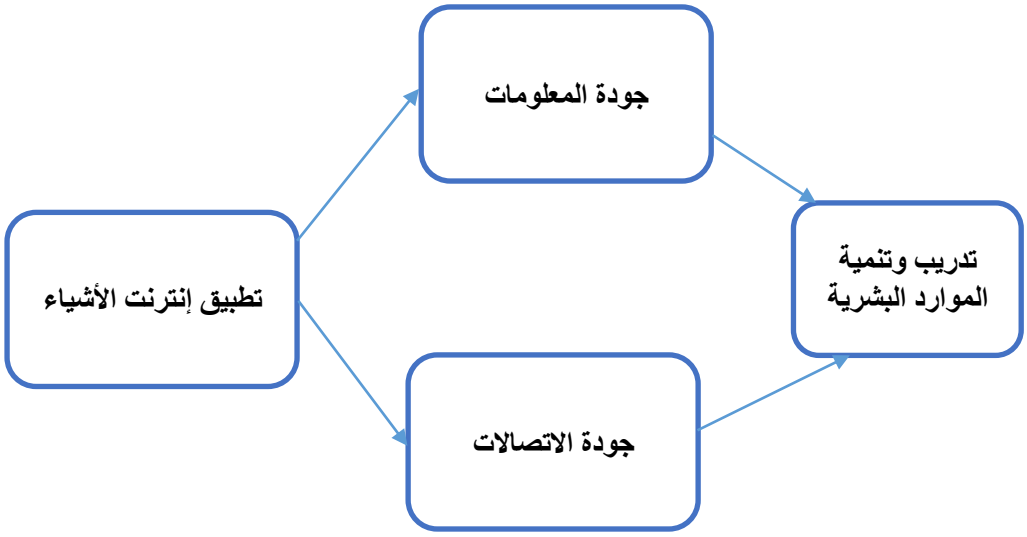
ياوسون (2022) في مقالة مراجعة بعنوان "تنمية الموارد البشرية وإنترنت الأشياء"، يتناول تاريخ وتطور إنترنت الأشياء. وبحسب قوله فإن قصة إنترنت الأشياء تعود إلى القرن التاسع عشر، عندما اخترع البارون شيلينغ التلغراف الكهرومغناطيسي في روسيا. تناقش هذه المقالة معدل النمو. إن اعتماد إنترنت الأشياء مرتفع للغاية وينمو بسرعة الضوء في السنوات الأخيرة. ويعتقد ياوسون أيضًا أن إنترنت الأشياء كمجال بحثي يفرض تحديات عميقة على تنمية الموارد البشرية. ومن المرجح أن يؤثر الكثير من هذا، بل يعطل، أبحاث وممارسات الموارد البشرية التقليدية (تحسين الأداء، والتدريب والتطوير، والقيادة والتطوير الوظيفي، والتعلم في مكان العمل) وموضوعات الموارد البشرية الناشئة (تنمية الموارد البشرية في حالات الأزمات، وتنمية الموارد البشرية الدولية).

مرشاد وآخرون (2019) بعنوان "التعليم الذكي: إطار عمل لدمج ميزات إنترنت الأشياء في أنظمة إدارة التعلم"، يصف المؤلفون التنفيذ التفصيلي لتطبيقين لنظام إدارة التعلم يستخدمان أدوات وأجهزة إنترنت الأشياء لتقديم تجارب وفرص جديدة للنظام التعليمي. بالنسبة لكل برنامج، يصف المؤلفون البرمجيات والأجهزة وأجهزة إنترنت الأشياء وأجهزة الاستشعار المستخدمة لتحقيق أهداف البرنامج والطرق المستخدمة لربط نظام إدارة التعلم بمعدات إنترنت الأشياء. بالإضافة إلى ذلك، يصف المؤلفون التجارب التي أجريت لتقييم جدوى وفعالية البرامج ودراسة أجريت لتحديد فوائد تطبيقات نظام إدارة التعلم الجديد للطلاب. وأكدت نتائج هذه الورقة أن دمج خدمات إنترنت الأشياء مع نظام إدارة التعلم له فوائد كبيرة ويجلب تجارب جديدة للطلاب.

أونيك وآخرون (2022) وفي دراسة بعنوان "أسلوب التوظيف وإدارة الموارد البشرية باستخدام تقنية البلوك تشين لصناعة الجيل الرابع"، يشيرون إلى استخدام إنترنت الأشياء لإدارة الموارد البشرية، وهو جزء من الثورة الصناعية الرابعة وبالتالي فهو ظاهرة جديدة. قاموا بدراسة استخدام blockchain

and bitcoin لتحقيق نظام إدارة المصنع الذكي والفعال من حيث التكلفة. وعلى وجه الخصوص، وجدوا أنه من خلال الخوارزميات، يمكن إنشاء نظام توظيف يعتمد على تقنية البلوك تشين ونظام إدارة الموارد البشرية يعتمد على تقنية البلوك تشين لتحقيق أقصى استفادة من المنظمة.

تم تقديم النموذج المفاهيمي للبحث كما هو موضح في الشكل (1) أدناه.



الشكل 1 : نموذج البحث

فرضيات البحث

1- H1 يؤثر إنترنت الأشياء تأثيراً ذا دلالة إحصائية على جودة المعلومات.

2- H2 يؤثر إنترنت الأشياء تأثيراً ذا دلالة إحصائية على جودة الاتصالات.

3- H3 يؤثر جودة المعلومات تأثيراً ذا دلالة إحصائية على تدريب وتنمية الموارد البشرية.

4- H4 يؤثر جودة الاتصالات تأثيراً ذا دلالة إحصائية على التدريب وتنمية الموارد البشرية.

5- H5 تتوسط جودة المعلومات العلاقة بين إنترنت الأشياء وتنمية الموارد البشرية

6- H6 تتوسط جودة الاتصالات العلاقة بين إنترنت الأشياء وتنمية الموارد البشرية

منهجية البحث

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على تأثير إنترنت الأشياء في تنمية وتدريب الموارد البشرية في المنظمة وتقديم نموذج لذلك، لذا فهي تعتبر بحثاً تطبيقياً، وبما أن بيانات هذه الدراسة تم جمعها من

خلال استبانة فإن أسلوب البحث هو وصفي مسحي. يشمل مجتمع البحث موظفي معهد الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات في صنعاء. وبما أن إنترنت الأشياء هي تقنية جديدة وعلى الرغم من الاعتراف بمزاياها وتطبيقاتها العديدة إلا أنها لم يتم تنفيذها في العديد من الصناعات والمنظمات لأسباب مختلفة منها عدم وجود البنية التحتية المناسبة والقوية، فقد تم الاستعانة بمعهد الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات في قسم السكان البحثي.

لقد تم استخدام القاعدة العامة في طريقة المعادلة الهيكلية لتحديد حجم العينة؛ وبالتالي، يتم تحديد حجم العينة بما يتراوح بين 5 إلى 15 ضعف عدد الأسئلة في الاستبيان (Hooman,2022). ويتكون الاستبيان المصمم من 24 سؤالاً، وكقاعدة عامة، يجب أن يتراوح حجم العينة بين 120 و 360 . وبناء على ذلك، تم توزيع 230 استبانة على أفراد العينة باستخدام أسلوب العينة العشوائية البسيطة.

إن أداة جمع البيانات هي الاستبانة، وقد تم استخدام معامل الصدق الظاهري والصدق التقاربي لقياس مدى صحة الاستبانة. وقد تم عرض الاستبيانات على عدد من الخبراء والمختصين وتم أخذ آرائهم حول الأسئلة وتم الموافقة على الاستبيان بالإجماع. ولفحص موثوقية استبيان المعادلة الهيكلية، تم استخدام طريقة ألفا كرونباخ، التي أعطت قيمة قدرها 0.891 . وتم استخدام برنامجي Smart PLS و SPSS لفحص تأثيرات المتغيرات على بعضها البعض والعلاقة بين مكونات هذه المتغيرات.

النتائج

استناداً إلى الأسئلة الديموغرافية في الاستبيان، يتم تقديم الإحصائيات الوصفية المتعلقة بالعوامل الديموغرافية بما في ذلك العمر والجنس ومستوى التعليم وخبرة العمل أدناه. من أجل دراسة الحالة العمرية للمستجيبين في الاستبيان، تم أخذ خمس فئات عمرية بعين الاعتبار. يوضح الجدول 1 توزيع العينة على خمس فئات عمرية.

الجدول 1 : الحالة العمرية للعينة

الحالة العمرية (بالسنوات)	الوفرة	النسبة المئوية
25-20	12	5,42
35-26	100	45.70
45-36	80	36,19
55-46	20	9.04
56 وما فوق	8	3,61

وفي الإحصاء الوصفي (الجنس) 65 % من للعينة كانوا من الرجال و 35 % من النساء. ومن الأسئلة المطروحة في القسم الديموغرافي الحالة التعليمية للعينة والتي يمكن ملاحظتها في الجدول رقم 2

الجدول 2 : المستوى التعليمي		
مستوى التعليم	الوفرة	النسبة المئوية
درجة البكالوريوس	98	44,34
درجة الماجستير	73	03/33
دكتوراه وما فوق	49	22,62

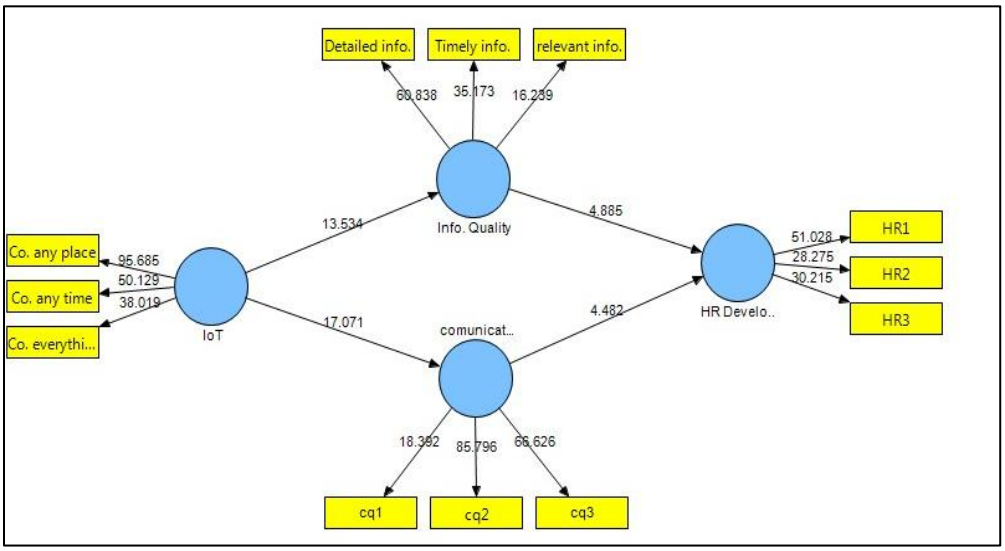
ويبين جدول التوزيع التكراري خبرات العمل الثلاثة للعينة. وتظهر النتائج أن معظم المشاركين لديهم خبرة عمل تتراوح بين 6 إلى 10 سنوات.

الجدول 3 : الخبرة العملية للمستجيبين		
تاريخ العمل	الوفرة	النسبة المئوية
أقل من 5 سنوات	35	15,83
من 6 إلى 10 سنوات	90	40,72
من 11 إلى 15 سنة	72	03/33
16 سنة وما فوق	23	10,40

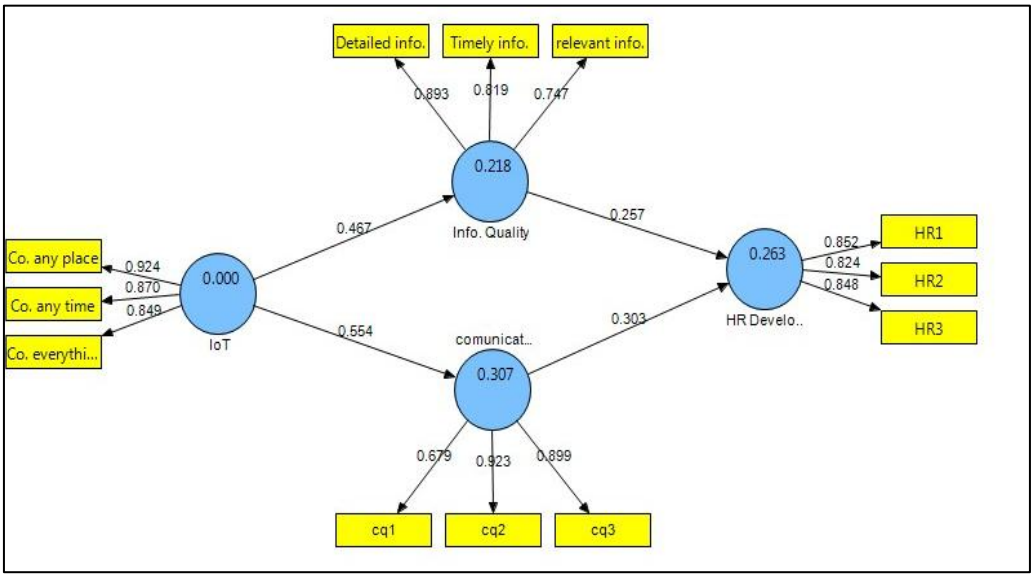
وقد تم استخدام معامل ألفا كرونباخ والموثوقية المركبة لفحص موثوقية الاستبيان، وتم استخدام الصلاحية الظاهرية والمتقاربة لفحص الصلاحية. القيمة المقبولة لمعامل ألفا كرونباخ والموثوقية المركبة هي 0,8 فأكثر ، والقيمة المقبولة للصلاحية التقاربية هي 0.5 فأكثر وتشير نتائج الاختبار في الجدول 4 إلى أن الصلاحية والموثوقية كانت ممتازة.

الجدول 4 : صحة وموثوقية أداة القياس			
عامل	الصلاحية المتقاربة (AVE)	الموثوقية المشتركة (CR)	ألفا كرونباخ
التدريب وتنمية الموارد البشرية	0,708	0,879	0,881
جودة المعلومات	0,774	0,861	0,892
تنفيذ إنترنت الأشياء	0,777	0,912	0,896
جودة الاتصالات	0,707	0,876	0,887

يوضح الشكل 2 النموذج في وضع معامل الأهمية، ويوضح الشكل 3 النموذج في وضع معامل المسار.



الشكل 2 : نموذج في وضع المعاملات المهمة ذات المعنى



الشكل 3 : النموذج في وضع معامل المسار

وبما أن مصفوفة الارتباط هي الأساس لتحليل النماذج السببية، فقد تم تقييم العلاقة بين المتغيرات المكونة للنموذج. يوضح الجدول 5 وجود علاقة موجبة وهامة بين المتغيرات.

الجدول 5 : ملخص الارتباطات بين متغيرات البحث

	التعليم وتنمية الموارد البشرية	جودة المعلومة	تنفيذ إنترنت الأشياء	جودة الاتصالات
التدريب وتنمية الموارد البشرية	1			
جودة المعلومات	0,460	1		
تنفيذ إنترنت الأشياء	0,472	0,467	1	
جودة الاتصالات	0,476	0,670	0,554	1

الجدول رقم 6 مؤشرات ملاءمة النموذج ومعايير القبول لكل مؤشر، وتشير القيم التي تم الحصول عليها إلى أن نموذج البحث يتمتع بملاءمة جيدة. المقياس الأكثر شيوعا المستخدم لتقييم النموذج البنيوي هو معامل التحديد R^2 . يوضح هذا المعامل التأثيرات المجمعة للمنشآت الخارجية على المنشآت الداخلية. القيم 0.67 و 0.33 و 0.19 لـ R^2 هي قيم مهمة ومتوسطة وضعيفة على التوالي. القيم المقبولة لـ CV- Redundancy القيم التي هي أعلى من الصفر .

الجدول 6 : الملاءمة الهيكلية للنموذج

العامل	R^2	التكرار	نتيجة الملائمة
التدريب وتنمية الموارد البشرية	0,263	0,118	مرغوب فيه
جودة المعلومات	0,218	0,141	مرغوب فيه
جودة الاتصالات	0,307	0,219	مرغوب فيه

معيار التكرار: يتم الحصول على هذا المعيار عن طريق ضرب القيم المشتركة للهياكل بقيم R^2 المقابلة لها ويشير إلى درجة تأثير مؤشرات البنية الداخلية التي تتأثر بمؤشر أو أكثر من المؤشرات الخارجية. وفيما يتعلق بقيمة المعيار لهذا المؤشر، لم يتم ذكر قيمة عددية، ويعتبر مؤشر التكرار المتوسط مقياسًا عامًا لجودة النموذج الهيكلي. يتم استخدامه لجميع البنيات الداخلية ويتم حسابه فقط للاستخدام في صيغة حساب ملاءمة النموذج الإجمالي ومؤشر جودة الملاءمة. يمكن رؤية قيم معيار التكرار في الجدول 6 .

لفحص ملاءمة النموذج الإجمالي، تم حساب معيار GOF^2 على النحو التالي:

$$GOF=\sqrt{(communality)\times(R^2)}$$

وباستخدام العلاقة أعلاه، تم أولاً حساب متوسط القيم المشتركة للمتغيرات الكامنة وبعد حساب R^2 ، التي يمكن رؤية قيمها في الجدول 3 ، فإن قيمة مؤشر GOF تساوي 0.549 ، التي، مع الأخذ في الاعتبار القيم الثلاث 0.01 و 0.25 و 0.36 كقيم ضعيفة ومتوسطة وقوية لـ GOF ، وتشير هذه القيم إلى ملاءمة عامة قوية للنموذج .

المناقشة والاستنتاج

يهدف البحث الحالي إلى دراسة تأثير إنترنت الأشياء في تنمية وتدريب الموارد البشرية. وبما أنه لم يتم إجراء أي بحث في هذا المجال في اليمن حتى الآن، فإن هذا البحث مبتكر في هذا الموضوع. إن إنترنت الأشياء ظاهرة جذبت انتباه العالم مؤخرًا، وتستخدم الشركات الكبرى في العالم إنترنت الأشياء في مؤسساتها وتقنياتها. إن استخدام إنترنت الأشياء سيؤدي إلى إحداث تغييرات كبيرة في جميع أجزاء المنظمة وسيؤثر في جميع أنشطة الموارد البشرية. ومن بين القطاعات التي يمكن أن يكون لإنترنت الأشياء فيها تأثير كبير هو قطاع التعليم وتنمية الموارد البشرية. وبما أن الموارد البشرية تعتبر من الموارد الأكثر قيمة في أي منظمة اليوم ولديها القدرة على خلق ميزة تنافسية، فقد أصبح تدريب الموارد البشرية ركيزة أساسية. وفي هذه الدراسة وبعد مراجعة المراجع المتعلقة بموضوع البحث تم تقديم نموذج وتم جمع بيانات البحث من خلال استبانة من عينة البحث والتي كانت من موظفي معهد الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات اليمن.

تم تحليل البيانات التي تم الحصول عليها باستخدام أسلوب نمذجة المعادلات الهيكلية، التي على أساسها يعمل إنترنت الأشياء على تحسين جودة الاتصالات وجودة المعلومات، وبالتالي يمكن أن يكون له تأثير في تدريب الموارد البشرية وتطويرها. ولقد تم تأكيد الفرضية الأولى التي تنص على أن " يؤثر إنترنت الأشياء تأثيراً ذا دلالة إحصائية في جودة المعلومات " . ويتطلب اتخاذ القرار فيما يتعلق بأنشطة الموارد البشرية في المقام الأول جمع البيانات الدقيقة والملائمة وفي الوقت المناسب حتى تتمكن الإدارة من اتخاذ أفضل قرار وتنفيذه من خلال تحليل البيانات. من خلال دخول إنترنت الأشياء إلى المنظمة، سوف تجعل بيئة المنظمة مركزية للبيانات وتجمع جميع البيانات المتعلقة بالموارد البشرية بدقة وخالية من الأخطاء. وتتفق النتيجة التي تم الحصول عليها من هذه الفرضية تتطابق مع نتائج بحث كساب وآخرون (2021).

الفرضية الثانية التي تنص على أن " يؤثر إنترنت الأشياء تأثيراً ذا دلالة إحصائية في جودة الاتصالات " . مع ظهور إنترنت الأشياء، سيكون لدى الأشخاص القدرة على الوصول إلى المعلومات التي يحتاجونها في أي وقت وفي أي مكان باستخدام الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر المحمولة والأجهزة

القابلة للارتداء وما إلى ذلك. وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة العمران وآخرون (2022) .

صحة الفرضية الثالثة التي تنص على أن " تؤثر جودة المعلومات تأثيراً ذا دلالة إحصائية في تدريب وتنمية الموارد البشرية "، والفرضية الرابعة التي تنص على أن " تؤثر جودة الاتصالات تأثيراً ذا دلالة إحصائية في تدريب الموارد البشرية وتنميتها " . وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج كساب وآخرون (2021) والعمران وآخرون(2022).

وفي قطاع التدريب تقع مهام مثل تحديد احتياجات التدريب، وتحديد أهداف وسياسات التدريب، وإعداد الموارد التي سيتم استخدامها، واختيار المدربين، ومراقبة وتنسيق أنشطة التدريب، وتقييم الدورات التدريبية على عاتق مديري وموظفي قطاع تدريب الموارد البشرية(saadat, 2023). وفي قطاع التدريب فإن إنترنت الأشياء من خلال توفير التدريب الافتراضي يجعل ساعات التدريب أكثر مرونة ولا يتطلب بالضرورة تواجد الموظفين في وقت محدد في مكان محدد، كما أن اختيار مكان مريح للتدريب ومتاح للموظفين سيزيد من فعالية التدريب.

وبالإضافة إلى ذلك، سيكون من الممكن تسجيل جلسات التدريب وإعادة تشغيلها بسهولة. وتتيح الأجهزة المتصلة بالإنترنت والبرامج المحملة عليها التعلم الشخصي، مما يسمح للمستخدم بالتدريس والتعلم متى وأينما شاء، كما أن البيئة التي يختارها المستخدم يمكن أن تعزز كفاءة التعلم. لذلك، يوصى بأن يقوم مديرو المنظمات بتوفير البنية التحتية اللازمة لتطبيق إنترنت الأشياء في المنظمة من خلال فحص جدوى تنفيذ إنترنت الأشياء في المنظمة. توفير التدريب اللازم لموظفي المنظمة حول إنترنت الأشياء، والحصول أيضًا على دعم حكومي لتطبيق إنترنت الأشياء من خلال تقديم خطط إبداعية.

ومن الجدير بالذكر أن استخدام وتنفيذ إنترنت الأشياء في المؤسسات والشركات اليمنية بطيء بسبب عدم وجود البنية التحتية والمنصات المناسبة للاتصالات والإنترنت، والموظفين والمديرين ببساطة غير راغبين في استخدام إنترنت الأشياء في مؤسساتهم. وفي الوقت نفسه، يفرض استخدام التقنيات الحديثة تكلفة كبيرة على المؤسسات بسبب الاوضاع الاقتصادية الحالية والسياسية في اليمن. لذلك، يقترح أن يقوم الباحثون في المستقبل بدراسة العقبات التي تحول دون تطبيق إنترنت الأشياء في مجال تدريب وتنمية الموارد البشرية في المنظمات اليمنية.

المراجع

- Alcaniz, T., González-Vidal, A., P. Ramallo, A., F. Skarmeta, A. (2021). Quality of Information within Internet of Things Data. Data Integrity and Quality, Santhosh Kumar Balan, IntechOpen, DOI: 10.5772/intechopen.95844. Available from: https://www.intechopen.com/chapters/75158.
- Al-Emran, M., Iqbal Malik, S., N. Al-Kabi, M. (2022). A Survey of Internet of Things (IoT) in Education: Opportunities and Challenges. Toward Social Internet of Things (SIoT): Enabling Technologies, Architectures and Applications. 197-209.
- Arsalan , M. & Vaezi, R. (2019). Modeling Effective and Affected Factors in the Development of Human Resource in the Public Sector of Kerman Province in 1404. Journal of Public Administration Perspective, 10(4), 65-88.
- Asseo, I., Johnson, M. Nilsson, B., Chalapathy, N. and Costello, T.J. (2022). "Internet of Things: Riding the wave in higher education", EDUCAUSEreview July/August.
- Borna, K., fathi, F., Momeni, E. (2019). Knowledge Discovery and its Application in the Internet of Things. *Knowledge Studies*, 5(17), 123-156. doi: 10.22054/jks.2019.41872.1223.
- Chapman, A. D. 2020.*Environmental Data Quality* – b. Data Cleaning Tools. Appendix I to Sistemade Informação Distribuídopara Coleções Biológicas: a integraçãodo species analyst eSinBIoTa. FAPESP/BIoTa process no. 2001/02175-5 March CRIA 57 pp. http://splink.cria.org.br/docs/appendix_i.pdf (Accessed 23 Ju n. 2020).
- Davenport, T. H., Harris, J., & Shapiro, J. (2020). Competing on talent analytics. *Harvard Business Review*, 88(10), 52-58.
- Harrison, R. (1992). Training and Development. London: Institute of Personnel Management.
- Hooman, H. A. (2020*). Structural Equation Modeling Using LISREL Software*. First edition, Tehran: SAMT Publications.
- ISO 9000. 2020. *Quality management systems -- Fundamentals and vocabulary*. The International Organization for Standardisation. www.iso.ch. (accessed 23 jun. 2020).
- Jahanpeyma, Y., (2019). Investigating the applications of new IoT technology in the upper part of the oil industry. *Scientific* Journal of *Exploration* & Production *Oil* & *Gas. 163: 14-18*

- Kassab, M., DeFranco, J., Laplante, ph. (2022). A systematic literature review on Internet of things in education: Benefits and challenges. Journal of computer Assisted learning, 1-13. https://doi.org/10.1111/jcal.12383.
- KhalilneZhad, Sh., Mehri, A. (2022). The role of knowledge management in human resource development (Case study: Tehran Region 4 Municipality). Quarterly Journal of Training & Development of Human Resources. 3 (9): 67-88.
- Khodadadi, F., Dastjerdi, A. V., & Buyya, R. (2022). *Internet of Things: An Overview*. (A. Jamalipour, H. Nikookar, & M. Ruggieri, Eds.). Geneva, Switzerland. Retrieved from http://dblp.uni trier.de/rec/bib/journals/corr/KhodadadiDB17
- Manyika, J., Chui, M., Bisson, P., Woetzel, J., Dobbs, R., Bughin, J., & Aharon, D. (2022). The Internet of Things: Mapping the value beyond the hype. *McKinsey Global Institute*, (June), 144. https://doi.org/10.1007/978-3 319-05029-4_7
- Materese, R. (2019). Internet of things (IoT). https://www.nist.gov/topics/internet-things-IoT
- Mershad, K., Damaj, A., Wakim, P., Hamieh, A. (2019). LearnSmart: A framework for integrating internet of things functionalities in learning management systems. Education and Information Technologies. Published online: 19 December 2019. https://doi.org/10.1007/s10639-019-10090-6.
- Nadler, L. (1970). Developing Human Resources. Addison-Wesley: Reading, MA.
- Onik, M. H., Miraz, M. H., & Kim, C. S. (2022). A recruitment and human resource management technique using Blockchain technology for Industry 4.0.
- Rose, K., Eldridge, S., & Chapin, L. (2022). *The Internet of Things: An Overview Understanding the Issues and Challenges of a More Connected World*. (C. Marsan, Ed.). Geneva, Switzerland: The Internet Society (ISOC).
- Saadat, Esfandiar (2023). Human resources management. Study and compilation of humanities books of universities (SAMT). Tehran.
- Salam, A. (2020). Internet of Things for Sustainable Community Development (Wireless Communications, Sensing,and Systems). Springer. https://doi.org/10.1007/978-3-030-35291-2
- Sarshar, E., & Samiei, R. (2019). Identifing the Components of Human Resource Improvement with an Emphasis on Meritocracy in the Iranian Government. Journal of Public Administration Perspective, 10(4), 176-191.

- Sasmita, M., Padma Charan, M. (2020). Framework for understanding Internet of Things in human resource management. Revista ESPACIOS. 41 (12): 3.
- Selinger, M., Sepulveda, A., and Buchan, J. (2023). "Education and the intenet of Everything," Cisco Consulting Services and Cisco EMEAR Education Team.
- Shekari, H., Darand, K. (2022). The Most Important Applications of Internet of Things in Yazd Administrative System. *Science and Technology Policy Letters*, 08(3), 77-89.
- Simic, K. Stojanovic M. and Djuric, I. (2022). "A model for smart elearning environment," the 14th international symposium SymOrg, p. 377–382.
- Smart, P. (2022). Situating Machine Intelligence Within the Cognitive Ecology of the Internet. *Minds and Machines*, *27*(2), 357–380. https://doi.org/10.1007/s11023-016-9416-z.
- Smart, P., Heersmink, R., & Clowes, R. W. (2022). The Cognitive Ecology of the Internet. In *Cognition Beyond the Brain* (pp. 251–282). Cham: Springer International Publishing. https://doi.org/10.1007/978-3-319-49115-8_13
- Xie, W., Shi, Y., Xu, G., and Xie, D. (2021). "Smart classroom: an intelligent environment for Tele-education," 2nd IEEE pacific rim conference on multimedia, China, p. 662-668 .
- Yawson, R. M., & Greiman, B. C. (2022). Strategic flexibility analysis of agrifood nanotechnology skill needs identification. *Technological Forecasting and Social Change*, *118*(C), 184–194. https://doi.org/10.1016/j.techfore.2017.02.019
- Yawson, R., Woldeab, D., Osafo, E., (2021). Human Resource Development and the Internet of Things. Proceedings of the 25th Annual Academy of Human Resource Development International Research Conference in the Americas. Richmond VA, USA. February 14 -17, 2018. DOI: 10.31124/advance.9638417.v1.
- Zargar S M.(2019). Assessment of barriers to establishing the Internet of things in libraries in Iran based on a combined approach. Iranian Research Institute for Information Science and Technology; 34 (3) :1371 1398.URL:http://jipm.irandoc.ac.ir/article-1-3773-fa.html

مهـــــددات البنيـــــة الاجتماعيـــــة والاقتصــادية في دارفــور (القــرن العشرين - الواحد والعشرين)

د. حنان عبد الرحمن عبدالله التجاني [1]

مستخلص

هدفت الدراسة الى التعرف على إقليم درافور في السودان الشرقي، وهي دولة السودان (حالياً)، بجانب المحاولة لاكتشاف اسباب النزاع والصراع اللذان أرقا المجتمع في دارفور وتسليط الضوء عليه لإبراز بعض جوانبه التاريخية والحضارية، من خلال حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والقضائية. أما الأهمية فإنها تكمن في العمل على سد بعض الثغرات المعرفية التي تخص النزاعات في دارفور.

منهجية الدارسة: اتبعت الدراسة منهج السرد التاريخي الوصفي التحليلي المستند على المصادر والمراجع الأصيلة. احتوت الدراسة على أربعة مباحث المبحث الأول تناول ضعف البنية الاجتماعية في دارفور. أما المبحث الثاني، فتحدث عن ضعف البنية الاقتصادية في دارفور ، المبحث الثالث تناول أسباب الأزمة في دارفور. ثم المبحث الرابع تناول الخلفية التاريخية عن النزاعات والصراعات في دارفور. شملت الدراسة المحورين الزماني والمكاني (الزمان: القرن العشرين والواحد والعشرين) أما المكان، فإقليم دارفور.

استطاعت الدراسة الوصول إلى بعض النتائج منها أن النزاعات والصراعات في دافور تعود تاريخيا لازمان بعيدة؛ لأن الحلول لم تكن ناجعة وجذرية معظمها مؤقتة لذلك سرعان ما تعود للاشتعال مرات عديدة لذات الأسباب القديمة، فتكررت إلى أن صارت نزاعات مسلحة ذاتية الاشتعال، هذا بجانب نقص الوعي بين أفراد المجتمع المتصارع، ربما لنقص الموارد في زمن الجفاف الذي أدي الى النزوح فصاروا يتنافسون في أماكن مصادر المياه الشحيحة، والتصادم في المساحات الزراعية ومسارات المراعي.

أما التوصيات، فقد أوصت الدراسة بإجراء المزيد من البحوث والدراسات لإكمال الجوانب

[1] أستاذ التاريخ المشارك /جامعة نيالا كلية التربية- قسم التاريخ- السودان.

Email: Hananabd779@gmail.com

الناقصة في تاريخ دافور. وعلى الجهة المعنية (الدولة) أن تقف بجانب الباحثين ومساعدتهم وتهيئة الظروف المناسبة لهم في مجال البحث العلمي.

خلصت الدراسة الى أن الصراع في دارفور صراع قديم يجب وضع الحلول والمعالجات الجذرية لها.

كلمات مفتاحية: دارفور، مهددات، أزمة دارفور، حاكورة

Abstract

This study aimed to identify the Darfur region in eastern Sudan, which is now part of Sudan. Its significance lies in its attempt to uncover the causes of the conflict that has plagued Darfur society and to shed light on some of its historical and cultural aspects, through an examination of its social, economic, cultural, and spatial life. To achieve this, the research adopts a descriptive historical narrative approach based on original sources and references. The study is divided into three sections: the first section addresses the causes of conflict in Darfur; the second section discusses the historical background of these causes; and the third section examines the justifications for conflict in Darfur. The study encompassed both temporal and spatial dimensions, focusing on the Darfur region during the 20th and 21st centuries. The study concludes with several conclusions, including that the conflicts and disputes in Darfur have deep historical roots. The solutions implemented were largely temporary and ineffective, leading to frequent flare-ups for the same underlying causes. These conflicts have become self-perpetuating armed conflicts, exacerbated by a lack of awareness among the warring communities, perhaps due to resource scarcity during periods of drought that led to displacement. This resulted in competition for scarce water sources and clashes over agricultural land and grazing routes. Finally, the study concludes that the conflict in Darfur is long-standing and has not been addressed through fundamental or sustainable solutions, as its underlying causes remain deeply rooted.

Keywords: Darfur, Threats, Darfur Crisis, Hakura

مقدمة

شكلت قضية دارفور احدى أهم القضايا التي شغلت بال انسان دارفور في بداية الألفية الثالثة، فمن صراعات بسيطة، الى أن اصبحت أزمة إنسانية عصية في تاريخها الحديث والمعاصر.

تدخلت السلطة السياسية لحلها بوساطة الادارة الأهلية لكنها لم تنجح في حل الأزمة جذرياً لذلك تحولت الصراعات من صراعات محلية الى صراعات ذات طابع دولي بالغ التعقيد، وعليه يجيئ البحث لإبراز مهددات أزمة دارفور، وبيان العوامل التي أدت إلى تفاقم الأزمة في الفترة من (2003- 2022م) وتوضيح الظروف التي تسببت في الأزمة و مراحلها والوقوف على آثارها ، ومدى تأثيرها فى واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ودور السلطة السياسية في معالجة المشكلة .

مشكلة البحث

تنبع مشكلة البحث من خلال وجود الصراع الحالي في دارفور بمراحله المختلفة، المرتبطة بالمشكلات المعقدة والتوترات الأمنية والإنسانية المتسارعة، وانعكاساتها على الأوضاع الاجتماعية كمهدد اجتماعي، واقتصادي، سياسي وثقافي لإنسان دارفور في مدى أكثر من عشرين عاماً، حيث نتجت عنها حروب أهلية, .

نتج عن ذلك ظهور مهددات اجتماعية واقتصادية شكلت الأزمة في دارفور عبر مراحلها المختلفة.

أهمية البحث

سد الثغرات المعرفية بالمعلومات الموثقة من المصادر الأصيلة في الجوانب الآتية

1- ما تعنيه مهددات الحياة الاجتماعية في دارفور في ظل الحروب والصراعات القائمة.

2- مدى تأثير تداعيات الأزمة في واقع الحياة العامة.

3- مدى تأثيرها في نمط الحياة الاقتصادية الاجتماعية.

4- دور السلطة الحاكمة في محاولة معالجة الأزمة.

أهداف البحث

1ـ تعمل الدراسة على إبراز العوامل والأسباب التي أدت إلى تفاقم الأزمة في دارفور الفترة (2003- 2022م).

2- أن تتعرف الدراسة على مراحل الأزمة(تاريخياً) وبعض الأطراف المساهمة فيها.

3- الوقوف على آثار الأزمة في إنسان دارفور.

منهج البحث

تم اختيار وتوظيف المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي .

أسئلة البحث

1- ما هي المهددات الاجتماعية في دارفور؟

2- ما مدى تأثيرها على واقع الحياة العامة؟

3- كيف تؤثر الأزمة في واقع الحياة الاقتصادية في دارفور؟

4- ما دور السلطة السياسية في معالجة المشكلة (أزمة دارفور)؟

الحدود المكانية للبحث:

إقليم دارفور.

الحدود الزمانية:

(2003ـ2022م) .

تمهيد

تقع دارفور في الجزء الغربي من السودان الشرقي، يحده من الشمال الغربي ليبيا، من الغرب تشاد، من الجنوب الغربي إفريقيا الوسطى، من الجنوب دولة جنوب السودان فضلا عن حدوده مع بعض الولايات السودانية، مثل: ولاية كردفان والولاية الشمالية .(1 عبد الحليم رجب ،الاسلام والعروبة في دارفور (ب،ت) : القاهرة ، ص12).

تتكون دارفور إدارياً منذ العام (1994م) من ثلاث ولايات هي ولاية شمال دارفور وعاصمتها الفاشر، وهي المدينة التاريخية والسياسية للإقليم بصورة عامة، ثم ولاية جنوب دارفور، وعاصمتها نيالا وهي المدينة التجارية والاقتصادية. أما الولاية الثالثة، فهي ولاية غرب دارفور، وعاصمتها الجنينة. فيما بعد تطور الإقليم وشمل خمس ولايات بإضافة ولايتي (وسط دارفور وعاصمتها زالنجي، وشرق دارفور وعاصمتها الضعين).(2 عطا البطحاني، «نحو مخطط لتحديد أنواع ومراحل النزاع في دارفور وصراع الهويات، ترجمة محمد علي جادين (هولندا: جامعة بيرغن، منشورات رواق، 2006)، ص 84.

يبلغ عدد السكان حوالى 6.7 مليون نسمة، وتعيش فيه أكثر من 100 قبيلة من أشهرها الفور التي سمّيت بها المنطقة، وقبائل أخرى عديدة منها الرزيقات، وهي قبيلة عربية تنقسم إلى رزيقات بقارة، وتعيش في جنوب الإقليم منطقة الضعين، ورزيقات أبالة وأهلها من رعاة الإبل، ومن القبائل أيضاً

الزغاوة والتنجر والميدوب والزيادية والبرتى والمساليت والتامة والفلاتة والقمر والمعاليا والبني هلبة والتعايشة والسلامات وغيرهم. (3 عطا، البطحاني ، ص14 أنظر أبو سليم، محمد إبراهيم، الفور والأرض، وثائق تمليك دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، الخرطوم، 1975ص36) .

تبلغ مساحة الإقليم حوالي نصف مليون كيلومتر مربع تقريبا، أي خمس مساحة السودان البالغة 2.505.813 كيلومتر مربع (مليون ميل مربع)، وتكثر بها المرتفعات الجبلية وأشهرها جبل مرة الذي كان ذات يوم أكثر المناطق اخضرارا في أفريقيا الساحلية، تتخللها الشلالات والبحيرات البركانية. وتنمو بها الكثير من الأشجار والغابات الكثيفة المتشابكة، كما تمتاز بأخاديد مذهلة تمتد على مد البصر بدون أن يظهر لها قرار. بيد أن المنطقة تعرضت خلال الثلاثين سنة الأخيرة لتدهور بيئي خطير بسبب موجات الجفاف والتصحر الشديدين .أثار النزاع حول الماء والعشب والأرض حالة من التوتر بين السكان الذين يعتمدون على الرعي في معيشتهم وأولئك الذين يعتمدون على الزراعة. وقد كانت النزاعات ذات مستوى قبلي محدود تشرف على حلها دائما الإدارات الأهلية، (4، التونسي ، تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ،(1965) : القاهرة،ص136 انظر أبو سن. علي عبد الله، مذكرة تاريخية عن مديرية دارفور ووضعها (1967م) الخرطوم، ، دار الوثائق القومية، ص86).

المبحث الأول: المهددات في دارفور أ ــ (ضعف البنية الاجتماعية)

انقسمت القبائل في دارفور إلى قسمين أساسيين القسم الأول: يضم القبائل الأفريقية، مثل: الفور والزغاوة والمساليت والبرتى والبرقو والفلاتة وغيرهم. أما القسم الثاني، فيضم القبائل العربية، مثل: التعايشة والبني هلبة والرزيقات والمسيرية والمعاليا وغيرهم (5عبد الحليم رجب ، مرجع سبق ذكره، ص19).

من الصعب الجزم بالقول بإن للمجتمع السوداني الدارفوري القدرة على تأسيس بنية اجتماعية قوية موحدة في ظل هيمنة القبيلة وثقافتها التقليدية، فالنظام القبلي لم يتغير في جوهره، بل اكتفى بإدخال قيم وآليات جديدة مناهضة لطبيعة القيم الإيجابية في منظومة الثقافة القبلية، وهذا سهَّل إعادة إنتاج القبيلة كنظام معزول ومغلق ومقاوم لأي مدخل جديد قادم من الخارج، خاصة إذا كانت نتائجه تحرير الأفراد من الخضوع للبنية القبلية ككتلة، وهذا الإدخال الجديد حصل بفعل الشيخ (زعيم القبيلة) والدولة .(6 الرشيد رمضان سعد الله، «أثر الإثنية على النزاعات القبلية في أفريقيا:

دراسة حالة السودان – دارفور نموذجاً،» (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم السياسية، جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم، (2008)، ص 52).

إن التجديد الذي يحدث بفعل التعليم والإعلام والتجارة والتفاعل الاجتماعي والسياسي تم قتل نتائجه بتفعيل آليات الصراع بين القبائل كما هو الحال في كل من دارفور والنيل الأزرق وجنوب كردفان وغيرها من المناطق الأخرى في السودان، وهذا أسهم في إعادة إنتاج القيم السلبية كالثأر والإحساس بالخوف من الآخر والتكتل لمواجهته، وتفعيل العصبية كمهدد جوهري للفعل، وأسهم أيضا في السير بالقبيلة في اتجاهات سلوكية عصية سهلت بناء جماعات متنافرة ومتنازعة، وهذا بطبيعة الحال أدى إلى خلق قيادات مشائخية متعددة في منظومة القبيلة الواحدة والتي غالبًا ما تكون خاضعة لقوة أكبر منها على رأس المنظومة القبلية، التي تعتمد على قوة تحالفاته وقدرته على إدارة صراعاته بالدهاء العشائري، وتلعب قوته المالية والسلطوية في منظومة الدولة دورًا فاعلًا في تعزيز قوّته وهيمنته.(7الرشيد ، رمضان ، 2008م ص52) .وبفعل قوة النخب (زعماء القبائل) فقدت الدولة هيبتها إذ صعب عليها السيطرة التامة وقانونها لا يطبق إلا على الضعفاء؛ لذا فإن أغلب الخاضعين للدولة من عموم الناس يحسون بالظلم والقهر مما جعلت علاقتهم سلبية بالدولة.(8 زكي البحيري، مشكلة دارفور: الجذور التاريخية، الأبعاد الاجتماعية والتطورات السياسية، القاهرة، 2006، ص. 150-149).

عندما تصبح القبيلة مصدر شرعية الدولة وكلاهما مرتهن بالفعل الأصولي فإن الدولة تصبح ضعيفة وهشة، وكلما ضعفت المؤسسة العسكرية والقوى الحديثة أو تحالفت بعض القبائل مع الدولة ضد قبائل أخرى، يصبح الصراع حادًا وخطيرًا ومؤلمًا، ويأخذ مسارات كثيرة لا ينتج عنها سوي الأزمات القاتلة للدولة، وكما هو الحال في الصراعات القبلية في غرب السودان(دارفور)، التي تحولت لاحقًا إلى حركات مسلحة تطالب بالعدالة الاجتماعية والمشاركة السياسية.(9 حقار، البعد السياسي للصراع القبلي في دارفور، ص 181، ومحمد سليمان محمد، السودان: حروب الموارد والهوية (الخرطوم: دار عزة للنشر، 2006)، ص 356 – 359).

يمثل إقليم دارفور تاريخياً بتداخلاته الإثنية وامتداداته القبلية أحد أهم العوامل التي اججت الصراعات داخل الإقليم وعبر حدوده. ظلت دارفور طوال الفترة 1916 – 1956 جزءاً لا يتجزأ من

السودان الحديث كمنطقة ينقصها الوعي، يحكمها موظفون بريطانيون باعتماد كبير على نظام الإدارة الأهلية. نتج عن ذلك صراعات قبلية طفيفة في بادي الأمر فيتم حسمها بوساطات تقليدية (تدخل الأجاويد) ثم تمرحلت الصراعات وتوسعت فأصبحت ذات طابع غير موجه مما جعلت القبائل تتنافر فيما بينها فتولدت الكراهية فحملوا السلاح، فظهرت الجماعات المسلحة فعرف لاحقا بالنزاع المسلح ، فالحرب في دارفور هي نزاع مسلح يجري في منطقة دارفور في السودان، (اندلع في فبراير 2003 م عندما بدأت مجموعتان متمردتان هما حركة تحرير السودان وحركة العدل والمساواة بحمل السلاح). إزاء ذلك يتفق معظم المحللين وبعض الكتاب على الزعم بأن إقليم دارفور كان يعاني تهميشًا واضحًا من الحكومات المركزية على مدار تاريخ السودان المستقل، رغم إسهامه الكبير في بناء الدولة.(10 سعد الله، «أثر الإثنية على النزاعات القبلية في أفريقيا: دراسة حالة السودان – دارفور نموذجاً،» ص 27 انظر عبد الله. علي حسن ، الحكم والإدارة في السودان، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1986ص56)

مرّ إقليم دارفور بحقب تاريخية متعددة، ما بين قيام مملكة دارفور في العام(1445م) وخضوعها للحكم المصري التركي العام(1874م) ثم خضوعها لحكم الدولة المهدية بقيادة محمد أحمد المهدي العام(1885وبعد وفاة المهدي سيطر الخليفة عبد الله التعايشي، على شؤون الدولة المهدية، فعمل على تهجير القبائل في دارفور قسراً مما سبب خللاً في البنية الاجتماعية، كما لم ينجح في صدّ الهجوم الإنجليزي-المصري الذي كان يقوده الجنرال كتشنر في موقعة (كرري)، فاحتلت الجيوش الإنكليزية-المصرية أم درمان عاصمة المهدي. أما دارفور فاستطاع علي دينار أن يسترد ملك آبائه ويستقل عن حكومة السودان لمدة 28 عاماً إلى أن وقعت الحرب العالمية الأولى ووقف السلطان علي دينار إلى جانب الدولة العثمانية في حربها ضد الحلفاء، وهنا قرر الإنكليز وحكومة السودان الثنائية الاستيلاء الكامل على دارفور التي أصبحت خاضعة خضوعاً فعلياً للحكم الثنائي كباقي أقاليم السودان وذلك في العام(1916م) بعد القضاء على جيوش علي دينار ومقتله. وبذلك دخلت دارفور تحت الإدارة الثنائية حتى نهاية الحكم الثنائي واستقلال السودان العام(1956م) (11حسين. عبد الله، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة، مصر، 2012.).

المبحث الثاني: ب ــ ضعف البنية الاقتصادية

إن الحرب في كل مكان لها انعكاسات سلبية حادة خاصة على المستويين الاقتصادي والإنساني. فإن حكومة السودان أنفقت على حرب دارفور مبالغ كبيرة للغاية ما يعادل 162 % من الناتج المحلي

الإجمالي خلال سنوات الحرب. ويشتمل هذا على 10.08 بليون دولار في صورة نفقات عسكرية مباشرة، و7.2 بليون دولار في صورة خسائر في الإنتاجية فقدها النازحون عن أراضيهم داخل دارفور، و2.6 بليون دولار في صورة خسائر في المدخرات الحياتية فقدها القتلى في الحرب، و4.1 بليون دولار خسائر نتجت عن الإضرار بالبنية الأساسية.

وفي الوقت الذي كانت الدولة على مدار عقدين توجه ما نسبته 1.3 % من ميزانيتها إلى الصحة العامة و1.2 % إلى التعليم، فإنها كانت تنفق ما نسبته 23 % من الميزانية السنوية إلى المجهود الحربي في سنوات الحرب في دارفور، فأصبح ذلك خصماً على التنمية في دارفور، فتأثر الدخل الفردي بصورة كبيرة علاوة على الدخل الكلي العام فتدهور الاقتصاد المحلي مما أدى الى النزوح وهجرة التجار اصحاب رأس المال .(12)

تسبب ارتفاع عدد النازحين إلى ضعف التنمية البشرية، وخلق تحديات كبرى أمام تلبية الأهداف التنموية في الألفية الثالثة. وقد خلّفت الحرب التي شهدتها دارفور أكثر من 30 ألف قتيل، ونزوح 3 ملايين إنسان وإضرام النيران في عدة قري، وفقدان ما قيمته ملايين الدولارات من المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية التي تم نهبها، وفيما وراء ذلك لا يمكن تقدير الخسائر النفسية التي ترتبت على تلك الحرب وما ارتبط بها من تمزيق اللحمة الاجتماعية. كما تعرضت الأولويات الاقتصادية لخلل تام.(13 يوسف خميس أورفاس، ورقة بعنوان أزمة دارفور: أسبابها وتداعياتها الاقتصادية، قدمت في المنتدى العلمي لمستقبل وادي النيل، جامعة القاهرة، 13-14، 2004، ص. 14).

إن خسائر الأرواح أو الدخل الذي كان يُنتظر أن يجلبه الذين لقوا حتفهم يجب أن يؤخذ في الاعتبار. فنظرا لعدم وجود بيانات كافية، فإنه لا يمكن تقدير وتحديد قيمة المفقود غير المباشر على وجه المثال هروب رؤوس الأموال، هجرة العمالة المدربة وضياع فرص التعليم للأجيال الجديدة.

المبحث الثالث: أسباب النزاع القبلي في دارفور

ارتبط النزاع (Dispute) وما يتبعه من الصراع القبلي (Conflict) في السودان بصورة عامة ودارفور بصورة خاصة ببنية الدولة ونظامها. هما اللتان نقلتا النزاع الاجتماعي إلى صراع سياسي. فالنزاعات الاجتماعية موجودة في كل المجتمعات، وكذلك الصراعات القبلية خاصة في المجتمعات التي ينقصها الوعي. لكن إذا تحول إلى عنف وتصعيد يزداد حدة التوتر ويزداد الصراع خاصة المسلح فتصبح ظاهرة ومعضلة تتجاوز طبيعة النزاع القبلي التقليدي. حيث إن المجتمعات التقليدية التي قوامها نظام

قبلي تندلع فيها هذه النزاعات والصراعات من حين إلى آخر بسبب النزاع حول المرعى أو عمليات ثأر قبلي، ولكنها عادة تكون محدودة ويتم احتواؤها بالأعراف القبلية. أما زيادة معدلات النزاع خلال فترات زمنية قصيرة مع تنوع اسباب الاختلاف وتكرارها وكثافة عدد الضحايا وتفاقم حجم الخسائر، فإنها تصبح ظاهرة تؤثر في التماسك الاجتماعي والاستقرار . (14 صالح. التجاني مصطفى محمد، الصراع القبلي في دارفور، أسبابه وتداعياته وعلاجه : دراسة في علم الاجتماع والانثروبولوجيا التطبيقية، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 2000ص165).

عند استقراء ظاهرة الصراعات القبلية في السودان (دارفور) يتضح أنها ظهرت بوصفها تنافساً أو نزاعاً قبلياً على الموارد الزراعية والحيوانية ومصادر المياه الشحيحة التي ظهرت نتيجة للكوارث الطبيعية (مثل الجفاف والتصحر)، ويتعقد بسبب التمسك بالمفهوم التقليدي لـ«الحاكورة»، (يعد نظام الحاكورة نمط من انماط الانظمة التي تخصص لملكية الاراضي في سلطنة الفور). إلا أنه ينطوي على اعتراض كثير من القبائل على شكل التنظيم الحديث وآليات الدولة الحديثة التي بدأت تؤثر في آلية البنية التقليدية للمجتمع القبلي وهي «الإدارة الأهلية». كما أن غياب الوعي بين القبائل في حل النزاعات الإثنية، وعسكرة القبائل، وظهور «المحاصصة السياسية في تلك المرحلة» بدلاً عن الحزبية في العملية السياسية، بما أن كليهما اليتان لتوزيع المناصب لكن الاختلاف في الأساس الذي يتم عليه التقسيم فالمحاصصة السياسية تكون على أساس قبلي، طائفي، عرقي أو مناطقي بينما المحاصصة الحزبية توزع المناصب بناءً على الوزن الانتخابي للحزب. أدى ذلك إلى تصاعد الصراعات القبلية وتعقيدها. وقد تجلى ذلك بوضوح في تفاقم أزمة دارفور. (15التجاني، صالح، ص166 أنظر. رزق مرقص، تطور نظام الإدارة الأهلية في السودان في عهد الحكم الثنائي الأول 1899 – 1924، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1984م).

الجدير بالذكر أن النزاعات القبلية في السودان ارتبطت بأسباب وعوامل متعددة: مثل: .

أـ الصراع حول الأرض (الحواكير، المراعي، الزراعة: الرُحل ضد المزارعين).

ب - غياب التنمية الشاملة العادلة مع غياب توظيف هذه الموارد لخدمة الإنسان والحيوان.

ج - إلغاء الإدارة الأهلية، ثم إعادتها مع إضعافها وتسييسها مما نتج منه فراغ إداري وفراغ أمني أدى الى تصعيد الصراع القبلي والذي تقاطع مع ظهور الحركات المسلحة فاتسع وأصبح أكثر دموية.

د ـ أداء الميليشيات القبلية لأدوار أمنية هي من صميم عمل الأجهزة الشرطية والقضائية.

هـ - انتشار السلاح بسبب الصراعات. (16 صلاح الدين حمزة الحسن، أزمة دارفور وتوصيات هارتزل، على موقع المركز السوداني للخدمات الصحفية، تاريخ 25 مايو 2005). وادي النيل، جامعة القاهرة، 2004، ص. 14).

نظراً لظهور الحركات المسلحة أصبح هناك تصادم بين الحكومة والحركات فانتقلت الصراعات القبلية إلى مراحل معقدة .(17 جاد الله. عبد الله على، مع الإدارة الأهلية في مسيرتها، مركز عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أم درمان الأهلية، 2005 ص87).

المبحث الرابع: الخلفية التأريخية للنزاع في دارفور

الحرب في دارفور هو نزاع مسلح يجري في منطقة دارفور في السودان، منذ فبراير 2003م عندما بدأت مجموعتان متمردتان هما حركة تحرير السودان وحركة العدل والمساواة بحمل السلاح. وعلى الرغم من أن انفجار الوضع بصورة واسعة في دارفور يعود إلى العام 2003 م، إلا أن الأضواء كانت مسلّطة عليه منذ ثلاثة عقود حيث شهدت أوضاعاً مضطربة، ولم يعرف الاستقرار الأمني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي بسبب عدة ظواهر أمنية وسياسية وطبيعية (جفاف وتصحّر) أدت إلى ثلاث مجاعات كبيرة في الأعوام 1973م و1985م و1992م ،كذلك أدّى الصراع التشادي التشادي، والصراع الليبي التشادي خلال الثمانينات وبداية التسعينات من القرن المنصرم إلى انتشار السلاح والجماعات المسلحة في الإقليم، وبالتالي قاد إلى ظاهرة النهب المسلح التي استفحلت في المنطقة، متزامنة مع الجفاف والتصحّر، وقد ذهب ضحيتها أكثر من 15 ألف نسمة،كذلك استوطن أكثر من ثلاثة ملايين تشادي في السودان، نصفهم في دارفور وخصوصاً في المناطق الحدودية الجنوبية الغربية والشرقية (علماً أن هناك أكثر من 50 قبيلة مشتركة بين السودان وتشاد)بمعنى أن هناك قبائل في دارفور جذورها في تشاد أو العكس كما أن عامل المصاهرة بين القبائل في تشاد ودارفور لها كبير الأثر في عملية الدمج ثم الحماية ، بجانب ذلك في حالات الاضطرابات السياسية في اي من الدولتين سرعان ما تلجأ تلك القبائل الى دارفور أو العكس ، جراء ذلك تدفق السلاح بكثافة في دارفور فأصبح العنصر التشادي، سواء من القبائل الأفريقية أو العربية، مشاركاً في التدهور الأمني في دارفور على مدى السنوات الماضية.(18 دار الوثائق القومية، الخرطوم. أبي شوك. أحمد إبراهيم، "مذكرة عن الإدارة الأهلية النشأة والتطور"، متنوعات 12/265/3520 ،

لعبت حرب الجنوب وتطورات الأوضاع في أثيوبيا دوراً مهماً في تأجيج الوضع الأمني في دارفور. وقد استفادت القبائل المختلفة من توافر السلاح الذي يتم تهريبه إلى المنطقة، كما استفادت القبائل من السياسة التي انتهجتها الحكومة السودانية بتدريب الأفراد للدفاع الشعبي في مواجهة حرب الجنوب والتدرّب على السلاح بطريقة رسمية لحماية قبائلهم في مواجهة القبائل الأخرى،وأدّت الهجرة بسبب الجفاف والبحث عن مراعٍ وأرض زراعية خصبة إلى الاحتكاك مع القبائل المحلية التي دخلت في صراعات محلية شملت القبائل العربية فيما بينها، كما حدث بين قبيلتي البني هلبة والمهرية العام 1984 والقبائل ذات الأصول الأفريقية بين دار القمر والفلاتة في العام 1987،بيد أن هذه الصراعات القبلية تطوَّرت إلى تحالف بعض القبائل العربية ضد قبيلة الفور ذات الأصول الأفريقية في مناطق جبل مرة ووادي صالح، بعد الانفلات الأمني العام 1986.(19 يوسف خميس ، ورقة بعنوان أزمة دارفور: اسبابها وتداعياتها الاقتصادية، قدمت في المنتدى العلمي لمستقبل وادي النيل، جامعة القاهرة، 2004، ص. 14).

الواقع أن مشكلة دارفور ليست وليدة أحداث العام 2003م فحسب، إنما هي حصيلة نزاعات وتراكمات ورواسب ظلت مكتومة ولم تسلّط عليها الأضواء بما أن المنطقة لم تشهد وجود مشاريع تنموية ملحوظة باستثناء مشروع غرب السافانا ومشروع تنمية جبل مرّة ومشروع أبحاث غزالة، بالإضافة إلى وجود نقص كبير في المدارس والمستشفيات. وقد ساهمت كل هذه العوامل في استفحال الأمر الذي تحوَّل من غبن محلي ونزوح داخلي إلى تمرد مسلح ضد الحكومة له أهدافها، وقد ساعدت في ذلك سياسات الحكومة المركزية في الخرطوم التي بقيت تنظر إلى دارفور على أنها منطقة مرشحة للتمرد بعد ثورة داوود بولاد القيادي في الجبهة الإسلامية القومية، والذي انضمّ إلى الحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة جون قرنق (غارانغ) في بداية التسعينات، (20 محمد حمدان، «أمراء الحرب في دارفور: حرب القبائل .. الأيادي الخفية،» تقرير في صحيفة السوداني (الخرطوم)، 26/4/2015، ص 3).

قتل داوود بولاد وبعد مقتله بدأت قبيلة الفور في وضع الترتيبات اللازمة لإنشاء كيان عسكري بدلاً عن الميليشيات غير المنظمة، وأجرت اتصالات مع الحركة الشعبية لتحرير السودان بزعامة جون قرنق، ومع قياداتها السياسية في الخارج وعلى رأسهم أحمد ابراهيم دريج حاكم إقليم دارفور ورئيس الحزب الفيدرالي. بيد أن الصراع لم يتطوَّر إلى صراع سياسي عسكري وتمرد مسلح إلا بعد قيام مجموعة مسلحة من أبناء قبيلة الفور بالتحالف مع الزغاوة باحتلال مدينة قولو عاصمة محافظة

جبل مرة غرب دارفور في 19 /يوليو 2002، حيث تم وللمرة الأولى إعلان الحركة المسلحة، وقاموا بتوزيع منشورات سياسية باسم جيش تحرير دارفور، وكانت أهداف الحركة الجديدة تحرير الإقليم من سيطرة النظام القائم بحجة مساهمتهم في تهميش المنطقة. (21 ميشال بارنييه، أزمة دارفور: الطبيب والجندي والدبلوماسيين، جريدة الأهرام، 12 أغسطس 2004).

العام 2003م تحوَّلت دارفور إلى منطقة عمليات عسكرية لمواجهة التحالف الجديد بقيادة جيش تحرير السودان، خصوصاً وأن الحكومة بدأت في التنبه إلى خطورة الادعاءات التي أخذت تنتشر من أن مسلحي الزغاوة يسعون لإقامة دولة الزغاوة الكبرى التي تضم دارفور وتشاد وأجزاء من ليبيا والنيجر. وتزامن ذلك مع انضمام أعداد كبيرة من الزغاوة إلى حركة تحرير السودان وإلى حركة العدالة والمساواة التي أسسها الدكتور خليل إبراهيم. (22 كمال حمّاد، إدارة الأزمات، مجلة الدفاع الوطني، العدد 75، تموز 2006، ص. 149- 150). انظر زكي البحيري، مشكلة دارفور، مرجع سبق ذكره، ص. 22.

الخاتمة

خلصت الدراسة الى أن دارفور شهدت في العقود الثلاثة الاخيرة موجة عارمة من النزاعات والصراعات القبلية، بما أنها كانت تعيش ككتلة واحدة بالرغم من التعدد القبلي والإثني بجانب تباين العادات والتقاليد والثقافات.

لكن بمرور الوقت ظهرت خلافات حادة بين بعض المجموعات القبلية مما أدي الى حمل السلاح والقتل، حينها تدخلت الادارات الأهلية لفض النزاع لكن غالباً ما تكون الحلول مؤقتة لأنهم سرعان ما يعودون الى ذات النزاع بصورة أقوى من ذي قبل فيلجأون الى المحاكم المحلية، أحيانا تحل المشكلة نهائيا ومرات أخرى تعقد مصالحات بين المتخاصمين لكن لا تنتهي الخلافات بصورة نهائية لأن دايما أحد الأطراف لا يكون راضيا عن الحل المطروح.

لذلك تفاقمت الصراعات القبلية في دارفور ربما لأسباب أخرى مثل: شح الموارد في زمن الجفاف أو الكوارث الطبيعية، الحروب الأهلية، عدم الوعي الكافي بين مجموعات النزاع والنزوح بجانب الاضطرابات السياسية، تلك الأسباب مجتمعة ادت الى تفاقم الازمة في دارفور.

النتائج والتوصيات

1 ـ النتائج

1 ـ تعرض انسان دارفور للعنف الاجتماعي بسبب الحروب.

2- الظروف الاقتصادية الصعبة بدارفور اسهمت في ظهور الأزمة وتفاقمها .

3- أثرت الأزمة في تفويت معظم الفرص الاقتصادية لإنسان دارفور.

4- عدم الوعي الكافي للقبائل أجج الأزمة في دارفور.

5- الصراعات على الأرض والموارد الزراعية والرعوية زاد من حجم الأزمة .

6- النزاعات في دارفور وعلى مدى عشرات السنين لم تكن دائماً إثنية أو مسيّسة. حيث كانت هناك نزاعات داخل المجموعات العربية نفسها وداخل الزنجية فيما بينها أيضاً. ويُعد الصراع بين المزارعين والرعاة والتنافس حول موارد المياه الشحيحة والأرض الصالحة للزراعة، وأحدة من الصراعات التقليدية على وجه العموم في القارة الأفريقية. وقد اكتسبت صفة خاصة في السودان، وعلى وجه الخصوص في دارفور، هذا بجانب التغيرات المناخية والتحولات البيئية المطرية خلال العقدين الماضيين الذي حدث فيه انحسار نطاق المراعي والموارد المائية إضافة إلى قلة الرقعة الزراعية نتيجة لانجراف التربة الخصبة بواسطة عوامل التعرية ومن ثم الضغط على الموارد الشحيحة، والتنافس الحاد بين المزارعين والرعاة.

2 ـ التوصيات

1- ضرورة العمل على بناء البنية الاجتماعية من خلال إجراء المصالحات القبلية وإيجاد حلول حقيقية وجذرية حتى يعود الاقليم بل المجتمع الى أفضل حال.

2- عدم الزج بالمكونات القبلية في الصراعات السياسية التي تحدث بين النخب المتصارعة على السلطة وذلك للمحافظة على النسيج الاجتماعي بولايات دارفور.

3- ضرورة إعادة النظر في عملية دفع الديات الذي أصبح يشكل هاجساً لأهل دارفور بسبب أنها تشجع على تفشي الصراع بجانب أنها تمثل حافزاً على استمرار القتل في دارفور بطريقة غير مباشرة.

4- إعادة النظر في قوانين الأرض وتعديلها بما يحقق العدالة ويضع حداً للصراع.

5- محاربة المفاهيم السالبة مثل المفهوم عن للحاكورة، والعمل على تغييرها بثقافة المواطنة والقانون وسلطة الدولة المركزية والملكية العامة للأرض.
6- العمل الجاد على جمع السلاح من المواطنين ومن القبائل ومن الميليشيات المختلفة وتقوية القوات النظامية وتكثيف نشرها في مناطق التوتر والنزاع.
7- أن ترتفع النخبة الدارفورية إلى مستوى المسؤولية التاريخية وتضع في أولوية جدول أعمالها بناء السلام.
8- يجب على كل فرد الاهتمام بدوره الوطني حتى يتسنى له تجاوز الولاءات الضيقة.
9- بما أن معظم اهل دافور كانوا يمارسون الزراعة والرعي فلا غرو عندما تتطاحن القبائل حول المساحات الزراعية والمسارات الرعوية، لكن لا ينبغي أن تصل هذه الاحتكاكات الى مرحلة الاختلافات الحادة حتى يصعب حلها.

□

قائمة المصادر والمراجع

1ـ عطا البطحاني، «نحو مخطط لتحديد أنواع ومراحل النزاع في دارفور، دارفور، إقليم العذاب: إشكالية الموقع وصراع الهويات، ترجمة محمد علي جادين 2006م (هولندا: جامعة بيرغن، منشورات رواق)

2ـ الرشيد رمضان سعد الله، «أثر الإثنية على النزاعات القبلية في أفريقيا: دراسة حالة السودان – دارفور نموذجاً،» 2008م (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم السياسية، الخرطوم، جامعة أم درمان الإسلامية.

3ـ سعد الله، «أثر الإثنية على النزاعات القبلية في أفريقيا: دراسة حالة السودان –دارفور نموذجاً،»

4 ـ حقار، البعد السياسي للصراع القبلي في دارفور، ومحمد سليمان محمد، السودان: حروب الموارد والهوية 2006م، الخرطوم: دار عزة للنشر.

5 ـ محمد حمدان، «أمراء الحرب في دارفور: حرب القبائل.. الأيادي الخفية،» تقرير في صحيفة السوداني (الخرطوم)، 26/4/2015.

6 ـ آدم. إيدام عبد الرحمن، تاريخ دارفور منذ عهد السلطنات في العصور الوسطى، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 2008.

7 ـ أبو سليم، محمد إبراهيم، الفور والأرض، وثائق تمليك، 1975م: الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، الخرطوم.

8 ـ أبو سن. علي عبد الله، مذكرة تاريخية عن مديرية دارفور ووضعها 1967م: الخرطوم، دار الوثائق القومية.

9 ـ جاد الله. عبد الله على، مع الإدارة الأهلية في مسيرتها 2005م الخرطوم، مركز عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أم درمان الأهلية.

10 ـ حسين. عبد الله، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، 2012م ج1، مصر، مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة.

11 ـ داود. عبد المجيد عبد الرحمن، صراع الموارد وأثرها على الأمن الوطني السوداني 2009م الخرطوم، مركز إيمان للطباعة والنشر.

12 ـ صالح. التجاني مصطفى محمد، الصراع القبلي في دارفور، أسبابه وتداعياته وعلاجه،2000م: دراسة في علم الاجتماع والانثروبولوجيا التطبيقية الخرطوم، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة.

13ـ عبد الله. علي حسن، الحكم والإدارة في السودان،1986م: القاهرة دار المستقبل العربي.

14ـ رزق مرقص، تطور نظام الإدارة الأهلية في السودان في عهد الحكم الثنائي الأول 1899 – 1924، 1984م: القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

15ـ جعفر محمد علي بخيت، الإدارة البريطانية والحركة الوطنية (1919م – 1939 م) 1972م: الخرطوم، مترجمة هنري رياض، مكتبة خليفة عطية.

16ـ زكي البحيري، مشكلة دارفور: الجذور التاريخية، الأبعاد الاجتماعية والتطورات السياسية، 2006، : القاهرة .

17ـ مصطفى حوجلي، دارفور: البيئة والإنسان، الأهرام، 1 أغسطس 2004.

18ـ كمال حمّاد، إدارة الأزمات، مجلة الدفاع الوطني، العدد 75، أبريل 2006.

19- انظر جريدة الشرق الأوسط الصادرة من لندن، العدد 9867 سبتمبر 2005.

20- صلاح الدين حمزة الحسن، أزمة دارفور وتوصيات هارتزل، على موقع المركز السوداني للخدمات الصحفية، تاريخ 25 مايو 2005.

21- يوسف خميس أورفاس، ورقة بعنوان أزمة دارفور: اسبابها وتداعياتها الاقتصادية، قدمت في المنتدى العلمي لمستقبل وادي النيل، جامعة القاهرة، 13-14، 2004، ص. 14.

الدوريات

1. دار الوثائق القومية، الخرطوم. أبي شوك. أحمد إبراهيم، "مذكرة عن الإدارة الأهلية النشأة والتطور"، متنوعات 12/265/3520،
2. دار الوثائق القومية الخرطوم، منوعات1 /126/1654، الإدارة الأهلية
3. - دار الوثائق القومية الخرطوم، منوعات1/78/1405 الإدارة الأهلية.
4. - دار الوثائق القومية الخرطوم، المنوعات 1/126/1655 الإدارة الأهلية
5. - دار الوثائق القومية الخرطوم، منوعات 1/171/2451 الإدارة الأهلية بين الإنشاء والبقاء

6- الطريفي. العجب أحمد، "الإدارة الأهلية في السودان"، مجلة الخرطوم، العدد 10، يوليو 1967.

مو اقع الانترنت:

A. www.aljazeera.net/NR/exeres/صE73316E2.

B. www.aljazeera.net

الحاجب المنصورودوره في عصر الخلافة الأموية في الأندلس (329 – 392هـ / 940–1002م) (دراسة تحليلية)

د. حامد إبراهيم الأحيدب قادم [1]

مستخلص:

تناولت الدراسة الحاجب المنصور ودوره في عصر الخلافة الأموية في الأندلس(دراسة تحليلية). هدفت الدراسة إلى التعريف بمحمد بن أبي عامر، وتدرجه في المناصب حتى وصل منصب الحجابة، ومن ثم فرض نفوذه في الدولة، وتناول خطواته في التخلص من منافسيه، وكذلك الوقوف على دوره الجهادي في محاربة النصارى في الشمال، والوقوف على تطور الحياة الفكرية في عهده. اتبعت الدراسة منهج البحث التاريخي التحليلي. وتوصلت إلى عدة نتائج أهمها: أن الفترة التي تولى فيها المنصور الحجابة تعتبر من أفضل فترات الأندلس لمعاناً وتألقاً، وتفوقاً في السلطان والقوة العسكرية، وذلك بفضل القدرات التي أظهرها في إدارة الدولة، وأن أكثر ما أُخذ على المنصور هو طريقته الدموية في التخلص من منافسيه، فهو لا يتردد في قتل كل من يزاحمه في السلطة. توصي الدراسة بالمزيد من البحوث والدراسات عن حقبة العامريين في عهد الخلافة الأموية في الأندلس خاصة الفترة التي أعقبت وفاة الحاجب المنصور؛ وذلك لأن تلك الحقبة كانت من أهم أسباب سقوط الخلافة الأموية في الأندلس.

الكلمات المفتاحية:

الدولة الأموية ، الخلافة الأموية ، الحاجب المنصور، قرطبة ، المنصور بن أبي عامر، الأندلس

[1] أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك - كلية التربية – جامعة الدلنج

Abstract:

This study examines **Al-Hajib al-Mansur and his role during the Umayyad Caliphate in al-Andalus** through an analytical historical approach. It aims to introduce **Muhammad ibn Abi Amir**, tracing his rise through various administrative positions until he attained the office of **Hajib (Chief Chamberlain)**, after which he consolidated his authority over the state. The study also explores the measures he employed to eliminate his political rivals, his strategic role in leading military campaigns against the Christian kingdoms in the north, and the development of intellectual and cultural life during his rule. The research adopts the historical-analytical method. The findings indicate that the period of al-Mansur's hajibate represented one of the most brilliant and prosperous eras in the history of al-Andalus, distinguished by political authority and military strength due to his exceptional administrative abilities. However, the study also concludes that the principal criticism directed at al-Mansur concerns his bloody methods for eliminating rivals, as he did not hesitate to remove anyone who challenged his authority. Consequently, the study recommends further research on the Amirid period during the Umayyad Caliphate in al-Andalus, particularly the years following the death of al-Hajib al-Mansur, as this era constituted one of the major factors contributing to the collapse of the Umayyad Caliphate in al-Andalus.

Keywords: Umayyad State, Umayyad Caliphate, Al-Hajib al-Mansur, Cordoba, Al-Mansur ibn Abi Amir, Al-Andalus.

مقدمة:

تعتبر فترة الدولة الأموية في الأندلس من أزهى فترات تاريخ المسلمين في الأندلس وأخصبها، حيث نجح الأمويون لأول مرة في إقامة مؤسسة مستقلة، وهي التجربة المركزية الوحيدة في تاريخ المسلمين في الأندلس، التي استمرت لما يقارب الثلاثة قرون في الفترة (138 – 422هـ / 755 – 1030م)، حيث ازدهرت وتطورت في عهدهم الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية وكذلك تطورت الحياة الفكرية. ففي الجوانب السياسية والإدارية سارت الدولة الأموية في الأندلس على النهج السياسي والإداري الذي كان سائداً في دولة بني أمية في الشام، وكذلك نهج العباسيين من بعدهم، غير أنه حدث تغيير مهم جداً في منصب الحجابة، وكذلك الوزارة، فمنصب الوزير في الأندلس تغير مدلوله، حيث قسموا خطته أصنافاً، وجعلوا لكل صنف وزير، فجعلوا لحسبان المال وزيراً، وللرسائل وزيراً، وللنظر في حوائج المتظلمين وزيراً، وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيراً، وجعل لهم بيت يجلسون فيه. وكانت حلقة الوصل بينهم والخليفة شخصية ارتفعت مكانتها عنهم هي شخصية الحاجب، فقد تغيرت وظيفة الحاجب عما كانت عليه في الشرق الإسلامي، الذي كان دوره يقتصر على تنظيم دخول الناس إلى الخليفة. حيث تعد مكانة الحاجب لدى الخليفة أعلى من مكانة الوزراء، فارتفع بذلك مجلس الحاجب عن مجالس الوزراء، وظل هذا الحال حتى نهاية الخلافة الأموية في الأندلس. ويعتبر بعض المؤرخين أن منصب الحاجب لدى الأمويين في الأندلس يشبه منصب رئيس الوزراء في العصر الحديث. وتُعتبر شخصية المنصور بن أبي عامر من أعظم وأهم الشخصيات التي تولت منصب الحجابة في عهد الدولة الأموية في الأندلس، حيث ظل يتدرج في المناصب إلى أن وصل لهذا المنصب في عهد الخليفة الصغير هشام المؤيد الذي تولى الخلافة سنة (366هـ/ 976م)، حيث استغل المنصور صغر سن الخليفة وضعف مقدرته وحداثة تجربته، فسيطر على كل مفاصل الدولة، وأصبح هو صاحب الصوت الأعلى والكلمة النافذة في الدولة، بمباركة الخليفة هشام المؤيد الذي ترك له كل الأمور، فانفرد المنصور بالسلطة وسيطر على الشؤون الإدارية والعسكرية والاقتصادية، وتخلص من كل منافسيه، مما جعل البعض يتهمه بمحاولة ابتلاع الخلافة الأموية وتأسيس الدولة العامرية مكانها، غير أنه لم يقم بأي خطوة للوصول إلى منصب الخليفة، لكنه أصبح صاحب القرار في الدولة، بل وصى لابنه عبدالملك بولاية العهد من بعده في منصب الحجابة، وهي ظاهرة لم تحدث من قبل في تاريخ الإسلام، وفعلاً تولى بعده ابنه منصب الحجابة، لمدة سبع سنوات، وبعد وفاته تولى المنصب أخوه عبدالرحمن شنجول بن المنصور، الذي في

عهده بدأت حلقات انهيار الدولة الأموية وقبلها سقوط السلطة العامرية، ونهاية حقبة من أهم حقب التاريخ الإسلامي في الأندلس.

الدراسات السابقة:

رغم كثرة الدراسات التي تناولت تاريخ الدولة الأموية في الأندلس وشخصية الحاجب المنصور، فإن معظمها ركز على سيرته العسكرية أو الأحداث السياسية العامة. كما أفردت بعض المؤلفات فصولًا لدوره في إدارة الدولة، إلا أنها لم تقدم دراسة متخصصة تجمع بين أدواره السياسية والإدارية والعسكرية وأثرها في قوة الخلافة الأموية واستقرارها، وهو ما تسعى هذه الورقة إلى إبرازه. ومن أهم الدراسات السابقة:

1/ آمنة محمود عودة، الحجابة والوزارة في عصر الدولة الأموية في الأندلس، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة، الأردن، 2000م. تناولت الدراسة تطور الوزارة في الأندلس، وتعيين الوزراء وجالسهم وعزلهم، وأردت الدراسة جانباً لمجهودات الحاجب المنصور بصفته رئيساً للوزراء.

2/ نكروف نادية، التخدير السلطوي.. دراسة تحليلية بين الحاجب المنصور والعامة، ورقة بحثية، مجلة العبر للدراسات التاريخية، العدد 4، 30/09/2021م. تتضمن هذه الدراسة مقاربة تحليلية للأسلوب الذي نهجه محمد بن أبي عامر المنصور تجاه العامة الأندلسية بغية استمالتها وكسب تأييدها لتنفيذ مشروعه السياسي بفرض سلطته على بلاد الأندلس واستبداده بالحكم وتفرده به، مستغلا جميع الأحداث لتوسيع قاعدته السياسية في أوساط العامة.

3/ آسيا لوني، نظام الحجابة في الأندلس (366 – 399هـ)، رسالة ماجستير، جامعة أكلي محند، 2018م. تناولت الدراسة تطور الحجابة في الأندلس مع التركيز على حقبة العامريين، وإبراز دور الحاجب المنصور في الشؤون السياسية والإدارية في الدولة الأموية في الأندلس.

إضافة الى العديد من الدراسات الأخرى.

أسباب اختيار الموضوع:

تنبع أهمية الموضوع من المكانة التي شغلها الحاجب المنصور في تاريخ الأندلس، إذ استطاع أن يقود الدولة إلى مرحلة من القوة والاتساع والنفوذ. كما أن شخصيته تُعد من أكثر الشخصيات تأثيرًا في العصر الأموي بالأندلس، مما يجعل دراسة دوره السياسي والعسكري والإداري ذات أهمية في فهم تطور الدولة خلال تلك المرحلة.

إشكالية الدراسة:

تتمثل إشكالية الدراسة في بيان طبيعة الدور الذي أداه الحاجب المنصور في إدارة شؤون الخلافة الأموية بالأندلس، ومدى إسهامه في تعزيز قوة الدولة واستقرارها، مع الوقوف على أثر سياساته الداخلية والخارجية في ازدهار الدولة من جهة، وفي التحولات التي شهدتها بعد وفاته من جهة أخرى.

تساؤلات الدراسة:

1/ من هو الحاجب المنصور، وما الظروف التي أسهمت في صعوده إلى السلطة؟

2/ ما أبرز أدواره السياسية والإدارية والعسكرية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس؟

3/ كيف أسهمت سياسات الحاجب المنصور في تعزيز قوة الدولة الأموية واستقرارها؟

4/ ما الآثار التي ترتبت على حكمه، وكيف انعكست على مستقبل الخلافة الأموية في الأندلس؟

بداية ظهور المنصور بن أبي عامر وتدرجه في المناصب:

الحاجب المنصور هو محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبي عامر المعافري، يرجع إلى أصل من أعرق الأصول العربية[1]، وكان جده ابن عامر المعافري أول من دخل الأندلس مع الفاتحين، ونزلت أسرة ابن عامر بالجزيرة الخضراء، واستقرت في حصن طُرش بالقرب من جبل طارق، وظهرت بالعلم والوجاهة، وتولى كثير من أبنائها مناصب القضاء والإدارة.[2] وولد محمد بن أبي عامر في حصن طُرش، وكان أبوه من أهل علم وتقى، عالماً بالحديث والشريعة، ونشأ محمد بن أبي عامر على تقاليد أسرته مؤثراً حياة الدرس، ودرس في معاهد قرطبة[1*]، وبرع في الأدب والشريعة، وكان طموحاً مضطرم النفس والعزم، رفيع المواهب والخلال[3]، وكان محمد في السابعة والعشرين من عمره حينما أراد الخليفة الحكم أن يعين مشرفاً لأملاك ولده عبدالرحمن، ورشحه الحاجب جعفر[2*]، وأعجبت صبح[3*] زوجة الحكم بذكائه وحسن روائه، وظرف شمائله، فاختارته دون غيره، وذلك في أوائل سنة 356هـ/ 967م[4]، ولما توفي عبدالرحمن طفلاً عُين مشرفاً لإدارة أملاك أخيه هشام، وتقدم في وظائف الدولة بسرعة. فأُضيف اليه النظر في أمور الخزانة العامة، وعلى أمانة دار السكة، ثم عُين للنظر على خطة المواريث سنة 358هـ/ 968م، ثم قاضياً لكورة إشبيليه ولبلة. ثم عينه الحكم مديراً للشرطة الوسطى سنة 361هـ/ 971م، ثم عينه الحكم في آخر أيامه على الحشم (الخاص).[5] وهكذا وصل محمد بن أبي عامر إلى أرفع وظائف الدولة والقصر في أعوام قلائل. ويرجع الفضل في تقدمه بتلك السرعة إلى مواهبه وكفاياته الباهرة، ثم يرجع بالأخص إلى عطف السيدة صبح زوجة الخليفة الحكم ووالدة ولي عهده هشام

وحمايتها له، وكان ابن أبي عامر يجتهد في خدمة صبح وارضائها، ولا ينفك يغمرها بنفيس الهدايا والتحف، وكان الخليفة الحكم يشهد هذا السحر الذي ينفثه ابن أبي عامر إلى زوجته وإلى نساء القصر جميعاً، ورُويّ أنه قال يوماً لبعض ثقاته: (ما الذي استلطف به هذا الفتى، حرمنا حتى ملك قلوبهن، مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن، حتى صرن لا يصفن إلا هداياه، ولا يرضين إلا ما أتاه، إنه لساحر عظيم أو خادم لبيب، وإني خاف على ما بيده)[6] واستغل البعض التقارب بين ابن أبي عامر وصبح للفتنة بينه وبين الخليفة الحكم، الذي ربما ارتاب في تلك العلاقة، فوجه إليه تهمة تبديد الأموال التي عُين للنظر عليها، في شراء التحف والإنفاق على أصدقائه، فأمره الحكم أن يقدم حساب الخزانة العامة، ليتحقق من سلامتها، وقد كان بالخزانة في الواقع عجز كبير، فهرع ابن أبي عامر إلى صديقه الوزير ابن حدير[4*] وكان ثرياً فأغاثه بماله فأدرك العجز، فتقدم إلى الحكم سليم العهدة بريء الذمة، فزالت شكوكه وتوطدت ثقته به. واستمر ابن أبي عامر متمتعاً بنفوذه، يندبه الحكم لعظام المهام والشؤون، وكان آخرها ما عهد إليه من تنظيم البيعة بولاية العهد لابنه هشام، وخلال ذلك يحرص ابن أبي عامر على عطف صبح، ويصانع الحاجب جعفر ويجتهد في ارضائه وكسب ثقته.[7]

ولما توفي الخليفة الحكم وأُسندت الخلافة إلى ابنه الطفل هشام المؤيد اتخذت الأمور وضعاً جديداً، ينزر بتطورات جديدة، وقد تحقق مشروع الحكم بجلوس ابنه هشام على كرسي الخلافة، وهنا برزت ثلاثة شخصيات قُدر لها السيطرة على تراث الخلافة الأموية في الأندلس، وهم (صبح، والحاجب جعفر، وابن أبي عامر) وهذا التحالف الثلاثي الذي أملته الضرورة لم يكن قوياً، إذ كان هنالك منافسة خفية بين الحاجب جعفر وابن أبي عامر، وكان هنالك تقارب بين ابن أبي عامر وصبح والدة الخليفة، وقد رأى فيها ابن أبي عامر – وهي تجتمع في يدها السلطة بوصايتها على ابنها الطفل – أداة صالحة هينة يستطيع أن يخضعها لإرادته، ويسخرها لمعاونته، على تحقيق مشاريعه، وكانت صبح من جانبها تغدق كل عطفها وثقتها على هذا الرجل القوي، الذي أعجبها بخلاله وقوة نفسه، وباهر كفاياته، فوضعت فيه أملها في حماية العرش الذي يجلس عليه ولدها الفتى، ولم تمض أيام على تولية هشام الخلافة حتى عين حاجب أبيه جعفر المصحفي حاجباً له، ورقى ابن أبي عامر من خطة الشرطة إلى مرتبة الوزارة، وجعله معاوناً للمصحفي في تدبير أمور دولته.[8] وبذلك أُشرك ابن أبي عامر في تولي السلطة المباشرة مع الحاجب المصحفي، ولم يعترض أحد من رجال القصر سوى الحاجب جعفر المصحفي الذي رأى في ذلك

انتقاصاً لسلطته، ونكراناً لجميله، ورأى فيه منافساً يخشى بأسه، ويرتاب في نياته وأطماعه. ومنذ ذلك اليوم بدت تظهر ملامح عداء خفي بين الرجلين، وبلا شك سوف يطفو في السطح يوماً ما. وأصبح ابن أبي عامر في الواقع هو السيد المطلق، وكانت صبح ترى فيه الرجل الوحيد الذي يحمي ملك ولدها، فكانت تفوض إليه كل سلطة وكل أمر، فكان يدير شؤون الدولة كلها بمهارة تثير إعجاب خصومه وأصدقائه.[9] وكان الخليفة هشام ميالاً بطبيعته وصغر سِنه إلى اللهو والدعة، فكان يلزم القصر والحدائق' وبقضي كل أوقاته في اللهو واللعب، وكان ابن أبي عامر وصبح يشجعانه على هذه الميول السيئة، لكي يترك لهما أمر إدارة الدولة، ومنذ أن تولى هشام الخلافة حجر عليه ابن أبي عامر ولم يسمح لأحد غيره برؤيته أو مخاطبته، وكان يحمل صبحاً بدهائه وقوة عزمه على أن تخلق الأعذار لحجب ولدها، حتى غدا هشام شبه معتقل أو سجين،[10] وفي الفرص النادرة التي كان يسمح فيها للخليفة بالخروج، كان ابن أبي عامر يتخذ أشد التحوطات والتدابير، فيحيط موكب الخليفة حين يخترق شوارع قرطبة بصفوف كثيفة من الجند، تمنع الناس من رؤيته أو الاقتراب منه، وكان حجب الخليفة هشام على هذا النحو هو عماد ذلك الانقلاب العظيم الذي اعتزم ابن أبي عامر أن يحدثه في نظم الدولة، لتمكين سلطانه وجمع سلطات الخلافة كلها في يده.[11]

التخلص من الخصوم والسيطرة على مفاصل الدولة:

كان الصقالبة يشكلون خطراً على أفكار ابن أبي عامر؛ لأنهم يميلون إلى عزل الخليفة هشام وتولية عمه المغيرة بن عبدالرحمن الناصر، والصقالبة يمتلكون قوة كبيرة في قصر الخلافة، قد تستخدم في تنفيذ هذه النوايا والانقلاب على الخليفة، فاتفق ابن أبي عامر مع الوزير جعفر المصحفي على قتل المغيرة بن الناصر وتفريق أنصاره[12] ، ولم يجد أنصاره من الصقالبة بداً من الطاعة، والتظاهر بالرضا، وهم في الحقيقة يعدون لمؤامرة تعيد هيبتهم في البلاد، فبدأ المصحفي يتحوط من غدرهم، فوضع زعمائهم تحت المراقبة الشديدة، وسرح أعداداً كثيرة منهم، وألحق بعضهم بخدمة محمد بن أبي عامر، الذي رحب بهم وزاد في إكرامهم فأصبحوا من أكثر المخلصين له. وأمر الباقين بالدخول والخروج من القصر من باب عامة الناس، بعد أن أغلق الباب المخصص لدخول الصقالبة وخروجهم. وتمت تصفية بعض العناصر الخطرة، ونفى آخرون إلى مناطق خارج العاصمة قرطبة.[13] وبهذه الإجراءات أمِن المصحفي وابن أبي عامر شر الصقالبة الذين كانوا أصحاب الكلمة النافذة في الدولة. والقضاء على الصقالبة كان أول خطوة من خطوات ابن أبي عامر باتجاه السيطرة على السلطة، فهو

الذي أغرى المصحفي بنكبتهم، ومن ثم ألحقهم بحاشيته، وبالغ في إكرامهم، واستمال إليه أيضاً بني برزال[*5] وكانوا ضمن بطانة المصحفي، ولم يكن المصحفي يعي أبعاد هذه السياسة التي جردته من أنصاره وحماته، ويبدو أنه عدّ هذا العمل حسنة من ابن أبي عامر، بعد أن كثرت مطالب هذه الفرق المالية، مع شهرة المصحفي بالبخل والتقتير على أنصاره، فبسط ابن أبي عامر كرمه عليهم فأصبحوا أداة مخلصة لتحقيق أهدافه، وحاول بعد ذلك السيطرة على القوة العسكرية، والتحالف مع القوى الأخرى التي لا يستطيع بسط نفوذه عليها. فقاد خلال فترة وجيزة ثلاث حملات باتجاه الممالك الاسبانية الشمالية، أولها كانت سنة 366هـ / 976م عندما قام القشتاليون بالهجوم على قلعة رباح، مما اضطر أهلها إلى طلب النجدة من حكومة قرطبة التي بدت وكأنها عاجزة عن نصرتهم، وهنا برز دور ابن أبي عامر فقام بتجميع القوات وإعدادها لمهاجمة قشتالة وتولى قيادتها بنفسه، فدخل أراضي جليقية ودمر حصن الحامة، ثم رجع إلى قرطبة، وقد أضاف إلى رصيده صفة القائد العسكري الناجح إضافة إلى الصفات الإدارية والسياسية التي تميز بها.[14]

ثم اشترك مع قوات غالب بن عبدالرحمن[*6] قائد الجبهة الشمالية، وسيطرا على حصن مولة وأصابا كثيراً من الغنائم والسبيء، واستطاع ابن أبي عامر كسب غالب إلى جانبه في صراعه مع المصحفي بعد أن عانى غالب كثيراً من لوم المصحفي، واتهامه بالتخاذل ضد القشتاليين عند هجومهم على قلعة رباح،[15] والقائد غالب بن عبدالرحمن يحمل لقب (ذي الوزارتين) فتحالف ابن أبي عامر وغالب ضد الوزير جعفر المصحفي، وبتحريض من ابن أبي عامر قام الخليفة هشام بعزل محمد بن جعفر المصحفي[*7] من حكم قرطبة وتوليتها أحد أقرباء ابن أبي عامر، وقد شعر المصحفي بالخطر فحاول كسب غالب عن طريق المصاهرة، فتقدم بطلب ابنة غالب لولده محمد، ورغم موافقة غالب إلا أنه تراجع عن ذلك بعد أن تقدم محمد بن أبي عامر لخطبة ابنة غالب فتزوجها، وفشلت بذلك محاولة جعفر المصحفي للوقوف في وجه ابن أبي عامر. وذاعت شهرة ابن أبي عامر عندما جهز القوات للجهاد في غزوته الثالثة سنة 367هـ / 377م، وذلك بالاشتراك مع صهره غالب بن عبدالرحمن، فدخلت قواتهما حصن المال وحصن زنبق، ومعظم المناطق المحيطة بمدينة شلمنقة، ثم عادت القوات إلى قرطبة ليبادر الخليفة هشام بتكريم ابن أبي عامر، وتلقيبه ب(ذي الوزارتين) ورفع مرتبته إلى مرتبة صاحب الحجابة، ثم عزل جعفر المصحفي من الحجابة وتم القبض عليه وعلى ولده محمد وبعض أقربائه، وصرفوا جميعاً

عما كان بأيديهم من الأعمال، ووضع جعفر في السجن حتى وفاته سنة 372هـ/983م.[16] وهكذا استطاع ابن أبي عامر أن يتخلص من خصومه ومنافسيه وتحقيق غايته بسرعة مدهشة، ولجأ في تحقيقها إلى أذكى الوسائل وأشدها، واستطاع بصرامته وعزمه وبارع خططه أن يسحق كل عقبة، فقد تجرد لزعماء الدولة ممن عانده وزاحمه فمال عليهم وحطّهم عن مراتبهم، وقتل بعضهم ببعض، كل ذلك عن أمر الخليفة هشام وتوقيعه، حتى استأصل شأفتهم ومزق جموعهم.[17] وبالقضاء على المصحفي أصبح ابن أبي عامر الرجل الأول في الدولة، ما دام الخليفة هشام المؤيد قاصراً عن أداء واجباته الفعلية، ولم يبق أمامه منافس غير غالب بن عبدالرحمن والد زوجته، الذي كان يتمتع بسمعة رفيعة في ميدان القيادة العسكرية وعلى مستوى عموم الأندلس، وكان المناوؤن لسياسة ابن أبي عامر يرون في غالب الرجل المناسب للمنافسة والانقضاض عليه،[18] لذا عمد ابن أبي عامر الى استدعاء جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي[(*8)] من المغرب، ومنحه لقب وزير وجعله من خاصته وذلك لمنافسة سلطان غالب، ومن هنا ظهرت الخلافات بين ابن أبي عامر وغالب وما لبثت أن تطورت إلى نزاع مسلح بينهما، وسيطر ابن أبي عامر على مدينة سالم مقر غالب، ودارت معركة بينهما سقط غالب في خلالها بسكتة قلبية، فتفرق جيشه وولت فصائله منهزمة في اتجاهات مختلفة.[19] وبموت غالب بن عبدالرحمن لم يعد للعامري من يخشاه في البلاد، فاتخذ لقباً خلافياً هو (المنصور) وعُرف لعدها بالحاجب المنصور، ودعي له على المنابر به استيفاءً لرسوم الملوك، ونفذت الكتب والأوامر باسمه، ونقش اسمه في السكة، وجرى الوزراء ورجال الدولة على تقبيل يده عند المثول لديه، واجتمعت حول شخصه وحول داره مظاهر الجلالة الملكية، وتم ذلك استئثاره بجميع الرسوم والسلطات، ولم يبق من الخلافة الأموية سوى الاسم.[20] واستمر في العمل على تعبئة العناصر المخلصة له في الجيش من صقالبة وبربر وحرص على بقاء هذا العناصر مرتبطة به شخصياً مع إغداقه عليهم بالأموال والرواتب المجزية[21] ثم دبر حيلة اغتال بها الوزير جعفر بن علي بن حمدون، فدعاه ذات مساء إلى مأدبة حافلة، وأغرى به السقاة حتى فقد وعيه، ثم دس إليه في طريقه من قتله، وحمل إليه رأسه سراً سنة 372هـ / 983م، فتظاهر الحاجب المنصور بالحزن على ضحيته، وكانت هذه الجريمة المثيرة عنواناً لبعض النواحي القاتمة، في خلاله وفي وسائله السياسية.[22] وهكذا تخلص المنصور من آخر الرجال الذين اخلصوا له وقدموا له خلال صراعه مع غالب بن عبدالرحمن خدمات جليلة. وبذلك تخلص الحاجب المنصور من جميع

منافسيه بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، فكان الحاجب المنصور آية في الدهاء والمكر والسياسة، عدا بالمصحفي على الصقالبة حتى قتلهم، ثم عدا بغالب على المصحفي حتى سجنه وقتله، ثم عدا بجعفر بن الأندلسي على غالب حتى قتله، ثم عدا بنفسه على جعفر ابن الأندلسي حتى أهلكه، ثم انصرف ينادي صروف الدهر : هل من مبارز؟ فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه، فانقاد له وساعده واستقام له أمره منفرداً بسابقه لا يشاركه فيها غيره.[23]

وقد أضحى الحاجب المنصور بعد أن قضى على كل خصومه ومنافسيه وحده سيد الميدان، وأضحى بعد أن وضع يده على الجيش صاحب السلطة العليا دون منازع ولا مدافع، ولم يكن الخليفة هشام المؤيد بعد ذلك سوى أداة لينة في يد المتغلب القوي يوجهها كيف يشاء. وقد اتخذ ثوباً خلاباً يتوج سلطانه الفعلي، بمظاهر العظمة والأبهة الملوكية. ولم يكن اتجاه المنصور يقف عند تحقيق المظهر دون غيره، ولكن كانت لديه أسباب عملية قوية، تدعو إلى التحوط من أخطار التآمر والغيلة، وقد أصبح يخشى على نفسه من الوجود في قصر الزهراء، ومما قد يضمره الحاقدين المتربصين،[24] ورأى أن يتخذ له مركزاً مستقلاً للحكم والإدارة، يجمع بين السلامة ومظاهر السلطان والعظمة، فوضع أسس مدينة ملوكية جديدة أسماها الزاهرة، في بقعة على مقربة من شرقي قرطبة على الضفة الجنوبية لنهر الوادي الكبير. وأنشأ بها قصراً ملوكياً فخماً ومسجداً، ودواوين للإدارة والحكم، ومساكن للبطانة والحرس، وأقام حولها سوراً ضخماً، ونقل اليها خزائن المال والسلاح، وإدارات الحكم، وتم بناء المدينة في نحو عامين، وأقطع ما حولها للوزراء والقادة، وأكابر رجال الدولة، فابتنوا الدور العظيمة وأنشئت الشوارع والأسواق الفسيحة، وأصبحت تنافس المدينة الخليفية في الضخامة والرونق. وانتقل إليها في أوائل سنة 370هـ/980م)، واتخذ له حرساً خاصاً من الصقالبة والبربر، وأحاط قصره بالحراس والحاشية، وأقفرت بذلك الزهراء، وهجر الوزراء والكبراء قصر الخليفة، وساد الصمت حول مركز الخلافة الشرعي. وأنشأ الوقت نفسه سوراً وخندقاً حول قصر الخليفة، وأحكم غلق أبوابه، ووكل بها من يمنع دخول أي شخص أو نبأ إلى الخليفة دون علمه وإذنه، وبث عيونه على الخليفة هشام وحاشيته، وأشاع أنه قد فوض إليه النظر في سائر شؤون الدولة، لكي يتفرغ لشؤون العبادة، وهكذا أهمل شأن الخليفة الفتى، وقطعت سائر علاقته مع الخارج، ولبث محجوباً في أعماق قصره، يغمره الخمول والنسيان، وذلك بعد أن حدث تقارب كبير بين والدته صبح والحاجب المنصور، التي أقنعها المنصور بأفكاره.[25]

غزواته ضد الممالك الإسبانية:

امتازت السياسة التي اتبعها الحاجب المنصور تجاه الممالك الإسبانية الشمالية بطابع جهادي مميز، فقد بلغت الحملات التي سُيرت إلى هذه الممالك أكثر من خمسين غزوة.[26] واستمر يضطلع بها باستمرار ودون هوادة، التي خرج منها جميعاً متوجاً بالظفر، ولم يُهزم في أي واحدة منها، ومعنى هذا أن الحاجب المنصور كان يقوم بحملتين كل عام حملة في الصيف وأخرى في الشتاء، وأن جميع هذه الحملات كانت تحت قيادته المباشرة، لم تنكسر له فيها راية ولا فل له جيش، ولا أصيب له بعث، ولا هلكت له سرية،[27] وكان الطابع العام لسياسته الجهادية هجومياً بانتزاعه المبادرة من أعدائه الذين أرغموا على تغيير استراتيجيتهم العسكرية من الهجوم للدفاع،[28] وظلت قواتهم قابعة ضمن حدودها الإقليمية بعد أن شُلت حركتها باتجاه التوغل أو حتى التقرب من الحدود الدولية للدولة الإسلامية، وكان الحاجب المنصور يرمي باضطلاعه بتلك الغزوات إلى غاية سياسية بعيدة المدى، لم يفكر فيها احد قبله من أمراء الأندلس، ذلك إنه فكر في أن يسحق الممالك الاسبانية النصرانية سحقاً تاماً، وأن يقضي على استقلالها القومي، وأن يخضعها جميعاً لسلطة الخلافة، وقد طرق في عملياته العسكرية هذه أرضاً لم تطرقها الجيوش الإسلامية من قبل. ولكن سوف نرى أن غزوات الحاجب المنصور بالرغم من تحري هذه الغاية البعيدة، وبالرغم مما كان يحالفها من الظفر المستمر، لم تخرج في مجموعها عن أساليب الصوائف والشواتي والغزوات الإسلامية المأثورة، ولم تحقق بالفعل تلك الغاية الكبرى[29] وقد اعتمد على قوات أُعدت إعداداً جيداً كانت ثمرة النظام الذي أقره على بنية القوات العسكرية، فقد كانت الفرق العسكرية قبله تنضوي تحت لواء زعيم من زعماء القبائل، وتضم تلك الفرقة أبناء وموالي كل قبيلة، وكانوا يتجمعون بناءً على نداء من الدولة للنصرة، وبدأ هذا النظام يتغير منذ عهد الخليفة الناصر، فأكمل الحاجب المنصور ما بدأه الناصر بأن وزع الجند في مجموعات وسرايا وفرق بغض النظر عن قبيلة كل جندي، وأمر عليهم قائداً يختاره من بين القادة، وجعل قواته من حيث التنظيم أشبه بالقوات النظامية في العصر الحديث، مع تقرير رواتب شهرية لكل منتظم في هذه القوات وحسب موقعه ومكانته. وهذا الأمر سهل أمر تجميع القوات في وقت سريع، وأصبح الجند أكثر التزاماً وانضباطاً من ذي قبل، ولعل نتائج هذا التنظيم تبدو جليةً من خلال حملاته على الممالك النصرانية، وأشهرها الحملة التي قادها ضد مملكة ليون سنة 371هـ/ 382م قاصداً مدينة سمورة، وذلك لتأديب ملك ليون راميرو الثالث الذي دعم غالب بن عبدالرحمن في حربه ضد المنصور، وقد تمكنت القوات الأندلسية

من تدمير جميع القرى المحيطة بالمدينة، وتحالف راميرو مع ماك قشتالة وملك نافار، وانهزم حلفهم أمام قوات الحاجب المنصور الذي دخل المدينة وتقدم منها نحو العاصمة ولكن حلول الشتاء ونزول الثلج جعل قوات المنصور تتراجع إلى قرطبة، وبسبب ذلك النصر تم عزل راميرو من مملكة ليون وتم تنصيب ابن عمه برمودو مكانه، والذي دفع الجزية للحاجب المنصور، كما اضطر ملك بنبلونة أن يخضع للمسلمين وقدم ابنته هدية للمنصور فتزوجها وولدت له ولده عبدالرحمن الملقب ب(شنجول).[30] وبعد حملته ضد مملكة ليون اتجه المنصور ناحية الشمال الشرقي حيث توجد امارة برشلونة النصرانية، والتي اندمجت في فترة متأخرة في مملكة أراجون، ويصف المؤرخون حملة المنصور ناحية برشلونة بأنها الثالثة والعشرون في سلسلة غزواته ضد النصارى، وقد حدثت في سنة (374 - 375هـ/985م)، استطاع خلالها أن يوقع بحاكم الإقليم (بوريل الثاني) عدة هزائم، تتوجت باقتحام المدينة في يوم الإثنين منتصف صفر سنة 375هـ / 385م،[31] ودمر المسلمون المدينة وأحرقوها، وقتلوا معظم أهلها، وتركوها قاعاً صفصفاً، وكان بين الأسرى أودلر أدو نائب حاكم برشلونة، فاقتيد إلى قرطبة، والظاهر أن المنصور لم يحاول الاحتفاظ ببرشلونة، ولم تكن لديه نية اقتحامها بصورة دائمة، ولكنه قصد أن يدمر قوة النصارى في هذا الطرف النائي من شبه الجزيرة الاسبانية.[32] غير أن أشد حملاته عنفاً هي حملة قشتالة سنة 390هـ/999م، حين جابه الحاجب المنصور في هجومه تكتل القوى الاسبانية بزعامة الملك شنجة في معركة طاحنة عند جبل جربيرة، حيث حالفه النصر الباهر وأوقع بالزعماء الأسبان هزيمة قاسية ويبدو أن معركة جربيرة كانت آخر أعمال المنصور المهمة ضد الممالك الاسبانية، دون أن تُلحق به أي هزيمة، حيث كان النصر حليفه على مختلف الجهات السياسية والعسكرية.[33] ولعله أول حاكم في الأندلس أعطى لجبهة الحدود الشمالية ذلك الاهتمام، وكرس لها هذا الوقت، بحيث تغيرت في عهده خطط الحرب، من دفاعية في عهود أسلافه إلى هجومية في عهده، ترصد تحركات العدو وتوقع به الضربات المتتالية، وكانت سنواته السبع والعشرين التي قضاها في قمة السلطة في الأندلس كابوساً رهيباً أذاق ملوك الأسبان الخوف والدمار والهزائم.[34] وقد رفعت هذه الانتصارات العظيمة من قدر الحاجب المنصور في الأندلس، وجعلته في مصاف الأبطال العظماء الأفذاذ، ومنحته تأييداً شعبياً واسعاً، وظفه في خدمة نظامه الفردي المطلق، بحيث أن أي تحرك ثوري أو صوت معارض لم يجرؤ على الارتفاع في عهده، ومن ناحية أخرى فإن الانتصارات العديدة وما عكسته

من رخاء اقتصادي على المجتمع الأندلسي، أعطى لعهد المنصور صبغة مميزة وطبعه بالاستقرار والارتياح العام، بالرغم من سياسة القمع الداخلي التي خنقت أجواء الحرية الفردية، وشلت كثيراً من الإنتاج الإبداعي والعطاء الفكري المتطور.[35]

تولية ابنه عبدالملك على الحجابة من بعده:

اتخذ الحاجب المنصور سنة 381هـ/ 992م خطوة مهمة في سبيل تدعيم موقفه السيادي في الدولة، حيث رشح ولده عبدالملك لولاية العهد في الحجابة من بعده، وهو فتى لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، ونزل له عن خطة الحجابة والقيادة العليا، وسائر الخطط الأخرى التي كان يتقلدها، كما قلد ولده عبدالرحمن خطة الوزارة، وبذلك حقق من ناحية عملية أمنيته الجوهرية بالاستيلاء على الدولة والاستئثار بكل سلطة فعلية. لذلك يمكن القول إن المنصور كان يرمي إلى تحقيق غايته الأخيرة وهي تتويج حكمه بالصفة الشرعية، وينتزع لنفسه ما بقي من رسوم الحكم والخلافة، ويؤسس بذلك لنفسه ولأولاده دوله جديدة تحل مكان الدولة الأموية المحتضرة، وذكرت بعض الروايات أنه فعلاً استشار بعض الفقهاء في السيطرة على الخلافة، فعارضه بعضهم خاصة الوزير ابن حزم الذي أشار عليه بأنه ليس بحاجة إلى مثل هذه الخطوة، وهو في يده سائر أمور الدولة، وهي قد تثير عليه غضب العامة، لذاك تريث المنصور في اتخاذ مثل تلك الخطوات.[36]

جانب من الحياة الفكرية في عهده:

أبدى الحاجب المنصور طوال حياته كفاية إدارية مدهشة، وظهر في سائر المناصب التي أُسندت إليه ببراعته وحصافته، وحسن تصريفه، ثم ظهرت هذه المقدرة على أتمها مذ تولى الحجابة، وأستأثر بسائر السلطات، واحتمل فوق كاهله سائر المسؤوليات الكبرى، فغدا المنصور زعيم الأندلس، وحاكمها الأوحد، والمشرف على مصائرها في السلم والحرب، وقد أبدى مقدرة فائقة لم يبدها أحد من أسلافه، فلم تر الأندلس من قبل استقراراً كالذي رأته في عهد المنصور، وكانت أيام المنصور بالأندلس كلها أيام فخار ورخاء وظفر ورغد، لم تعان خلالها من هجمات العدو المخربة، ولم تُصب فيها بأي هزيمة ذات شأن، وفيها ازدهرت التجارة والزراعة والصناعة، وزهت العلوم والآداب، وعم الخصب والرخاء في جنبات الأندلس، وفاضت خزائن قرطبة بالأموال، وكانت حكومة الحاجب المنصور تضم عدداً من أقدر رجالات الأندلس في هذا العصر من الوزراء والكتاب، وكان من وزرائه أبو مروان عبدالملك بن شهيد[9*]، ومحمد بن جهور، وأحمد بن سعيد بن حزم والد الفيلسوف الشهير ابن حزم، وكان من أقدر وزراء

المنصور وآثرهم إليه، وكان هذا الوزير ابن حزم من أكابر أهل العلم والبلاغة. ومن أشهر كتاب الحاجب المنصور عيسى بن سعيد القطاع، وخلف بن حسين بن حيان والد المؤرخ المعروف ابن حيان،[37] وبالرغم من مشاغله السياسية والعسكرية فقد ظل يحتفظ طول حياته بشغفه بالعلم والأدب، ويوثق صلاته بالعلماء والأدباء والشعراء، ويؤثرهم بحبه وعطفه، ويجمعهم حوله في أوقات فراغه وسويعات لهوه وأنسه، ويساجلهم البحث والمناظرة، ويطارحهم قرض الشعر، ذلك لأنه كان شاعراً أيضاً، وله نظم حسن في الشعر. وكان للمنصور فضلاً عن مجالس الأدب والأنس العابرة، مجلس أسبوعي يعقده للبحث والمناظرة، يشهده كثير من العلماء والأدباء،[38] كما كان مولعاً بنشر العلم والمعرفة بين طبقات الشعب، فأنشأ كثيراً من دور العلم بقرطبة، وبالغ في الإنفاق عليها، وكان يزور المساجد والمدارس، ويجالس الطلاب أحياناً، ويمنح المكافآت النفيسة لمن يستحقها، كما كان شغوفاً بجمع الكتب، وكان أكابر المؤلفين يهدون إليه كتبهم، وقد أهدى إليه صاعد البغدادي كتابه (الفصوص) فأثابه عنه بخمسمائة دينار. غير أن موقف **الحاجب المنصور** تجاه الفلسفة قد اتسم **بالعداء والاضطهاد**، حيث قام في بداية حكمه بحملة واسعة للقضاء على كتب الفلسفة وعلوم الأوائل وتصفيتها، وذلك إرضاءً لعامة الناس وكسباً لودّ فقهاء الأندلس، فضيّق الخناق على الفلاسفة والعلماء المشتغلين بالعلوم العقلية، وتبع ذلك خوف شديد بين العلماء، مما اضطر بعضهم إلى إنكار اشتغالهم بالفلسفة أمام العامة.[39]

وفاته:

توفي المنصور في رمضان سنة 392هـ / أغسطس 1002م، وقد ناف على الستين من عمره، مختصراً فيه منجزات عهود، ولعله كان جزعاً، مغرقاً في اليأس على مستقبل دولته التي بناها بالطموح والذكاء والإرادة الجبارة، وذكرت الروايات التاريخية أنه كان مدمناً على العمل ومراجعة شؤون الدولة حتى ساعة متأخرة من الليل حتى لا يفوته أمر من أمورها،[40] وكان مدركاً أن الدولة لن تعيش طويلاً بعده، ويتضح ذلك من جهوده الكبيرة والعمل الشاق الذي يقوم به بنفسه، وذلك هو قدر الدول التي تربط مصيرها بالأفراد، فتصعد مع الشخصيات الفذة وتهبط مع الضعفاء، وقد روت المصادر أنه دُفن في مدينة سالم حيث توفي -على الأرجح - وهو يعد لغزوة ، أو أنه كان عائداً منها.[41]

نهاية العامريين بعد وفاة الحاجب المنصور:

وبالرغم مما نعمت به الأندلس أيام الحاجب المنصور من الرخاء والعزة والاستقرار، فإن الشعب لم ير في المنصور سوى مغتصب للسلطة الشرعية، وكان يتوق إلى التحرر من هذا الطغيان الذريع، والتخلص من وطأة الصقالبة والبربر، والعودة إلى الأوضاع الطبيعية المألوفة، وكانت شخصية المنصور العظيمة، وعزمه الصارم، وهمته البعيدة، وخلاله الرفيعة، وتفانيه في الجهاد، والعمل على إعزاز الأندلس وإسعادها، كانت تفرض نفسها على الناس، وتخفف نوعاً من وطأة النظام وحِدته، وتبث في نفوس الشعب نوعاً من الإعجاب المقرون بالإغضاء والتسامح. فلما توفي المنصور ونهض ولده عبدالملك بأعباء الحكم، بدأ ينقشع هذا الشعور الملطف، وبدت مثالب الحكم المطلق على أشدها، وزاد إحساس الشعب بما يعانيه من ضروب الإرهاق والضغط، وظهرت شخصية عبدالملك ضئيلة باهتة بالنسبة لشخصية أبيه العظيم.[42] استمر عبدالملك بن المنصور بن أبي عامر في منصب الحجابة سبع سنوات إلى أن توفي سنة 399هـ/1009م، وخلفه على منصب الحجابة أخوه عبدالرحمن الملقب ب(شنجول) كانت وفاة عبدالملك المظفر فاتحة لفترة من أعجب فترات التاريخ[43] الأندلسي وأشدها غموضاً واضطراباً، وكانت نذيراً بانقلاب من أعنف ما شهدت وعرفت الأندلس وأشدها تقويضاً لبنائها وسلامها ورخائها. فقد مضت خمسة وثلاثون عاماً على حكم الطغيان المطبق، الذي فرضه المنصور بن أبي عامر على الشعب الأندلسي، وقضى في ظله على سلطان الخليفة الشرعي، ومُحيت رسوم الخلافة، وسُحقت العصبية العربية، وطوقت أعناق الشعب بأغلال خانقة. ولم يكن عبدالرحمن الشخصية التي تملأ الفراغ الذي تركه أخوه عبدالملك المظفر، فقد عُرف عنه قلة الذكاء والتهور، فخالف سياسة والده وأخيه بالتقرب من الخليفة المحجور هشام المؤيد، وأفرط في ملازمته والتودد إليه، حتى أنعم عليه الخليفة بلقب المأمون، فاستنكر عدد كبير من أهل قرطبة هذا اللقب، ثم أعقب هذا اللقب مرسوم خلافي بتولية عبدالرحمن شنجول ولاية العهد وقرأ المرسوم أمام كبار رجال الدولة وزعماء الطوائف[43]، وكان لهذا القرار آثاره الخطيرة على العامريين في الدولة وكذلك على سلطة الخليفة نفسها، فبدأ بعض أفراد البيت الأموي بالعمل على قلب نظام الحكم، واستغلال أمثل الظروف لتحقيق هدفهم، فاستغلوا خروج شنجول لحرب قشتالة، وخلو العاصمة من معظم القوات، فثار محمد بن هشام حفيد عبدالرحمن الناصر الملقب بالمهدي، في 16 جمادى الآخرة سنة 399هـ/1009م، وسيطر على قصر الخليفة هشام المؤيد، الذي أعلن تنازله عن الخلافة ليتولاها محمد بن هشام، الذي خرب مدينة

الزاهرة العامرية واستباحها، وعندما علم شنجول بالأمر أعلن تنازله عن ولاية العهد وحاول إرجاع هشام المؤيد للحكم ولكن دون فائدة، حيث انتهت هذه الأحداث بمقتله في السنة نفسها.[44] وبمقتله أُسدل الستار على الدولة العامرية بسرعة لم تكن متوقعة، فقد تولى عبدالرحمن شنجول الحكم والدولة محكمة النظام موطدة الدعائم، ولم تمضِ أكثر من ثلاثة أشهر حتى انهار ذاك الصرح الشامخ الذي شيده المنصور بن أبي عامر، ولبث خمسة وثلاثون عاماً ينشر الأمن والرخاء على عموم بلاد الأندلس.[45]

خاتمة:

وختاماً يمكن القول إن المنصور بن أبي عامر قد صنع لنفسه وللدولة الأموية في الأندلس مجداً لامعاً في سجلات التاريخ، وذلك بفضل ذكائه وفطنته وقوة شخصيته وقدراته السياسية والعسكرية، وقد ساعدته بعض الظروف في الوصول إلى أعلى مكانة في السلطة مثل صغر سن الخليفة هشام المؤيد، ووصاية والده للمنصور برعايته ومساندته في الحكم، غير أن الحاجب المنصور استغل كل الظروف لمصلحته، فسيطر على مفاصل القرار في الدولة، وأصبح صاحب السلطة والسيف، مما جعل دور الخليفة ضعيفاً، فأطلق البعض على فترة الحاجب المنصور بحقبة الدولة العامرية في إشارة إلى سيطرة العامريين (المنصور وأبنائه)،وهي حقبة تشبه إلى حد كبير حقبة البرامكة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، غير أن الرشيد كان قوياً والمؤيد ضعيفاً مما يعني أن سيطرة العامريين على مفاصل الدولة كانت أقوى من سيطرة البرامكة. وبنهاية حقبة العامريين بدأت مرحلة سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، بسبب كثرة الفتن والاضطرابات وتفرق كلمة المسلمين في الأندلس.

النتائج:

1/ تطور منصب الحجابة في عصر الأمويين في الأندلس فأصبح أعلى سلطة في الدولة بعد الخليفة، وهو ما أغرى المنصور للتمدد في نفوذه وصلاحياته.

2/ تعتبر الفترة التي تولى فيها المنصور الحجابة من أفضل فترات الأندلس لمعاناً وتألقاً، وتفوقاً في السلطان والقوة العسكرية، وذلك بفضل القدرات التي أظهرها في إدارة الدولة.

3/ أكثر ما أُخذ على المنصور هو طريقته الدموية في التخلص من منافسيه، فهو لا يتردد في قتل كل من يزاحمه في السلطة.

4/ تولية هشام المؤيد العهد لعبدالرحمن بن المنصور هي بداية شرارة الصراعات في الأندلس،

حيث كان وقع ذلك سيئاً في نفوس قوم جبلوا على تقديس الخلافة وحقوقها الشرعية.

5/ بسقوط الدولة العامرية دخلت الأندلس في معترك مروع من الفتن والفوضى والصراعات، أدت إلى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، وانتهت الحكومة المركزية وتمزقت وحدة البلاد.

التوصيات:

توصي الدراسة بالآتي:

1/ المزيد من البحث والدراسة عن حقبة العامريين في عهد الخلافة الأموية في الأندلس خاصة الفترة التي أعقبت وفاة الحاجب المنصور.

2/ عمل دراسة مقارنة بين الأسر التي تظهر في بلاط الخلفاء وتفرض نفوذها وسيطرتها على الدولة مثل (البرامكة في عهد الرشيد، والأسرة السهلية في عهد المأمون، والعامريين في الأندلس).

□

الحواشي:

1/ المراكشي، أبو محمد عبدالواحد بن علي التميمي، المعجب في تلخيص أخبار العرب، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د.ت، ص72.

2/ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر ج4، مكتبة لبنان، بيروت، 1992م، ص318.

(*1) قرطبة: كانت قرطبة عاصمة الدولة الأموية في الأندلس، وأصبحت في القرن الرابع الهجري من أعظم مدن العالم الإسلامي، ومركزًا للعلم والإدارة والثقافة، ومنها أدار الخلفاء والأمراء شؤون الدولة.

- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص.238

3/ ابن الآبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، الحلة السيراء، ج2، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص148.

(*2) الحاجب جعفر: هو أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي، تولى الوزارة في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، ثم انفرد بتدبير الدولة بعد وفاته، قبل أن يقضي الحاجب المنصور على نفوذه ويسجنه حتى توفي.

- محمد عبد الله عنان مرجع سابق، ص **485–489**..

(*3) صبح : هي صبح البشكنجية جارية الحكم المستنصر بالله وأم الخليفة هشام المؤيد بالله، مارست نفوذًا سياسيًا واسعًا خلال صغر ابنها، وأسهمت في صعود محمد بن أبي عامر إلى قمة السلطة.

- المقري، أحمد بن محمد التلمساني، ، نفح الطيب، ج1، دار صادر، بيروت، 1998م، ص**414–416**.

4/ ابن عذارى، أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، ج2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م، ص267.

5/ ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، الدار المصرية للكتب، القاهرة، 1994م، ص106.

6/ أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة،

الإسكندرية، ص146.

(*4) الوزير ابن حدير: أبو بكر محمد بن حدير من كبار رجال الدولة الأموية، تولى الوزارة في عهد الحكم المستنصر بالله، وكان من أصحاب الخبرة في الإدارة وتسيير شؤون الدولة.

– المراكشي، مصدر سابق، ج2، ص **250**.

7/ محمد عبدالله عنان، مرجع سابق، ص523.

8/ محمد عبدالله عنان، مرجع سابق، ج1، ص524.

9/ محمد عبدالله عنان، مرجع سابق، ج1، ص525.

10/ المقري، أحمد بن محمد التلمساني، ، مصدر سابق، ص276.

11/ محمد عبدالله عنان، مرجع سابق، ج1، ص526.

12/ ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص147.

13/ ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص263.

(*5) بني برزال: بنو رزال أسرة أندلسية بارزة تولى عدد من أفرادها مناصب إدارية وكتابية في الدولة الأموية، وكان لهم حضور في دواوين الخلافة خلال القرن الرابع الهجري.

- محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ج1، ص**470.**

14/ د.خليل السامرائي، وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2000م، ص194.

(*6) غالب بن عبدالرحمن: هو غالب بن عبد الرحمن الناصري من أشهر قادة الأندلس العسكريين في عهد الحكم المستنصر وهشام المؤيد، قاد حملات ناجحة ضد الممالك المسيحية، ثم دخل في صراع مع محمد بن أبي عامر انتهى بمقتله سنة 371هـ/981م.

- محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ج1، ص **515–520.**

15/ الشنتريني، أبي الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1997م، ص63.

(*7) محمد بن جعفر المصحفي: هو أحد أبناء الوزير جعفر المصحفي، تولى بعض الأعمال الإدارية في الدولة الأموية، إلا أن مكانته زالت مع سقوط أسرة المصحفي بعد استيلاء محمد بن أبي

عامر على السلطة.

- ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص**265**.

16/ ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص267.

17/ ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص174.

18/ محمد عبدالله عنان، مرجع سابق، ج2، ص538

(*8) جعفر بن علي بن حمدون: جعفر بن حمدون من رجال الدولة الأموية بالأندلس، تقلد بعض المناصب الإدارية والعسكرية، وكان من الشخصيات التي اعتمد عليها الخلفاء في إدارة بعض شؤون الدولة.

- ابن حيان، مصدر سابق، ص**94**.

19/ ابن الخطيب، لسان الدين السلماني، أعمال الأعلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص62.

20/ ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص299.

21/ أحمد محمود بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، ج1، أطلس للنشر والتوزيع، 1983م، ص31.

22/ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، مصدر سابق، ص65.

23/ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، مصدر سابق، ص77.

24/ ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص294.

25/ ابن الآبار، مصدر سابق، ص149.

26/ ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، ج8، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997م، ص665.

27/ ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص148.

28/ إبراهيم بيضون، الدولة العربية في اسبانيا، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م، ص340.

29/ محمد عبدالله عنان، مرجع سابق، ص541.

30/ السامرائي، وآخرون، مرجع سابق، ص199.

31/ ابن الخطيب، لسان الدين السلماني، الإحاطة في اخبار غرناطة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص71.

32/ محمد عبدالله عنان، مرجع سابق، ص184.

33/ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، مصدر سابق، ص70.

34/ إبراهيم بيضون، مرجع سابق، ص328.

35/ إبراهيم بيضون، مرجع سابق، ص328.

36/ ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق: احسان عباس، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ص77.

(*9) عبدالملك بن شهيد: هو أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد (382–426هـ)، أديب وشاعر وكاتب أندلسي شهير، برز في عصر الدولة العامرية وبدايات عصر الطوائف، ويُعد من أعلام الأدب الأندلسي.

- المقري، مصدر سابق، ج3، ص **158–161.**

37/ محمد عبدالله عنان، مرجع سابق، ص574.

38/ أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للنشر، القاهرة، 1966م، ص73.

39/ ابن بشكوال، أبو القاسم القرطبي، الصلة، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م، ص40.

40/ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، مصدر سابق، ص76.

41/ ابن الخطيب، الإحاطة في اخبار غرناطة، مصدر سابق، ج2، ص82.

42/ محمد عبدالله عنان، مرجع سابق، ص623.

43/ ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص148.

44/ ابن عذارى، مصدر سابق، ج3، ص249.

45/ محمد عبدالله عنان، مرجع سابق، ص638.

المصادر والمراجع:

أولاً/ المصادر:

1/ ابن الآبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، الحلة السيراء، ج2، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب، ج1، دار صادر، بيروت، 1998م.

2/ ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، ج8، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997م.

3/ ابن بشكوال، أبو القاسم القرطبي، الصلة، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م.

4/ ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للنشر، بيروت.

5/ الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للنشر، القاهرة، 1966م.

6/ ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، الدار المصرية للكتب، القاهرة، 1994م.

7/ ابن الخطيب، لسان الدين السلماني، أعمال الأعلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

8/ ابن الخطيب، لسان الدين السلماني، الإحاطة في اخبار غرناطة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

9/ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر ج4، مكتبة لبنان، بيروت، 1992م.

10/ الشنتريني، أبي الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1997م.

11/ ابن عذارى، أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، ج2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م.

12/ المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي، المعجب في تلخيص أخبار العرب، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د.ت.

ثانياً/ المراجع:

1/ إبراهيم بيضون، الدولة العربية في اسبانيا، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م.

2/ أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

3/ أحمد محمود بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، ج1، أطلس للنشر والتوزيع، 1983م.

4/ د.خليل السامرائي، وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2000م.

5/ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

تشكل الصورة وألفاظ الطبيعة في شعر أبي تمام

د. أحمد عبدالرحمن الشميري [1]

الملخص:

هدف البحث إلى دراسة تشكل الصورة وألفاظ الطبيعة في شعر حبيب بن أوس الطائي، الملقب بأبي تمام. الذي يعد من أبرز شعراء العصر العباسي، وتميز شعره بعمق الصورة والميل إلى استعمال المحسنات البديعية والغموض الفني، بسبب تعقد بنية الصورة الشعرية عنده وتوليده للمعاني، لذا لقب بشاعر الصنعة.

انطلقت موهبة الشاعر في صياغة بنية الصورة الشعرية لديه من زاوية رؤيته للعالم الواقعي من حوله ونقله لهذا العالم بأساليب وطرائق فنيه نابعة من وجدانه ومتماهياً مع ذاته الداخلية مع معطيات الدافع الخارجي بفنية إبداعية.

اتكأ الشاعر على ألفاظ الطبيعة الحية والجامدة في بنية الصورة الشعرية وبأنماطها كافة، ويسقط عليها مشاعره وعواطفه في خلق ترابط وتفاعل بوساطة خياله الشعري الخصب، وكانت رؤيته الذاتية إزاء الطبيعة رؤية تقع في دائرة الزمن، وارتبط عنده الرمز بالسياق الشعري، ومعبراً عن تجربته، مما جعل الدلالة الخاصة التي يخلقها الشاعر مؤثرة وبوساطة الألفاظ التي يستعملها وجعلها ذات طاقة جذب مستمرة، وتلج إلى النفس من مواقع الأشياء، ليذكر مظاهرها وتتجه صوب التأويل والدلالة الرمزية، كما استطاع الشاعر في صياغته الشعرية جعل الصورة الشعرية تمتلئ بالحركة والتعبير عن جوانب فكرية ونفسية.

وخلص البحث إلى نتائج عدة، منها:

اتسم شعره بعمق المعاني وميله إلى استعمال المحسنات البديعية وتوليده للمعاني، لذا لقب بالشاعر الصنعة.

[1] أستاذ النقد والأدب المساعد، كلية التربية، جامعة ذمار.

وكانت رؤيته للعالم من حوله حافزاً لموهبته الشعرية والتعبير عنها، بوساطة صياغة فنية للصورة الشعرية نابعة من وجدانه، ومتماهية مع ذاته وعبر عنها بذوق عالٍ وإبداع وتميز.

الكلمات المفتاحية : أبي تمام، الصورة الشعرية، السياق، الرمز، الطبيعة.

Abstract:

The Aim Of This Research Is To Study The Formation Of Imagery And Nature Language In The Poetry Of Habib Ibn Aws Al-Ta'i, Known As Abu Tammam. He Is Considered One Of The Most Prominent Poets Of The Abbasid Era. His Poetry Is Distinguished By Its Depth Of Imagery, Its Tendency To Employ Rhetorical Figures, And Its Artistic Ambiguity Which Stems From The Complexity Of His Poetic Imagery And His Ability To Generate New Concepts. He Was Thus Dubbed The 'Poet Of Craftsmanship'.

The Poet's Talent For Crafting The Structure Of His Poetic Imagery Was Born From His Vision Of The Surrounding World, Conveying This World Through Artistic Methods And Techniques Emanating From His Own Psyche, In Harmony With His Self And External Stimuli, With Creative Artistry. The Poet Relied On The Vocabulary Of Animate And Inanimate Nature In The Structure Of The Poetic Image And In All Its Forms, Projecting His Feelings And Emotions Onto Them To Create Coherence And Interaction Through His Eloquent Poetic Imagination. His Subjective Vision Of Nature Was Situated Within The Circle Of Time, And For Him, Symbolism Was Linked To The Poetic Context To Express His Experience. This Made The Nuanced Meaning The Poet Created Influential Through The Words He Used, Endowing Them With A Captivating, Enduring Energy That Penetrates The Soul From The Perspective Of Things, Recalling Their Manifestations And Moving Toward Symbolic Interpretation And Significance. In His Poetic Formulation, The Poet Was Also Able To Infuse The Poetic Image With Movement And Express Intellectual And Psychological Dimension. The Research Concluded With

Several Findings, Including: His Poetry Was Characterized By The Depth Of Meaning And A Tendency To Use Rhetorical Figures And Generate New Concepts, Therefore, He Was Dubbed The Poet Of Craftsmanship. His Vision Of The World Around Him Was A Catalyst For His Poetic Talent, And He Expressed It Through An Artistic Formulation Of The Poetic Image Emanating From His Own Psyche, Merging With His Own Self, And Expressed With Great Taste, Creativity, And Distinction .

Keywords: Abu Tammam, Poetic Image, Context, Symbol, Nature .

التمهيد:

في حياة الشاعر وأسلوبه الفني:

هو: حبيب بن أوس الطائي، ولد بقرية جاسم قرب دمشق في العام 804م - 192هـ، نشأ بدمشق، وأخذ يتردد منذ نعومة أظفاره على حلقات المساجد ومجالس العلم والأدب ينقل مما كان يجري فيها، وسرعان ما تدفقت شاعريته فبدأ يتجه بشعره إلى المدح.

رحل إلى مصر وهو شاب يتوقد ذكاءً، فجالس بعض الأدباء وأخذ منهم الثقافة والأدب، ولم يطل به المقام في مصر، إذ قفل راجعاً إلى دمشق؛ لأن حياته في مصر لم تكن على ما يرام، فأكثر شعره فيها نفثات متبرم، يستثقل الإقامة في وادي النيل. ويقول في قصيدته اللامية:

بنفسي أرض الشام لا أيمن الحمى ... ولا أيسر الدهنا ولا أوسط الرملِ

ولم أر مثلي مستهاما بمثلكم ... له مثل قلبي فيه ما فيه لا يغلي

عدتني عنكم مكرهاً غربة النوى ... لها وطرٌ في أن تمر ولا تحلي

إلى أن قال:

لقد طلعت في وجه مصر بوجهه ... بلا طالع سعدٍ ولا طائر سهلِ

وساوس آمال ومذهبُ همة ... تخيل لي بين المطية والرحلِ

وسورة علم لم تسدد فأصبحت ... وما يُتمارى أنها سورة الجهلِ

نأيت فلا مالاً حويت ولم أقم ... فأمتع إذ فجعت بالمال والأهل[1]

وما زال كذلك حتى نبغ واشتهر، فهجر مصر قاصداً كبار الرجال في العالم الإسلامي، وبلغ المعتصم خبره فحمله إليه إلى سامرا، فلازمه ومدحه، وكان في زمانه أمير الشعراء.

وفي شعره ما يدل على مغامرته في سبيل الجاه والمال، وقد زادته كثرة أسفاره عزماً ومضاء، فليس

[1] (؟) ديوان أبي تمام، تقديم وشرح الدكتور: محيي الدين صبحي، عدد الأجزاء: 2، دار صادر – بيروت، ط1: 1997م، (2/ 387 – 389) باب الأوصاف، قافية اللام.

إذن من الغريب أن نسمعه يقول:

دعيني على أخلاقي الصم للتي ... هي الوفر أو سرب تُرن نوادبُه[1]

وكان شاعرنا لا يحب حياة الخمول والاستسلام، بل من الذين يحبون المغامرة طلباً للعلى والمجد، يقول:

ألـــيس بأكنـــاف الجريـــر وفـــارسٍ ... وقـــم واصـــطخر قـــرار لـــروّد
بلـــى أن أرض اللّه فيهـــا ندوحـــة ... ومضـــطرب الفاتـــل المجـــرد[2]

وهذا ما حمل الشاعر على ترك إقامته في الشام، ثم على ترك مصر، ما دعاه للضرب في أجواز الأرض.

نقرأ له يقول:

ذات الثايـــا الغـــر لا تتعرضـــي ... عنـــد الفـــراق بمقلـــتي وجيـــد
مَـا أَبْـيَضَّ وَجْـهُ الْمَـرْءِ فِـي طَلَـبِ الْعُلَـى ... حَتَّـــى يُسَـــوَّدَ وَجْهُـــهُ فِي البِيـــدِ
وَصَـــدَقْتِ إِنَّ الـــرِّزْقَ يَطْلُـــبُ أَهْلَـــهُ ... لَكِـــن بِحِيلَـــةِ مُتْعَـــبٍ مَّكْـــدُودِ[3]

وتميز الشاعر بعزيمةٍ ونفسٍ تواقة، وشوقه إلى العظائم، نلتمس ذلك من خلال الأبيات التي يقول فيها:

لا أفقـــر الطَّـــرب القـــلاص ولا أرى ... مـــع زيـــر نســـوان أشـــدّ قتـــودي
شـــوق ضـــرحت قذاتـــه عـــن مشـــربي ... وهـــوى أطـــرت لحـــاءه عـــن عـــودي
عـــامي وعـــام العـــيس بـــين وديقـــةٍ ... مســـجورةٍ وتنوفـــة صـــيخود
حتـــى أغـــادر كـــل يـــوم بـــالفلا ... للطـــير عيـــداً مـــن بنـــات العيـــد[4]

---

[1] (؟) ديوان أبي تمام، (1/ 153) باب المدح، قافية الباء.

[2] (؟) المصدر نفسه.

[3] (؟) المصدر نفسه، (2/ 381) باب الأوصاف، قافية الدال، والبيت الأول ليس موجودا في الديوان،

[4] (؟) المصدر نفسه، (1/ 219 – 220) باب المدح، قافية الدال.

إذاً، فالشاعر ليس من الذين يركبون العيس من أجل الوصول إلى طرب أو ملهى، بل إنه رجل متمرس على قطع الفلوات المحرقة، فكم تركت لطيورها نصيباً وافراً من نياقي.

أمَّا تعاظمه بشعره فهو كثير كقوله يصف قصائده:

وسيارة في الأرض ليس بنازحٍ ... على وخدها حَزْنٌ سحيق ولا سهب
تذر ذرور الشمس في كل بلدة ... وتمضي جموحاً ما يُرد لها غرب
عذارى قواف كنت غير مدافع ... أبا عذرها لا ظلم ذاك ولا غصب
إذا أنشدت في القوم ظلت كأنها ... مسرَّة كبر أو تداخلها عجب
مفضلة باللؤلؤ المنتقى لها ... من الشعر إلا أنه اللؤلؤ الرطب[1]

وكذلك قوله:

خذها مغربة في الأرض آنسة ... بكل فهم غريب حين تغترب
منْ كلِّ قافيةٍ فيها إذا اجتنيت ... منْ كلِّ ما يَجْتَنيهِ المُدْنَفُ الوَصِبُ
الجِدُّ والهَزْلُ في تَوْشيعِ لُحْمَتها ... والنبلُ والسخفُ والأشجانُ والطربُ
لا يستقي من جفير الكتب رونقها ... ولم تزل تستقي من بحرها الكتب
حسيبة في صميم المدح منصبها ... إذ أكثر الشعر ملقى ما له حسب[2]

ويعد أبو تمام من أبرز شعراء العصر العباسي، ومن خصائص شعره العمق في المعاني والميل إلى المحسنات البديعية والغموض الفني، بسبب تعقد الصور وتوليد المعاني، ولذا لُقب بشاعر الصنعة، توفي أبو تمام في العام 846م/ 231هـ.

[1] (؟) ديوان أبي تمام، (1/ 145) باب المدح، قافية الباء.
[2] (؟) المصدر السابق، (1/ 167) باب المدح، قافية الباء.

الأسلوب الذي تميز به الشاعر أبـو تمام:

- مفهوم الصورة:

لقد تبوأت الصورة الشعرية منزلة مهمة في مناهج النقد المختلفة، وكانت في مقدمة الوسائل التي ذكرها النقاد، لدراسة جوهر الشعر وما يتعلق به من مؤثرات وذلك لما تحمله الصورة من أساس ملموس ووسيلة جوهرية لتلمس التفرد وتجديد ما أمكن من مظاهرها[1].

والصورة الشعرية في المفهوم النقدي الحديث تتعدى المفهوم البلاغي القديم الذي يفصل أو كاد يفصل الصورة عن ذات الشاعر، ويفرغها من محتواها الوجداني، وقيمتها الشعرية، وربما كان هذا الفصل هو الفارق الجوهري بين مفهم النقاد المحدثين للصورة الشعرية، ومفهوم النقاد الأقدمين لها[2].

وتتأتى أهمية الصورة من كونها: ((بنية تتشابك فيها العلاقات وتتفاعل، لتنتج الأثر الكلي الذي ينفتح على العمل الفني ويضيء أبعاده، كما أنه يضاء بأبعاد هذا العمل))[3].

فالصورة بهذا المعنى وسيلة يعتمدها الشاعر في نقل تجربته الشعرية بما فيها من رؤى وتصورات إنسانية، فهي ((تركيبة عقلية وعاطفية معقدة تعتبر عن نفسية الشاعر وتستوعب أحاسيسه وتعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة عن طريق ميزة الإيحاء والرمز فيها))[4].

فالصورة إبداع فني يخاطب الروح والإحساس والخيال معاً، ومن هنا تكمن أهمية الصورة في العمل الشعري بوصفها: ((الأداة التي تتربع على سائر الأدوات الشعرية فبحضورها أو غيابها يحكم على هذا الكلام الذي نسميه شعرًا))[5].

---

[1]() الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث؛ د. بشرى موسى صالح، بيروت، لبنان المركز الثقافي العربي ط1، 1994م، ص7

[2]() مفهوم الصورة الشعرية حديثاً، د. الأخضر عيكوس، مجلة الآداب جامعة قسنطينة، ع3، 1996م ص148.

[3]() جدلية الخفاء والتجلي، دارسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979م. ص21.

[4]() الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، د. أحمد علي دهمان، ' دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ط1 :1996. ص125.

[5]() رماد الشعر – دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق ' د . عبدالكريم راضي جعفر' دار الشئون الثقافية العامة ' العراق بغداد: 1998، ص125.

فالشاعر يتوسل بها للتعبير عن أزماته وانفعالاته الشديدة؛ لأنها وحدها قادرة على إحداث الأثر الملموس في المتلقي، ولاسيما وهي تجمع الأفكار العارية المجردة وتلبسها ثوباً جديداً فتصبح أكثر قدرة على توصيل المعنى المطلوب بوساطة اللغة فهي: ((تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها. فأغلب الصور مستمدة من الحواس، وهنا جانب لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية أو يقدمها الشاعر أحياناً كثيرة في صورة حسية))[1].

وبهذا تتكون الصورة في الغالب ((من حدين أساسين: أحدهما حاضر ماثل أمام الشاعر يريد وصفه، وثانيهما مختزن في الداخل يماثله أو يضاده، والشاعر المقتدر هو الذي يستطيع أن يجعل خياله يحلق في آفاق جديدة لا حدود لها من ذلك يتسنى لنا أن نصف الصورة الشعرية بـ((البؤرة التي تنطلق منها المعاني وتتشكل فيها الدلالات التي ترسمها التجربة الذاتية للمبدع فتصبغ بصبغتها وتتلون بتلونها فتخرج روح التجربة))[2].

وعليه تنطلق موهبة الشاعر في كيفية صياغة صورة من زاوية رؤيته للعالم الواقعي، ونقله لهذا العالم بصياغة فنية نابعة من وجدانه متماهيا بذاته الداخلية مع معطيات الدافع الخارجي بفنية إبداعية، فتحويل القيمة الشعورية إلى قيمة تعبيرية يتم بوساطة الصورة التي لا تنفصل عن وجدان الشاعر وحياته، فهي عملية إبداعية فردية يشخص فيها الشاعر الأشياء الجامدة ويجسدها، ويخلع عليها مشاعره وعواطفه، وهنا تكمن عبقرية الشاعر في إنشاء علاقة ترابط وتفاعل وانسجام وذلك بإطلاق العنان للخيال الشعري الذي ((يوجد بين المادي والحسي والفكري والمعنوي، ويذيب الحدود المصطنعة بينهما، فيتناغم الحس مع الفكر من دون أن يفصله أو يتميز عنه))[3].

---

[1] (أ) الصورة الفنية في الشعر العربي حتى أخر القرن الثالث، د. علي البطل، ط2، دار الأندلس، بيروت لبنان، 1981م، ص30،

[2] (أ) الشعر السياسي الأندلسي في عصر الطوائف ، د. محمد شهاب العاني، الشؤون العامة بغداد، 1998م، ص158.

[3] (أ) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، ط2، دار التنوير، بيروت، 1983م، ص343.

وعلى أساس البنية التصويرية التي تخلق الاستجابة أو تلغيها، ومدى كشفها عن حركة الشاعر النفسية، ودور الخيال في التشكيل لهذه الصورة.

- قال ابن رشيق القيرواني: ((لابد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه كأبي نواس في الخمر، وأبي تمام في التصنيع، والبحتري في الطيف ..الخ))[1].
- وقال الجرجاني في الوساطة: ((كانت الشعراء تجري على نهج من الاستعارة قريب من الاقتصاد حتى استرسل فيه أبو تمام ومال إلى الرخصة، فأخرجه إلى التعدي، وتبعه أكثر المحدثين))[2].
- ووضعه الآمدي بقوله: ((وشعره لا يشبه أشعار الأوائل ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات والمعاني المولدة.. ثم يقول: فإن كنت تميل إلى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ولا تلوي على غير ذلك فأبو تمام أشعر)).
- هذا هو رأي جمهور العلماء النقادين في شعر أبي تمام. والذي يطالع ديوانه ويدقق في تفهم معانيه يرى فيه ثلاث مزايا بارزة، وهي:
  1- تأنقه البديعي، (وأكثر ما يظهر ذلك في الاستعارة الطباق والجناس).
  2- شفقته بالأغراب – أو الغوص على ما يستصعب من الألفاظ والمعاني.
  3- تفننه المعنوي – وهو ما يسميه البعض بالاختراع.

أولاً: التأنق البديعي:

لم يخل الشعر العربي في عصر من العصور من الأخذ بأسباب البديع، أو الصناعة اللفظية أو المعنوية.

والحقيقة ما ذكرنا من أنواع البديع منثورة متفرقة في أشعار المتقدمين ولكن مسلم بن الوليد

---

[1] العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيد القيرواني، ت 456هـ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط4، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت لبنان:1972 ، 1-194.

[2] الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبدالعزيز الجرماني، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، ط4، مطبعة عيسى البابي العلي، :1966م، 324.

أكثر منها وكان يحتذى حذوا العتابي، وكان هذا يحتذي حذو بشار[1].

ثم قال أبو تمام فزاه على مسلم، وكان العصر الذي نشأ فيه شاعرنا أعني صدر الدولة العباسية، عصر انتقال في الأدب من الطريقة البدوية إلى الطريقة الحضرية المولدة.

وفي شعره من الشواهد على ذلك ما يحتمل المقام الإسهاب به، فنكتفي هنا بالقليل منها:

قال من قصيدة:

تلـــومين إن لم أطـــو منشـــورهمة ... طوت عن لساني مدح كل مزبد[2] (بر)

لبزتـــك أثـــواب البصـــائر عـــزة ... كستك ثياب الزجر من كل مرشد

كأنـــك لا تـــدرين طعـــم معيشـــة ... تمـــج دمـــاً مـــن طعـــم ذل التعبـــد

فصـــوني قنـــاع الصـــبر إنـــي لراحـــل ... إلى بحـــر جـــود غـــامر الفضـــل مزبـــد

أمـــات حيـــاة الوعـــد منـــه نوافـــل ... من الجود أضحت للعفاة بمرصد[3] (تر)

وقال مادحاً أحمد بن أبي دؤاد:

مـــا زلـــت أرقـــب تحـــت أفيـــاء المنـــى ... يومـــاً بوجـــه مثـــل وجهـــك أبيضـــا

كـــمْ محضـــرٍ لـــك مرتضـــىً لم يـــدخر ... محمـــودهُ عنـــدَ الإمـــامِ المرتضـــى

لـــولاك عـــز لقـــاؤه[4] (بر) فيمـــا بقـــى ... أضـعاف مـا قـد عزنـي فيمـا مضـى

قـــدْ كـــانَ صـــوحَ نبـــتُ كـــلّ قـــرارةٍ ... حتَّـــى تَـــرَوَّحَ فِي ثـــراكَ فَرَوَّضَـــا

---

[1] (؟) البيان والتبين ' أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255)' تحقيق عبدالسلام هارون' طبعة لجنة التأليف والترجمة ' القاهرة : 1948-1-24.

[2] (؟) المزبد اللئيم.

[3] (؟) ديوان أبي تمام، المصد نفسه.

[4] (؟) الضمير يرجع إلى الخليفة

أوردتـــني العِـــدَّ الخســـيف وقـــد أرى ... أتبرض الثمد البكي تبرضا[1]، (بر).

- وله متغزلاً:

لا أنـــت أنـــت ولا الـــديار ديـــار ... خـــف الهـــوى وتولـــت الأوطـــار

كانـــت مجـــاورة الطلـــول وأهلـــها ... زمنـــاً عـــذاب الـــورد فهـــي بحـــار

أيـــام تـــدمي عينـــه تلـــك الـــدمى ... فيهـــا وتقمـــر لبـــه الأقمـــار[3]

وقال من قصيدة في أبي دلف العجلي:

إذا مـــا غـــدا أغـــدى كريمـــة مالـــه ... هـــدياً ولـــو زفـــت لألأم خاطـــب

يـــرى أقـــبح الأشـــياء أوبـــة آيـــبٍ ... كســـته يـــد المـــأمول حلـــة خائـــب

وأحســـن مـــن نـــورٍ تفتحـــه الصـــبا ... بيضـــا العطايـــا في ســـواد المطالـــب[4]

وقال أيضاً:

ضـــاحي المحيـــا للـــهجير وللقنـــا ... تحـــت العجـــاج تخالـــة محراثـــا[5]

فالشطر الأول جميل، جعل الممدوح من ذوي الإقدام والتعرض للمشاق، ولكنه أفحش في الشطر الثاني إذ جعله محراثاً يشق غبار الحرب، وأفسد جمال البيت.

فتأمل استعارته للمعروف، وإيثار القوى له بالتطبيب

لعمـــري لقـــد حـــررت يـــوم لقيتـــه ... لـــو أن القضـــاء وحـــده لم يـــبرد[6]

---

[1] (؟) الترض الثمد أبكي أي أطلب الماء القليل هنا وهناك.

[2] (؟) ديوان أبي تمام، (1/ 391) باب المدح، قافية الضاد.

[3] (؟) ديوان أبي تمام، (1/ 321) باب المدح، قافية الراء.

[4] (؟) المصدر السابق، (1/ 148 – 149) باب المدح، قافية الباء.

[5] (؟) المصدر السابق، (1/ 190) باب المدح، قافية الثاء.

[6] (؟) المصدر السابق، (1/ 250) باب المدح، قافية الدال.

وإنك لتشعر بقشعريرة البرد في هذا البيت، وهو يقصد أن يقول إن حمية ممدوحه قد ثارت يوم لقي العدو وكادت تفتك به لولا أن القضاء حال من دون ذلك: فكد نفسه حتى جاء بالطباق ولكنه جاء غثاً بارداً.

وإليك هذه الأبيات يصف سفينة حملته إلى الممدوح، وانظر كيف يتعسف في تشبيهها بالجمال، وكيف يخرج به التكلف عن حدود الجمال.

حملت رجاي إليك بنت حديقة غلباء لم تلقح لفحل مقرف

نتجت وقد حوت الهنيدة وابتتت في شطرها وتبوعت في النيف[1]

نلاحظ في البيت الأول أنّه يريد بابنة الحديقة الغلباء: السفينة؛ لأنها تصنع من خشب الحديقة، وشبه بالفحل، ولم يلحقها أي لم يصبها بمطر. فتأمل هذه السماجة الصناعية، وفي البيت الثاني. أسرعت هذه السفينة وهي بنت مئة ولكنها في نشاط الخمسين وسارت غايتها في بحر كالصحراء.

ثانياً: تفننه المعنوي:

على أن لأبي تمام مع كل إسرافه في الشعر الصناعي مكانه عالية في الشعر العربي. وما ذلك إلا لدقة تصوره وحسن اختراعه ففي شعره كثير من الصور البليغة التي تشهد له بجودة الخيال وبعد مرامي النظر والذي يراجع ديوان بروية وتصبر على تحليل معانيه، يجد من بدائعه الشعرية ما لطف من وصف أو مجاز أو حكمة أو لبس لباساً قشيباً من البلاغة.

وأمثلة من شعره:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود[2]

وجود البيتين في جمال الصورة التي نرى فيها الحسود ناشراً فضل المحسود، وفي التمثيل على ذلك من العالم الطبيعي تمثيلاً يوضحها ويقررها في الذهن.

---

[1] (؟) المصدر السابق، (1/ 432) باب المدح، قافية الفاء.

[2] (؟) ديوان أبي تمام، (1/ 223) باب المدح، قافية الدال.

ومن أجمل صورة شعرية قوله يرثي ولدين صغيرين لأحد الأمراء والبلاغة ناطقة فيه:

لهفي على تلك الشواهد فيهما ... لو أمهلت حتى تكون شمائلاً

لغدا سكونهما حجى وصباهما ... حلماً وتلك الأريحية نائلا

ولأَعْقَبَ النَّجمُ المُرِدُّ بِدِيمَةٍ ... ولعادَ ذاكَ الطلُ جوداً وابلا

إن الهلال إذا رأيت نموه ... أيقنت أن سيكون بدراً كاملاً[1]

وهذا البيت الأخيرة الذي أتى به تمثيلاً لما كان يرجى من ذينك الولدين هو من أبدع الأمثال وأبلغها.

ومن حسن اختراعه، قوله يصف مشيبه الباكر:

ست وعشرون تدعوني فأتبعها ... إلى المشيب فلم تظلم ولم تحب

يومي من الدَّهرِ مثلُ الدَّهرِ مُشتهرٌ ... عَزْماً وحَزْماً وَسَاعي منه كالحِقبِ

فأصغري أن شيباً لاح بي حدثاً ... وأكبري إنني في المهد لم أشب[2]

فهو يعذر المشيب ويقول: ليس الغريب إنني شبت في السادسة والشعرين، ولكن الغريب أنني لم أشب وأنا طفل، يشير بذلك إلى ما في نفسه من عزم وهمة، وإلى ما أصابه منذ الطفولة من مقارعة الأهوال والخطوب.

ولو تأملنا مطالع قصائده ولاسيما تلك القصائد التي يصف فيها القادة والمعارك، نلحظ أسلوباً شديد الأسر بديع الخيال يملأ الأسماع ويحرك أوتار القلوب. ومن هذا النمط العالي قوله:

ستصبح العيس بي والليل عن فنى ... كثير ذكر الرضا في ساعة الغضب

صدفت عنه فلم تصدف مودته ... عني وعاوده ظني فلم يخب

كالغيث إن جئته وأفاك ريقه ... وإن ترحلت عنه كان في الطلب

---

[1] (؟) المصدر السابق، (2/ 320) باب المراثي، قافية اللام.

[2] (؟) ديوان أبي تمام، (1/ 115) باب المدح، قافية الباء.

خَلاَئِقَ الحَسَنِ استَوْفِي البَقَاءَ، فَقَدْ أصبحتِ قُرَّةَ عينِ المجدِ والحسبِ
كأنما هو في أخلاقه أبداً وإن ثوى وحده في جحفل لجب[1]

فإننا نرى في كل هذه المعاني والصور نزعته الفنية الشديدة، ولو قلبت ديوانه لوجدتها في أكثر شعره، وهذه النزعة ما فيها من عنف وشدة أسر هي التي حدث بمريديه إلى التغالي بمدحه وعده.

ومن أهم ما قاله في مدح الحسن:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي
وتنظري خيب الركاب ينصها محيي القريض إلى مميت المال[2]

فصاح الممدوح متأثراً: والله لا أتممتها إلا وأنا قائم، فلما انتهى من إنشاده عانقه.

ولا شك أن في شعر أبي تمام روعة خاصة، فهو يجمع بين الفخامة اللفظية وجزالة المعنى جمعاً يهز النفس، ويفعل بها ما فعل بمعاصره ومناوئه دعبل يوم سمع بعضهم ينشد ببتي أبي تمام:

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي ومحت كما محت وشائع من بري
وأنجدتم من بعد اتهام داركم فيا دمع انجدني على ساكني نجد [3].

فتأثر دعبل –على كرهه لأبي تمام– وصاح أحسن والله وجعل يردد:

(فيا دمع انجدني على ساكني نجد)[4]

ثالثاً: شغفه بالأغراب.

قال عنه صاحب العمدة: ((يذهب إلى حزونة اللفظ، وما يملأ الأسماع منه، مع التصنيع المحكم

---

[1] (؟) المصدر السابق، (1/ 116 – 117) باب المدح، قافية الباء.

[2] (؟) ديوان أبي تمام، (2/ 37) باب المدح، قافية اللام.

[3] (؟) ديوان أبي تمام، لم أجده في الديوان.

[4] (؟) الأغاني: (15/ 107).

طوعاً وكرهاً، يأتي للأشياء من بعد، ويطلبها بكلفة، ويأخذها بقوة))[1].

وقد وصف الشاعر قصائده بقوله:

فكأنما هي في السماع جنادل ... وكأنما هي في القلوب كواكب

وغرائب تأتيك إلا أنها ... لصنيعك الحسن الجميل أقارب[2]

تقبل على شعره فتصدمك وعورته، فتحاول التغلب عليها وتكد نفسك في تذليل عقباتها، ولكنك لا تلبث أن تشعر بتعب قد يحملك على النكوص، على أنك إذ صبرت وتابعت الشاعر في أساليبه وغرائبه وأخذت تجلو لنفسك معانيه، حمدت عاقبة هذا العمل وشعرت بما يستهويك من بديع تخيلاته وجزالة ألفاظه، ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك، قال في مطلع قصيدته لعبد الله بن طاهر:

أمن عوادي يوسف وصواحبه ... فعزماً فقير ما أدراك السؤال طالبه

أعاذلتي ما أخشى الليل مركباً ... وأخشى منه في الملمات راكبه

دعيني على أخلاقي الصم للتي ... هي الوفر أو سرب ترن نوادبه[3]

حتمت دراسة تشكل الصورة والفاظ الطبيعة في شعر أبي تمام تقسيمه إلى تمهيد، وخمسة مباحث، على النحو الآتي:

المبحث الأول: الصورة التشبيهية.

المبحث الثاني: الصورة الاستعارية.

المبحث الثالث: الصورة الكنائية.

المبحث الرابع: الصورة الرمزية.

المبحث الخامس: الصورة الوهمية.

---

[1] (؟) المصدر السابق.

[2] (؟) ديوان أبي تمام، (1/ 139) باب المدح، قافية الباء.

[3] (؟) نفسه.

المبحث الأول: الصورة التشبيهية.

التشبيه في تصوّر البلاغة العربية، هو موازنة بين طرفين متمايزين لاشتراك بينهما في سمة أو سمات، فالعلاقة الرابطة بين هذين الطرفين، هي ليست علاقة صهر أو توحد أو تفاعل تام؛ لأن علاقة الاقتران تبحث أساساً في شكل خارجي، أي الربط المقارن بين الأسس التشبيهية بين الشيئين سواء أكانت هذه الأسس نتاج تشابه حي أم تشابه في الحكم، أو المقتضى الذهني، وطبقاً لهذا التأسيس، فإن محاولة الشاعر استغلال التشبيه في بناء صوره الشعرية، يُعد من الأساليب البلاغية التي لا تخلق الإيحاء المكثف القادر على الفعل المؤثر في المتلقي، ولاسيما إذا راوح الشاعر عند حدود الدائرة المغلقة التي تبث التشابه الحسي بين الأشياء، من دون أن يكون ثمة ارتفاع إلى مصاف الحال النفسية التي لا ترى الأشياء كما هي.

ولعل الناقد العربي عبد القاهر الجرجاني، أدرك جمود التشبيه الذي يقوم على المقارنة القريبة، مثلما أدرك الشعرية في التشبيه الذي ينهض على المقارنة البعيدة بين المشبه والمشبه به، يقول: إن التصوير التشبيهي من الشيء في غير جنسه وشكله والتقاط ذلك من غير محلته واجتلابه من النيق البعيد بأمن الطرف واللطف، ومذهباً من مذاهب الإحساس لا يخفى موضعه من العقل: واحضر شاهد على هذا أن تنظر إلى التشبيه المشاهدات بعضها ببعض، فإن التشبيهات سواء أكانت عامية مشتركة أم خاصية مقصورة على قائل دون قائل -تراها- لا يقع بها اعتداد، ولا يكون لها موقع من السامعين،ولا تهز ولا تحرك حتى يكون الشبه مقرراً بين شيئين مختلفين في الجنس[1].

ويعني قول الجرجاني أن سمو الصورة التشبيهية ينعقد عند نقطة تمثلها داخلياً.

والشاعر أبو تمام مكثر من التشبيهات، إذ نجده يتكئ على حشد من الصور التشبيهية، يتخذ منها وسيلة مهمة للربط بين الأشياء؛ ولتقريب بعضها من بعض ((ويلجأ إليه الشاعر ليزيد المعنى وضوحاً ويحرك الأذهان))[2]؛ لأن التشبيه من أوضح الفنون البلاغية وأكثرها قدرة على تصوير المعنى وتقريبه.

استعمل الشاعر هذا النمط في تشكيل الكثير من صوره وهو في معظم تشبيهاته لم يخرج عن

---

[1] (أ) ينظر: أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني 116.

[2] (أ) دارسات بلاغية ونقدية، د. أحمد مطلوب، بغداد: 44

الذوق العربي خصوصاً فيما يتعلق بأوصاف الطبيعة أو الأشخاص أو الرثاء والمدح، وصولاً إلى ما يبتغيه خياله.

نقرأ له يصف شخصاً في سرعة حركته وسيره في الأرض كأنه الأرض صارت داراً في عينيه، يقول:

سيبتعث الركاب وراكبيها ... فتى كالسيف هجعته غرار

أطل على كلى الآفاق حتى ... كأن الأرض في عينيه دارُ[1]

يعتمد الشاعر في بناء هذه الصورة في الوصف على عنصر التشبيه، ويقيم منذ البداية نوعاً من الحوار بينه وبين شخص أخر يدور موضوعه حول وصف حركة الشخص الموصوف، فيبدأ هذا الخطاب بالفعل المضارع (سيبعث)، لجذب انتباه المتلقي، والانتقال به إلى لمحة تصورية، ثم يأتي التشبيه مركزاً على عنصر التشابه، بين الفتى الموصوف والسيف، وأضاف لهذه الصورة صورة أخرى جعلت المشبه الفتى أقوى وأنقى من المشبه به وكلتا الصورتان تشكلت بوساطة الأداة (كأن) فأصبحت أداة التصوير آلة عرض تظهر الصورة شاخصة بارزة لعين المتلقي، فضلاً عن أنها تثير حاسة البصر، إذ حاول الشاعر إقامة بنية لصورة الفتي بخفته وسرعة حركته فجاءة راسمة إياه رسمًا متماسكًا حسن التنظيم، وتأتي الصورة التشبيهية الأخرى لتوسع هذا التصوير وتشمل أكبر مدى ممكن لتشبيه الموصوف والقدرة على اللحاق بصفاته من خلال أداة التشبيه (كأن) التي تحمل بعداً توكيدياً، إذ أراد أن يؤكد الصفات التي يتمتع بها هذا الفتى الذي تحولت الأرض، على الرغم من حركتها إلى دار يستقر فيها هذا الفتى، وعليه نجد أن الشاعر قد تدرج في صورة التشبيهية ابتداءً من صورة السيف، وهي أصغر جزءً خاتماً صورته بمشهد خارجي صور فيه الأرض كأنها داراً في عين الفتى، ونقرأ له يصور أيام عشقه الماضية قائلاً:

أعوام وصل كان ينسى طولها ... ذكر النوى فكأنها أيام

ثم انبرت أيام هجر أردفت ... بجوىً أسى فكأنها أعوام

[1] (أ) ديوان أبي تمام، (1/ 316) باب المدح، قافية الراء.

ثـم أنقضـت تلـك السـنون وأهلـها فكأنهـا وكـأنهم أحـلام[1]

تقوم هذه الأبيات على أساس الصورة المتضادة في (أعوام كأنها أيام) و (أيام كأنها أعوام)، وأيام الهوى والمتعة أحلام؛ إذ فعل التضاد على قلب الموازين وحقق الأثر الدلالي والفني، ليخرج الصورة البلاغية التشبيهية مكتسبة حُلاةً بيانية وبديعة. كما أن قانون التضاد قد لعب بأقواسه الأرجوانية في هذه الأبيات قدرة الشاعر في صوغ خواطره وإبرازها في معرض التصوير والحكم الرشيقة، أي أن هذا الحشد من الثنائيات الضدية مرده إلى الحال الانفعالية والتجربة الشعورية التي يمر بها الشاعر، إذ استطاعت توجيه قدرته التعبيرية نحو هذه الثنائيات، لتفصح عن مشاعره كما أن انسيابية اللحن الناتج من هذه الألفاظ المتضادة دلالياً خلقت تلك المماحكة الإيقاعية الناتجة من توالي المتضادات، وبذلك استطع الشاعر اكساب صورة التشبيهية بعداً متنامياً وخلق هوة أو فجوة مثيرة تكشف وتضيء جوانب الصورة[2].

ونقرأ للشاعر في الفخر والاعتزاز بالنفس وصلابتها، وأنها أقوى عدداً وأصلب من الزمن، يقول:

وغربـت حتـى لم أجـد ذكـر مشـرقٍ وشـرقت حتـى قـد نسـيت المغاربـا
خطـوب إذا لاقيـتهن رددنـني جريحـاً كـأني قـد لقيـت الكتائبـا
ومـن لم يسـلم للنوائـب أصـبحت خلائقـه طـرا عليـه نوائبـا
وقـد يكهـم السـيف المسـمى منيـةً وقـد يرجـع المـرء المظفـر خائبـاً
....
وكنت امرءاً ألقى الزمان مسالما فآليـت لا ألقـاه إلا محاربـا[3]

ففي هذه المقطوعة المبينة على أساس علاقة الإنسان بالزمن، وهي علاقة تقوم على الطباق من

---

[1] (ينظر) ديوان أبي تمام، (2/ 75) باب المدح، قافية الميم.
[2] (ينظر) جدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو ديب: ص32
[3] (ينظر) ديوان أبي تمام، (1/ 126 – 127) باب المدح، قافية الباء.

خلال شعور الإنسان بوطأة الزمن، فنجد أن كل ما يمر به الإنسان هو تضاد (شرق وغرب، ذكر ونسيان، الظفر والخيبة، السلم والحرب) وفي النهاية يقرر الشاعر ما سيقوم به بإزاء هذا الزمن الذي لا يبقى على حال، فلم يعد في قاموسه المهادنة. فكأن الحياة ليس لها قيمة عنده أمام حكم الزمن وصروفه، ومن هنا استطاعت الصورة التشبيهية المبنية على التضاد إقامة الفكرة عبر الشرح الذي قدمه الشاعر أولاً، ومن ثم قرار أساسي تعامله مع الزمن المتضاد ثانياً، ولعل أسلوب الشاعر في خلق حوار مع ذاته الحيرى أمام صروف الزمن وموقفه إزاءها، قد أمد السياق الشعري بقدرة على المواصلة والتآلف، وجعل المتلقي يشاركه هذا الوجدان المنفصل مستمتعاً بالوصول إلى الصورة الكلية للقصيدة.

ويقول في وصفه الطبيعة:

أضحت تصوغ بطونها لظهورها ... نوراً تكاد له القلوب تنور

من كل زاهرة ترقرق بالندى ... فكأنها عين عليه تحدر

تبدو ويحجبها الجميم كأنها ... عذراء تبدو تارة وتخفر

حتى غدت وهداتها ونجادها ... فئتين في خلع الربيع تبختر

مصفرة محمرة فكأنها ... عصب تيمن في الوعاء وتمضر

من فاقع غض النبات كأنه ... در يشقق قبل ثم يزعفر[1]

إن البنية التشبيهية في النص ليست اعتيادية، لأنها ترجع إلى مصدر أعمق من الحواس، وفي هذا شعور حي ووجدان ترجع إليه المحسوسات، وليس العكس، إذ أن حدثه الإدراك القائمة على الاستنتاج والمقابلة، توارث، وظهرت حدقة الانفعال التي تعتمد اللحظة الشعورية، القادرة على جمع الأطراف المتباعدة في ظاهرها، والمتقاربة شعورياً في جوهرها، كما تراه الرؤية الخاصة للشاعر. لذا وجدنا هذه الحدقة تتوسل بأداة التشبيه (كأن)، وتكررها لمرات عدة، أملاً في القبض على النشاط التعبيري والمؤول من دون تسرب الفتور، مما يشير إلى نوع من الاندماج الناتج عن فعل الحركة النفسية.

إن المشهد التصويري التشبيهي، الأزهار/ عيون؛ إذ تتألق قطرات الندى فوق الأزهار، ثم تتساقط

[1] (أ) ديوان أبي تمام، (1/ 334 – 335) باب المدح، قافية الراء.

كأنها عين تنظر إليك والدمع تنحدر منها. ثم أن صورة الأرض كلها بمنخفضاتها ومرتفعاتها، كأنها جماعتان تتمايلان زهواً وخيل في ثياب الربيع الزاهية الألوان.

إن الرؤية الذاتية لـ (الطبيعة) الذي تقع في دائرة الزمن، تشير إلى دلالة تجري في مجرى الخصب والامتلاء ، اعترافاً بهبات الخالق جل وعلا على الإنسان، آزر هذا التصوير التشبيهي استعمال الألفاظ الدالة على الألوان (مصفرة، محمرة، فاقع، يزعفر)؛ ليرسم إيقاع تمتزج فيه الألوان، فالطبيعة تبدو في حالة تحول، بين لحظة وأخرى، وهذا التحول دليل على قدرة الله سبحانه وتعالى، لأنه تحول في الشيء ذاته.

وعليه فقد خرجت الصورة من أحادية المعنى وتشرع للتعدد طلباً للفاعلية الشعرية وتعلن القصيدة في هذا المستوى أن خلق الربيع وفعله في الطبيعة هو خلق المعتصم، وقدرة الربيع على تحويل الطبيعة من قدرة المعتصم على تحويل البلاد إلى زمن خصب.

بهذه الصورة التشبيهية كشف الشاعر العلاقة بين الثنائيات التي تصور الوجود بما هو شبكة من علاقات التشابه والتضاد عبر إدراك التشابه بين الربيع والمعتصم، وهذه وثبة تصويرية تميز بها الشاعر وتعد من ملامح التجديد في عصره، ومن الصور التشبيهية التي تميز بها قوله في إقامة علاقة مشابهه بين الأصيل والثوب الملوكي اللذين تجذب ألوانهما الجميلة البصر، يقول:

أصل كبرد الصعب ينط إلى ضحى عبقٍ بريحان الرياض مطيب[1]

ويقول:

لي من الحزن مثل ما من بديع الجمال لك[2]

ويقول:

ومسافةٍ كمسافة الهجر ارتقى في صدر باقي الحب والبرحاء[3]

---

[1] (ينظر) ديوان أبي تمام، (1/ 110) باب المدح، قافية الباء.

[2] (ينظر) المصدر السابق، (2/ 446) باب الغزل، قافية الكاف.

[3] (ينظر) المصدر السابق، (1/ 89) باب المدح، قافية الهمز.

ويقول:

فمـــرَّ ولـــو يجـــاري الـــريح خيلـــتْ لديـــه الـــريح ترســـف في القيـــود[1]

المبحث الثاني: الصورة الاستعارية (التجسيد والتشخيص).

ليس من المبالغة في شيء إذا قيل: (إن أهم ما يشغل الدارسين للغات الإنسانية حالياً هو الاستعارة، فهي موضوع إهتمام من قبل اللسانين وفلاسفة اللغة والمناطقة وعلماء النفس والانتروبولوجين)[2].

وإذا كان الشاعر يتجاوز الحدود البلاغية في الصورة الشعرية القائمة على التشبيه ويجعل من علاقاتها وسيلة لخلق إيحاءات لا غير، لذا فإن الصور القائمة على الاستعارة والمجاز ستكون أكثر تجاوزاً وحرية، إذ يستطيع الشاعر أن يعتمد عليها لخلق صور تشير إلى أشياء بعيدة أو أمور غير مدركة.

وعليه فقد كانت ((الصورة الشعرية في التراث العربي القديم التي حملت الكثير من مظاهر الجدة والغارية إنما جاءت عن طريق الاستعارات غير المألوفة وليس التشبيهات، ومن ثم فقد وصفت، بأنها خروج عن عمود الشعر أي على الذوق المتعارف عليه والمألوف في الاستعارة أو المجاز))[3].

وللصورة الاستعارية وسائل تشكيلية متنوعة لعل أبرزها:

التجسيد والتشخيص:

إن هذه الوسائل ذات أثر فاعل في اضفاء الجدة والحيوية والتنوع على الصورة الاستعارية النابغة من رؤية خاصة تقوم بتحليل الواقع ثم خلقه في شكل جديد على وفق رؤية داخلية تجمع بين المتغايرات ، أو على حد قول عبد القاهر الجرجاني: ((فإنك لترى بها الجماد حيًّا ناطقًا، والأعجم فصيحًا،

---

[1] (؟) ديوان أبي تمام، (1/ 256) باب المدح، قافية الدال.

[2] (؟) ينظر: تحليل الخطاب الشعري ' البنية الصوتية. الكثافة الفضاء' د. محمد العمري ' الدار العالمية للكتاب ط1' الدار البيضاء : 81..

[3] (؟) دير الملاك ' دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر' د .محسن أطيمش ' منشورات وزارة الإعلام العراقي : 1982، ص245.

والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية))[1].

ولذلك عدة الاستعارة مرحلة أكثر نضجاً في العقل البشري، فهي مرحلة راقية انتقل إليها التشبيه بفعل التقدم الحضاري وارتقاء الفكر الإنساني[2]، وهذا الأمر يفسره كثرة الصور الاستعارية في الشعر العربي عموماً.

لقد تنوعت الصورة الاستعارية التي توسل بها الشاعر أبو تمام من أجل التعبير عن تجاربه وانفعالاته مستأنسا بالألفاظ والرموز المستوحاة من الطبيعة المحيط به، من ذلك قوله في المدح:

إليك سرى بالمدح قوم كأنهم ... على الميس حيات اللصاب النضانض

معيدين ورد الحوض قد هدم البلى ... نصائبه وانمح منه المراكض

نشيم بروقاً من نداك كأنها ... وقد لاح أولاها عروق نوابض

....

إذا كانت الأنفاس جمراً لدى الوغى ... وضاقت ثياب القوم وهي فضافض

بحيث القلوب الساكنات خوافقُ ... وماء الوجوه الأريحيات غائض

فأنت الذي تستيقظ الحرب باسمه ... إذا خاض عن حد الأسنة خائض[3]

إن أكثر ما يلفت النظر في هذه الأبيات انتظامها في نظام استعاري متسع أخذ يتنامى ليستوعب الأبيات وفق وحدة يكمل فيها كابين ما انتهى إليه سابقه مع غياب الانفصال بين الأبيات.

ويبدأ التوسع الاستعاري بفعل نوع من السرد الخيالي مع ذكر لفظة (نسيم) في مطلع البيت الثالث، إذ هو كالبرق سرعة، ليظهر كرم الممدوح ومدى شجاعته، وبعد رسم هذه الأجواء يعود رسم صورة استعارية تشخيصية من خلال لفظة (تستيقظ الحرب) وكانت بمثابة النواة التي تدور حولها

[1] (ٔ) أسرار البلاغة: ص41.

[2] (ٔ) ينظر: البناء الفني في شعر الحب العذري الأموي، سناء البساني:239.

[3] (ٔ) ديوان أبي تمام، (1/ 388 – 389) باب المدح، قافية الضاد.

الصور الجزئية المتقدمة في الأبيات، فلم تعد جزئية محصورة في شطر بيت واحد وإنما لها امتداد يتجاوز النص كله، فتنامي الصور الاستعارية وارتباطها مع بعضها نابع من رؤية متنامية للشاعر مع فكرة وتجربة نفسية، كما جاء الضمير في لفظة (باسمه) العائد على الممدوح، الذي ربط جميع الصور بالصورة الأساس. إن هذا الاستعمال والتطور للصور الاستعارية في النص ارتفع بها من جمع الصور وحشدها إلى مستوى الاستعمال الاستعاري الجمالي. أما التطور الثاني في الأبيات فهو الارتفاع بالاستعارة إلى مستوى الرؤية المتخيلة في (هدم البلى، الأنفاس جمراً) فيلاحظ في هذا التصوير أن الشاعر قد جسد المعنويات بصورة محسوسة، وبذلك تظهر مقدرة الشاعر على الجمع بين المتباعدين على الرغم من كثرة الصور الموظفة ويقول أيضاً في المدح:

تكـــاد عطايـــاه يجـــن جنونهـــا إذا لم يعوذهـــا بنعمـــة طالـــب

إذا حركتـــه هـــزة المـــد غـــيرت عطاياه أسماء الأماني الكواذب[1]

فقد جاءت الصورة الاستعارية لتوضح كرم الممدوح، ذلك الكرم الذي نراه مجسداً، إذ يجن جنونه، ولا تستقر حاله، ولا يهدأ إلا إذا تقدمت له بالرقي ترقية مما هو فيه حالات المحتاجين والمعوزين، زد على ذلك تصويره لحالة المجد وتشخيصه، فإذا حرك هذا المجد انطلقت عطاياه، لتحقق جميع الأماني والآمال الصعبة.

وفي وصف المعركة نقرأ له قائلاً:

والحـرب تركـب رأسـها في مشـهدٍ عـدل السـفية بـه بـألف حلـيم

في ســـاعة لـــو أن لقمانـــاً بهـــا وهـو الحكيم لصار غير حكيم

جثمـت طيـور المـوت في أوكارهـا فتركـن طـير العقـل غـير جثـوم[2]

نلحظ في الأبيات على الرغم من قلتها، اشتمالها على أكثر من صورة استعارية جمعت من خلالها تقديم صورة فاعلة موحية معبرة. وقد بدأ بصورة (الحرب تركب) ليدل على بدء المعركة واستمرارها

[1] (ينظر) ديوان أبي تمام، (1/ 148) باب المدح، قافية الباء.

[2] (ينظر) المصدر السابق، (2/ 139– 140) باب المدح، قافية الميم.

وبلوغها الذروة، حتى أن العقل يصاب بالتمزق والحيرة لهول ما يرى.

إن هذا المنظر، وهذا التركيب الفني الذي خلقته الصور الاستعارية، في رسم المعركة وشجاعة القائد، لقد تبع الموت في وكره ليفرخ موتاً ويولد خراباً ودمارًا على الأعداء، كما أن الفعل (جثوم) والذي عزز الصورة وقوها، فكان أشبه بالجبل الذي يسقط على القلوب فيذهب بالقول ويجعل الحليم حيران وينزع الثبات، والصمود لقد تمكن الشاعر من تقديم صورة المعبرة والمثيرة للانفعال، ولم تأت الصور الاستعارية هنا عبثاً، بل جاءت لتحقيق أبعاد نفسية وموضوعية، ولتؤكد حقيقة آمن بها الشاعر ويروم ايصالها إلى القارئ، وهي تصوير شجاعة الممدوح، ومدى الأهوال التي تحلمها الحرب.

ومن الصورالاستعارية في وصف ملكته الشعرية، و أثرها في كل من حوله، يقول:

إليـــك أثـــرت مـــن تحـــت التراقـــي ... قـــوافٍ تســـتدر بـــلا عصـــاب

مـــن القرطـــات في الآذان تبقـــى ... بقـــاء الـــوحي في الصـــم الصـــلاب

عـــراض الجـــاه تجـــزع كـــل وادٍ ... مكرمـــة وتفـــتح كـــل بـــاب

....

تصـــير بهـــا وهـــاد الأرض هضـــبا ... وأعلامـــاً وتـــثلم في الروابـــي[1]

يحاول الشاعر إظهار قوة قوافيه معززاً جانب الفخر في نفسه، فيختار الأوصاف والصور، فيسند ما هو معنوي إلى ما وهو حسي، وجاءت حركة الأفعال الدالة على النمو وعدم الاستقرار (تستدر، تفتح، تصيرها، تثلم)، مما منح الصور جواً من الانسجام الدلالي والموضوعي، موظفاً تقنية التشخيص الاستعاري توظيفاً فنياً ونفسياً يخدم صوره الفنية، ويضفي الحركة والتحول على الصور الاستعارية، كما أن العاطفة استمرت محافظة على مستواها الانفعالي من أولها إلى أخرها، مما زاد من جماليات الصور وقوتها وإيحائها.

ونقرأ له: في وصف الوداع، وتأثرالأشياء من حوله، يقول:

[1] (؟) ديوان أبي تمام، (1/ 178– 179) باب المدح، قافية الباء.

ولما استحر الوداع المحض وانصرفت أوخـــر الصـــبر إلا كاظمـــاً وجمـــاً

فكـاد شـوقي يتلـو الـدمع منسـجماً لو كان في الأرض شوق فاض فأنسجما[1]

المبحث الثالث: الصورة الكنائية.

وتعد وسيلة من وسائل الأداء الشعري الذي يسمو به المعنى ويرتفع به الشعور إلى مستوى التعبير الفني والأداء الإيحائي الشفاف الذي لا يثير المخيلة فحسب، ولكنه ينفذ إلى الذهن عن طريق الحس، فيصدمه عن طريق المعطى الحسي التي هي صورة غير مقصودة، ثم يفاجأ بعد ذلك بما يخفيه هذا المعطي الحسي من دلالات نفسية وفكرية وذلك بوساطة الإيماءة السريعة، واللمحة الخاطفة التي يتلقفها العقل والشعور[2].

فالكناية محايدة بين الحقيقة والمجاز، ذلك أن حدودها المعرفية تعتمد على ((ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينقل المذكور إلى المتروك))[3].

وذكر الكناية والعدول عن التصريح، يكون لغايات مختلفة منها المبالغة أو الخوف من التصريح أو الحياء من أمر مخجل؛ ((لأن مشتقة من الستر يقال: كنيت الشيء إذا سترته، وأجري هذا الحكم في الألفاظ التي يستر فيها المجاز بالحقيقة، فتكون دالة على الساتر والمستور معاً))[4].

وهي صورة تختلف عن بقية أنواع الصور الفنية وذلك لأن الدلالة الحقيقة تغادر الصور المبتعدة عن الأداء الإبلاغي المباشر مختبئة خلف مقصديه الشاعر الذي يعمل قدر الإمكان على تجنب التصريح بها، وهو يوجهها للمتلقي.

وردت الصور الكنائية عند أبي تمام كثيراً وفي الأغراض الشعرية جميعها، أما عن طريق المباشرة، أو قد بدت مجازياً أو تعريضاً، إذ أن المجال أمام الشاعر يكون متسعاً يتفنن فيه كيف شاء.

---

[1] (؟) المصدر السابق.

[2] (؟) ينظر: بحث الصورة الكنائية في القصيدة الجاهلية: د. الأخضر عيكوس: 90 في ص140.

[3] (؟) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي:189.

[4] (؟) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الاثير: 3/ 63.

نقرأ له قصيدته في رثاء محمد بن حمير، يقول:

فلـم أر يومـاً كـان أشـبه ساعـة بيـوم مـن اليـوم الـذي ودعـا

مصيفٌ أفاض الحزن فيه جداولا مـن الـدمع حتـى خلتـه عـاد مربعـا[1]

تقوم الصورة الكنائية في البيتين على معنى (شدة الحزن) المتمثلة بقول الشاعر (جداولاً من الدمع) فيقام هذه الصورة اعتمد على حضور إشارة ضمنية للمعنى الأصلي، ثم تجاوزها إلى بناء صياغي له ناتج مغاير لما تمت الإشارة إليه، لكننا نلمح إشارة أخرى داخلية في النص تشير إلى هذه العلاقة، أي: (الحزن والبكاء)، فالمصيف أفاض الحزن فيه جداولا من الدمع كناية عن غزارة الدموع التي سكبت في هذا اليوم على موت ابن حميد، والمعنى الأصلي هو الحزن والفرع المنبثق عنه (البكاء)، ولكن هذا البكاء وهذه الدموع تحولت إلى جداول تسقط على الأرض، فتحول الأرض البور إلى معنى من المعاني؛ لأنها ارتوت فأينعت، والجزء (حتى خلته عاد مربعا) وتعد هذه الكناية من الكناية العامية، إلا أن إبداع الشاعر الذي حشد صور مجازية وتشبيهية ثم الطباق، جعل الصورة الكناية قادرة على جذب المتلقي.

ومن الصورة الكنائية ذات الطابع الخاص لأبي تمام، إذ نجد ما لا تتكرر ولا تنتشر بل ولا تعير عامة، فمثل قوله في هجاء عتبه بن أبي عاصم:

رميـت بمـن لـو أن الجـن ترمـى بـه لتنهبهـا الإنـس نهبـا[2]

أراد الشاعر التعبير عن الغضب، الذي استلزم من القارئ العودة إلى عدة حركات تراجعية ذهنية للوصول إلى الصورة المطلوبة، بمعنى أن نفس الشاعر وسطوته الذي لو مورس مع الجن لصارت هزيلة أو ضعيفة منتهية، ولسيطر عليها الإنس، وتلعبوا بها، فالإنس تجرؤا على الجن.

بفعل جبروت الشاعر، وهذه كناية عن غضبه، ومدى ما يستطيع أن يقوم به، فهي كناية خاصة لا تعم الناس جميعاً، لأننا لا نستطيع أن نفهمها إلا بالقرائن، أي: أن المتكلم هو الشاعر والغرض هجاء، والغاية عرض للقوة، لذا فإن الدلالة السياقية للصورة الكنائية هي السبيل لفهم هذه الكناية.

---

[1] (ت) ديوان أبي تمام، (2/ 311) باب المراثي، قافية العين.

[2] (ت) ديوان أبي تمام، (2/ 200) باب الهجاء، قافية الباء.

ويقول أيضاً في الهجاء:

فنزلـــت بـــين ظهـــورهم أشِـــراً ... فقـــروك ثـــم الطعـــن والضـــربا
ضـــيفاً ولكـــن لا أقـــول لـــه ... أهـــــلا بمثـــــواه ولا رحبـــــا[1]

أي: إن الشخص المهجو وما لاقاه من الأعداء الذين هزموه، على الرغم من أنه كان كالضيف إلَّا أنه لم يلق ما يلقاه الضيف من الترحيب، ولقي بدلاً منه رفضا وغيظاً وسخرية وهزيمة مرة.

ومثل هذه الصورة الكنائية تعد حالة خاصة بالشخص المهجو، لا يفهم دلالتها إلا من خلال السياق الخاص ونجد أبا تمام يكثر الاعتماد على لفظين متضادين، ليكنى بمعنيهما عن الاستمرار في وضع معين أو الإكثار منه، أو الإحاطة بجميع جوانبه، فيقول مثلاً في مدح ابن أبي دؤاد:

وأيـــن يجـــور عـــن قصـــدٍ لســـاني ... وقلـــبي رائـــح برضـــاك غـــادي؟[2]

وفي رثاء حجوة الأزدي، يقول:

طامن حشاك أبا الحباب فإنها ... نوب تروح على الأيام وتغتدي[3]

والصورة الكنائية المعتمدة على الطباق تبرز في شواهد عدة، لكنايات ذات معان يُستدل عليها من السياق.

ويمكن أن نختم هذا المبحث بالوقوف عند هذه الصورة الكنائية الجميلة، في المقطع الغزلي لمدح ابن أبي دؤاد ، يقول:

شـــاب رأســـي ومـــا رأيـــت مشـــيب الـــ ... ـــرأس مـــن فضـــل شـــيب الفـــؤاد
وكـــذاك القلـــوب في كـــل بـــؤسٍ ... ونعـــــيم طلائـــــع الأجســـــاد

[1] (ديوان أبي تمام، (2/ 209) باب الهجاء، قافية الباء.
[2] (المصدر السابق، (1/ 215) باب المدح، قافية الدال.
[3] (المصدر السابق، (2/ 295) باب المراثي، قافية الدال.

طـــال إنكـــاري البيـــاض وإن عمـــ ـــرت شـيئا أنكـرت لـون السـواد[1]

المعنى الظاهر لهذه الصورة الكنائية هو شيب الفؤاد، ثم أشار إلى معنى فريد هو أن الأجساد ترجمان القلوب، فالحب يبري الجسد،كما يعذب القلوب والعكس صحيح،ثم يكني عن فزعه لكبر سنه، بصورة طريفة، ((طال إنكاري البياض))؛ ليدل على فوات زمن الصبا والعبث وعدم القبول لدى الغواني، ثم يعزز هذه الصورة بصورة كنائية أخرى عن الولوج في الكبر حتى ينسى أنه كان ذا شعر أسود يوماً من الأيام، لكن ليس الولوج في الكبر، بل إن فتنة الشعر الأبيض اضطرته إلى ارتداء مسوح الوقار، وسمت الحكمة وهيئة الرزانة.. آزر ذلك الصورة اللونية، إذ رمز اللون الأبيض لضياع المتعة والشيخوخة المبكرة، هو أبيض ولكنه مرفوض، واللون الأسود يرمز لاستمرار المتعة والشباب، هو أسود ولكنه مطلوب، ومثلت هنا حال الفزع الذي يصيب المبدع عند ضياع مصدر إبداعه، المتمثل في المرأة وعشقها، لذا كثر الضجر من الضيف الأبيض الثقيل، والبكاء على ذلك المسافر الأسود الجليل.

المبحث الرابع: الصورة الرمزيـة.

عرف الشعر العربي القديم منذ عصر ما قبل الإسلام فاعلية الرمز، وأفاد منها، وشكل هذا الأسلوب الفني بعضاً من تقاليد القصيدة العربية كما كان للتشبيه والاستعارة ألوان أخرى من التصوير حضور وأن الفارق بين الأزمنة الحديثة والمعاصرة، وتلك الأيام يكمن في اتساع دائرة الاستعمال والإلحاح لافي ابتكار الرمز وتبني طبيعته[2].

وفي شعر أبي تمام ارتبط الرمز بالسياق الشعري، بمعنى الالتفات إلى التجربة التي تسكن الشاعر، ولذلك يمنح الدلالة الخاصة التي هي من خلق الشاعر إذ يجد في هذه اللفظة أو تلك طاقة جذب مستمرة تتجلى بما يتسرب إلى النفس من وقع الأشياء ليذكر مظاهرها، ويعبر منها إلى التأويل والتلميح، وبهذا تكون الصورة الفنية ((تركيبة وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع))[3].

---

[1] (أ) المصدر السابق، (1/ 208 – 209) باب المدح، قافية الدال.

[2] (أ) ينظر، إجماليات الأسلوب في الصورة الفنية في الأدب العربي، د. فايز الداية، ص189.

[3] (أ) الشعري العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: ص127.

من أمثلة ذلك:

متدســـــم الثـــوبين ينظـــر زاده نظـــرٌ يحدِّقـــه وخـــدٌّ صـــلَّب[1]

يلحظ في البيت أن لفظة (الثوبين) قد استعملها الشاعر استعمالاً رمزياً تشير إلى أن المخاطب أو المتحدث عنه يتصف بالبخل بمعنى أن الصورة الرمزية تشكلت دلالياً من خلال السياق، ومثل هذا التصوير الرمزي يسمى الرمز السياقي.

ومن هذه الرموز السياقية قول الشاعر:

انظـــرْ وإيَّـــاكَ الهـــوى لا تُمْكـــنَنْ ســـلطانهُ مـــن مُقْلَـــةٍ شوْســـاءِ[2]

فقد رمز بلفظه (المقلة الشوساء) إلى النظرة التي تنم عن الازدراء أو الغضب الناتج عن الأحقاد والأهواء الذاتية.

كما نلحظ في الصورة الرمزية في شعر أبي تمام، أن الشاعر قد يستعمل رموزاً تشير إلى الحركة، ويمكن أن نقف هنا على بعضٍ منها كمثل قوله:

إذا ألجمـــت يومـــا لجـــيم وحولهـــا بنو الحصن نجل المحصنات النجائب[3]

فقد كان التركيب الرمزي ((ألجمت يوماً لجيم)) إذ ترمز حركه وضع اللجام في فم الخيل إلى الاستعداد للحرب.

وقد يكون الرمز أيضاً صورة أسطورية شجبت من أعماق التجربة الإنسانية، على شاكلة قوله:

ســليل الشـــمس أنـــت فـــدتك نفســـي وهـــل لســـليل شمـــس مـــن شـــبيه[4]

والمعنى المراد في الرمز المستعمل في البيت لا يقصد به مجرد التماثل بين أصل الممدوح المشهور وشيء مضيء، بل يروم الشاعر منح العنصر الأول (سليل) كل القيم التي يتصف بها العنصر الثاني

---

[1] (؟) ديوان أبي تمام، (1/ 123) باب المدح، قافية الباء.

[2] (؟) المصدر السابق، (1/ 84) باب المدح، قافية الهمز.

[3] (؟) ديوان أبي تمام، (1/ 149) باب المدح، قافية الباء.

[4] (؟) المصدر السابق، (2/ 460) باب الغزل، قافية الهاء.

الذي يحدده، سواء أكان نوراً أم شمساً.

وعند إمعان النظر في هذا التصوير الرمزي، الذي يعد من الطبيعة متصلاً بالنار، ونجده قد أتخذ قيمة نفسية مشيراً إلى الإعجاب والاحترام، إن لم يعبر عن الخوف الذين كان يحس به الشاعر أمام الممدوح.

كما نجد الشاعر في استعماله لهذا النمط من التصوير الرمزي يعبر عن جوانب فكرية ونفسية، والرمز يشير إلى عالم خفي غير مرئي، نعرض هنا لبعض منها .

نقرأ له:

تـردَّى ثيـاب المـوت حمـراً فمـا دجـا لهـا الليـل إلا وهـي مـن سـندس خضـر[1]

ركبت الصورة الرمزية الإيحائية على اللون، إذ رمز اللون الأحمر إلى استشهاد الممدوح الذي كان متعطشاً للاستشهاد، في حين التغير الذي طرأ على اللون فقد أخضر مع هبوط ظلام الليل، فقد تحقق رضا الله عنه وأكرمه بمقام الفردوس الأعلى في الجنة وتأتي الجوانب الفكرية هنا بمخالفة الدلالة الرمزية عند الغرب الذي يرجع إلى ذاته المبدع، أي أن الدلالة التي يحملها اللون الأخضر هنا يستقي قيمته الرمزية من المناخ الثقافي الإسلامي ونقرأ له يقول:

فقوَّمت لي ما اعوج من قصد همتي وبيَّضت لي ما اسود من وجه مطلبي[2]

إذ يرمز باللون الأسود للغابة التي يرومها ولم تحقق بعد، في حين أن الوجه الأبيض يرمز إلى اشباع الرغبة.

المبحث الخامس: الصورة الوهميـة(التخيلية).

وفي هذا النمط التصويري في شعر أبي تمام، نجد أن الشاعر ينطلق عن مشاكلة الواقع، إذ يعقد الشاعر بين الألفاظ علاقة غير منظورة تتجاوز الواقع، فيلفها الغموض إذا عزلت عن سياقها، إلا أن في السياق تفسر من خلال ما يسبقها أو يلحق بها مما هو قابل للتفسير، وترتبط معه بسلسلة من الروابط اللغوية، محفزة للمتلقي من خلال أنها تبعث فيه غربة الإحساس، وتدفعه للتفسير، ومن هذه

[1] (؟) المصدر السابق، (2/ 303) باب المراثي، قافية الراء.

[2] (؟) ديوان أبي تمام، (1/ 132) باب المدح، قافية الباء.

الصورة قول أبي تمام:

وركب يساقون الركاب زجاجة من السير لم تقصد لها كف قاطب[1]

والصورة التي يمكن تركيبها في البيت تفسر كما يلي، إذ إن الفعل (يسافرون) يقدم وظيفة أساسية، واستعمل الفعل هنا بمعنى (يسقون) أي يتبادلون السقيا، وعليه فلم تعد المطايا (الركاب) وحدها في مكابدة تأثير السكر الصرف، الذي يثيره التعب الناجم عن السير في الصحراء، بل يشاطرها في هذا التعب الركبان الذين يمتطونها. وعليه فقد عمد الشاعر لكي يعبر عن هذا الموضوع، أي التأثير الفيزلوجي الناجم عن المسير، إلى تركيب متعدد الأبعاد وهمي النظام.

فكيف يمكن تصور المطايا وهي تقوم بفعل الشرب وتعاني السكر الناجم عنه، أي إن التصوير هنا لا يماثل المواقع، بل يفسر بحدسي ينطلق من اللاشعور، الخاص الكامن في ذات الشاعر يعود إلى مرحلة النمو الأولي، وما تحمله من الألم، فقد اضطر الشاعر يوم أن كان طفلاً إلى ترك ثدي أمه، ورمز السائل هنا الخمرة إلى الألم الذي عاناه في هذه المرحلة من حياته.

وعلى نفس المسار التأويلي، تتجسد أمامنا صورة وأهمية أخرى، ذات دلالات إيحائية تثير الدهشة والدهم في قول أبي تمام:

مزقت ثوب عكوبها بركوبها والنار تتبع من حصى المعزاء[2]

البنية التصويرية في البيت تبنى على التخيل، فقد رسمت مخيلة الشاعر صورة وهمية لموج النار الذي ينبعث من أرض الصحراء، تخيله أثناء سيره تحت أشعة الشمس المحرقة، فصور حقيقتين بينهما تضاد إحداهما الأخرى، على صعيد الأحاسيس، ونريد بذلك (النار والماء) إذ مقل الفعل (تنبع) محور الارتكاز فيه، ليؤكد في مخيلة الشاعر المادية، في منظر الماء الذي يتجسد من نبع، والتناقض الواضح بين العنصرين الطبيعيين يفسر نفسياً.

[1] (ديوان أبي تمام، (1/ 147) باب المدح، قافية الباء.

[2] (المصدر السابق، (1/ 89) باب المدح، قافية الهمز.

الخاتمة:

وخلص البحث الى نتائج عده منها

- إن دراسة ديوان الشاعر حبيب بن أوس الطائي، الذي يعد من أشهر شعراء العصر العباسي وتتبع مفردات الطبيعة فيه، ومدى استعمال هذه المفردات في أنماط صوره المختلفة، إذ لم تبقى هذه الألفاظ بمعناها الإشاري وإنما انتقلت إلى دلالات جديدة يحددها السياق.
- كما اتسم شعره بعمق المعاني وميله إلى استعمال المحسنات البديعية وتوليده للمعاني، لذا لقب بشاعر الصنعة.
- كانت رؤيته للعالم من حوله حافزاً لموهبته الشعرية والتعبير عنها ببساطه صياغة فنيه للصورة الشعرية نابعة من وجدانه ومدغمة بذاته، وصاغها بذوق عال وإبداع وتميز.
- إن التجربة التي تسكن الشاعر كانت حاضرة، مما يجعل الدلالة الخاصة للشاعر مرتبطة بالرموز التي استعملها وجعلها مشحونة بطاقة جذب مستمرة للمتلقي.

وعبرت معظم صوره الرمزية عن دلالة نفسية وفكرية إذ استطاع إضفاء الحركة عليها والتفاعل مع الأشياء ليذكر مظاهرها وتتجه صوب التأويل والرمزية.

قائمة المصادر والمراجع.

1. أسرار البلاغة ' عبدالقاهر الجرجاني ' تحقيق هـ ريتر' مطبعة وزارة المعارف ' اسطنبول : 1954.
2. البناء الفني في شعر الحب العذري الأموي ' سناء حميد البياتي ' أطروحة دكتوراه ' كلية الآداب جامعة بغداد العراق.
3. البيان والتبين ' أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255)' تحقيق عبدالسلام هارون' طبعة لجنة التأليف والترجمة ' القاهرة : 1948.
4. تحليل الخطاب الشعري ' البنية الصوتية. الكثافة الفضاء' د. محمد العمري ' الدار العالمية للكتاب ط1' الدار البيضاء : 1990.
5. تحليل الخطاب الشعري ' استراتيجية التناص 'د .محمد مفتاح ' دار التنوير للطباعة والنشر ' ط1 : 1985.
6. جدلية الخفاء والتجلي ' دراسات بنيوية في الشعر ' د. كمال ابو ديب دار العلم. للملايين ط1' بيروت لبنان : 1979.
7. جماليات الأسلوب في الصورة الفنية في الادب العربي ' د. فائزة الداية 'دار الفكر المعاصر : 2012.
8. دراسات بلاغية ونقدية ' د. أحمد مطلوب ' بغداد : 1980..
9. دير الملاك ' دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر' د .محسن أطيمش ' منشورات وزارة الإعلام العراقي : 1982.
10. ديوان أبي تمام، تقديم وشرح د. محي الدين صبحي، دارصادر ، ط1 بيروت لبنان : 1997.
11. رماد الشعر ' دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق ' د . عبدالكزيم راضي جعفر' دار الشئون الثقافية العامة ' العراق بغداد: 1998..
12. الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ' د. محمد شهاب العاني ' الشئون الثقافية العامة ' ط1بغداد :1988.
13. الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ' د. عز الدين إسماعيل ' دار العودة ' بيروت لبنان: 1981.

14. الصورة البلاغية عند عبدالقاهر الجرجاني' د. أحمد علي دهمان ' دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ط1 :1996.
15. الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ' د. بشرى موسى صالح ' المركز الثقافي العربي ط1 ' بيروت لبنان : 1994.
16. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ' د . جابر عصفور ' دار التنوير ط2 ' بيروت لبنان : 1883.
17. الصورة الفنية في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث د. علي البطل ' ط2 دار الاندلس ' بيروت لبنان : 1981.
18. الصورة الكنائية في العقيدة الجاهلية ' د. الأخضر عيكوس ' مجلة الآداب جامعة قسنطينة' العدد الأول الجزائر : 1996.
19. العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيد القيرواني، ت 456هـ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط4، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت لبنان:1972.
20. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر' ضياء الدين بن الخطيب ' تحقيق محي الدين عبد الحميد ' مطبعة مصطفى البابي الحلبي ' مصر: 1939.
21. مفتاح العلوم ' أبويعقوب يوسف بن ابي بكرالسكاكي (ت 626)' تصحيح احمد سعد علي ' مطبعة مصطفى البابي الحلبي ' مصر: 1937.
22. مفهوم الصورة الشعرية حديثا ' د .الاخضر عيكوس ' مجلة الآداب جامعة قسنطينة العدد الثالة الجزائر : د. ت.
23. الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبدالعزيز الجرماني، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، ط4، مطبعة عيسى اليابي العلي، :1966م.

ظاهرة أطفال الشوارع: التعريف، الأسباب، الآثار والمعالجات

د. إيناس فرحان محمد الزهيري [1]

تتناول هذه الورقة البحثية ملخصًا حول قضية أطفال الشوارع، ويمكن تلخيص نقاطها الأساسية في المحاور التالية:

* خطورة الظاهرة وأبعادها: تُعد ظاهرة أطفال الشوارع مشكلة خطيرة تواجه العديد من دول العالم، لما تحمل من مخاطر اجتماعية، واقتصادية، وأمنية، وثقافية تهدد أمن المجتمع واستقراره ورفاهيته.

* إحصائيات وتحذيرات دولية: قدّرت الأمم المتحدة في تقرير عام 2001 عدد أطفال الشوارع في العالم بحوالي 150 مليون طفل، مع توقعات بارتفاع هذا الرقم إلى 800 مليون إذا لم تتخذ الدول إجراءات جادة لمعالجة المشكلة.

* أسباب الظاهرة: تنشأ الظاهرة بشكل أساسي من عوامل اقتصادية واجتماعية مرتبطة بالأسرة والمجتمع، بالإضافة إلى عوامل شخصية تتعلق بالطفل نفسه.

هدف البحث ومحاوره:

* دراسة أسباب الظاهرة وآثارها المخاطرة.
* تسليط الضوء على دور المنظمات الدولية، ومؤسسات الرعاية الاجتماعية الحكومية وغير الحكومية، والأجهزة الأمنية في الحد من هذه المخاطر.
* السعي لتحويل هؤلاء الأطفال إلى أفراد منتجين وصالحين في المجتمع، ومنع تحولهم إلى مجرمين يهددون الأمن والاستقرار.

الكلمات المفتاحية:

ظاهرة – أطفال- مجتمع – الشوارع - مخاطر

[1] قسم علم النفس التربوي، كلية العلوم التربوية، الجامعة الاسلامية بمنيسوتا - الولايات المتحدة الامريكية.

The Phenomenon of Street Children: Definition, Causes, Impacts, and Solutions

Abstract

The phenomenon of street children is a serious issue facing many countries worldwide, given the associated social, economic, security, and cultural risks that threaten societal safety, stability, and well-being. Consequently, nations attach great importance to this issue and strive to devise solutions and remedies. In a 2001 report, the United Nations estimated the global number of street children at 150 million, projecting that this figure could rise to 800 million if countries fail to seriously address this dangerous phenomenon. It is worth noting that this phenomenon stems primarily from economic and social factors involving the family and society, as well as personal factors related to the child.

This research focuses on this phenomenon by examining its causes and effects, as well as the roles played by relevant international organizations, government and non-governmental social welfare institutions, and security agencies in mitigating its risks. It explores efforts to transform these children into productive, upstanding members of society and to prevent them from becoming criminals who threaten societal security and stability.

Keywords: Phenomenon – Children – Society – Streets – Risks

المقدمة

تعد ظاهرة أطفال الشوارع مشكلة خطيرة تواجه الكثير من بلدان العالم؛ وذلك لما تنطوي عليه من مخاطر إجتماعية وإقتصادية وأمنية وثقافية تهدد أمن المجتمع وإستقراره ورفاهيته. ولذلك تولي دول العالم هذه الظاهرة أهمية كبيرة وتعمل على وضع الحلول والمعالجات لها، إذ قدرت الأمم المتحدة في تقريرها المقدم عام 2001 عدد أطفال الشوارع في العالم بـ150 مليون طفل، وتوقعت أن يرتفع هذا العدد إلى 800 مليون طفل إذا لم تعمل دول العالم بجدية على معالجة هذه الظاهرة الخطيرة، وذلك لأنها تؤدي إلى ظهور أجيال من المشردين الذين تتلقفهم عصابات الجريمة المنظمة وتجعل منهم مجرمين يشكلون خطراً كبيراً على المجتمع.

ومن الجدير بالذكر أن ظاهرة أطفال الشوارع هي بالأساس مشكلة تنبع من أسباب إقتصادية وإجتماعية تتعلق بالأسرة والمجتمع، وأسباب ذاتية تتعلق بالطفل نفسه، فهؤلاء الأطفال عادة ما يقومون بممارسة أعمال لا تتناسب وقدراتهم الجسمية وأشغال تفوق مستوى أعمارهم كثيراً، فهي ظاهرة أصبحت تمس أدق وأهم شريحة في المجتمع وهي شريحة الأطفال وتهدد حياتهم ومستقبلهم بشكل خطير، كما أنها تهدد المجتمع برمته لما تنطوي عليه من آثار خطيرة.

ويتناول هذا البحث هذه الظاهرة من حيث أسبابها وآثارها ودور المنظمات الدولية المعنية ومؤسسات الرعاية الاجتماعية الحكومية والأهلية والأجهزة الأمنية في الحد من هذه الظاهرة الخطيرة وتجنيب المجتمع مخاطرها وأضرارها والعمل على جعل هؤلاء الأطفال أعضاء صالحين ونافعين في المجتمع، والحيلولة دون تحولهم إلى مجرمين يهددون أمن المجتمع وإستقراره .. ومن الله التوفيق والسداد.

من هم أطفال الشوارع ؟

تعد ظاهرة أطفال الشوارع اليوم حقيقة لا بد من الأعتراف بها والوقوف على أسبابها وآثارها وانعكاساتها؛ وذلك لما تنطوي عليه من مخاطر لا حصر لها على المجتمع، فهي واحدة من المآسي التي تعاني منها المجتمعات في جميع دول العالم بلا إستثناء، وينبغي للمجتمع الدولي أن يواجه هذه الظاهرة بما تستحق من الاهتمام والدراسة ويضع لها المعالجات السليمة التي تحد من آثارها ومخاطرها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية.

ولكي نفهم هذه الظاهرة بشكل دقيق، ينبغي لنا أولاً أن نعرّف طفل الشارع ونتعرف على صفاته

السلبية والإيجابية، لكي نفهم المشكلة بوضوح، ونتحرى الجهود المبذولة للحد من آثارها.

تعرف فئة أطفال الشوارع على أنهم الأولاد الذين ليس لديهم منزل ولا مكان مستقر يليق بالعيش الكريم، بحيث يقضون كل ساعات يومهم في الشوارع العامة. وأن العمر المحدد لهؤلاء الأطفال هو تحت عمر (الـ 18 عامًا)، وتشير الدراسات التي أجريت على هذه الظاهرة إلى أن أغلب أطفال الشوارع موجودون في معظم الدول، إن لم يكن جميعها، بالرغم من أن رعاية الطفل هي من أولويات جميع دول العالم، وأن ظاهرة أطفال الشوارع تشكل مشكلة اجتماعية عامة تخص مجتمع كامل وليست مشكلة صغيرة تخص منظمة إنسانية دولية أو وطنية بعينها، بل هي قضية يتحمل مسؤوليتها الجميع . إذ تشير الاحصائيات الدولية إلى أن عدد أطفال الشوارع في العالم يتراوح بحدود 150. مليون طفل، وأن هذا الرقم في تزايد مستمر، وقد يصل إلى 800 مليون طفل.[1]

وقد عرّفت منظمة الصحة العالمية أطفال الشوارع في تقريرها لعام 2002 بأنهم " تلك الفئة من الأطفال الذين يلاحظون في الشوارع و لا يذهبون إلى المدرسة، أو يتسولون في الشوارع، أو يبيعون في القطاع غير الرسمي حيث يعملون لحساب الآخرين".

وتعرّف منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) أطفال الشوارع بأنهم "كل طفل، ذكر أو أنثى، اتخذ من الشارع محلاً للحياة والأقامة دون رعاية أو حماية أو إشراف من جانب أشخاص راشدين مسؤولين". تعريف اليونيسيف عام 1986 .

وعرفت المفوضية السامية لحقوق الإنسان أطفال الشوارع بالقول "إن مصطلح طفل الشارع الذي استعملته لجنة حقوق الأنسان في عام 1994 قد وضع في الثمانينات من القرن الماضي لوصف أي بنت أو ولد أصبح الشارع بالمعنى الأوسع للكلمة بما في ذلك المساكن غير المأهولة والقفار وما إلى ذلك، مسكنه ومصدر رزقه، ولا يحظى بما يكفي من الحماية والمتابعة والتوجيه من قبل بالغين مسؤولين"[2]

وبناءً على ما تقدم من تعاريف لأطفال الشوارع، فإن طفل الشارع هو البنت أو الولد الذي ترك منزل الأسرة وأصبح الشارع مسكنه ومصدر عيشه.

[1] أحمد موسى، أطفال الشوارع، المشكلة وطرق العلاج، المنصورة، المكتبة المصرية للنشر والتوزيع، ص39

[2] تقرير مفوضة الأمم المتحدة السامية لحقوق الأنسان بشأن حماية وتعزيز حقوق الأطفال الذين يعملون و/أو يعيشون في الشوارع رقم A/HRC/19/35 بتاريخ 2012/1/11

ولقد صنفت منظمة اليونسيف فئة أطفال الشوارع إلى ثلاثة تصنيفات هي:[1]

1. **القاطنون في الشارع: وهم الأطفال الذين يعيشون في الشارع سواء في المباني المهجورة أوفي الحدائق العامة، وهؤلاء الأطفال يعيشون في الشارع بصورة دائمية أو شبه دائمية وبدون أسرهم، وعلاقاتهم بأسرهم الأصلية تكون إما منقطعة أو ضعيفة جداً.**
2. **الأطفال الذين يعملون في الشارع: وهم الأطفال المتمثلين بالباعة المتجولين والمتسولين، ويقضي هؤلاء الأطفال ساعات طويلة يومياً في الشارع، وأكثر أطفال هذا النوع يعودون لقضاء الليل مع عوائلهم، وأحياناً يقضون ليلهم في الشارع .**
3. **أسر الشوارع: وهم الأطفال الذين يعيشون أصلاً مع أسرهم الأصلية في الشارع.**

وهناك أصناف أخرى من أطفال الشوارع هم:

- **أطفال تم التخلي عنهم:**

وهم الذين تمزقت كل روابطهم بأسرهم: إما بفقدانهم، أو بسبب الطلاق، أو نتيجة لهجر أسرهم، ولا محل إقامة لهم ولا مأوى، ويسكنون الحدائق، ومواقف السيارات، والأرصفة وأسفل الجسور.

- **الأطفال المشردين**

وهم هؤلاء الأطفال الذين يعيشون في الشارع وفي المباني المهجورة، وتحت الجسور، ومحطات السكك الحديد، ومواقف السيارات، والمداخل، الميادين العامة، ولكنهم لا زالوا يحافظون على اتصالهم مع أسرهم في المناسبات حيث يرى هؤلاء الأطفال الشارع منزلًا لهم، ويقضون معظم حياتهم في الشارع في مهن التسول، وبيع الأدوات المنزلية، وتلميع الأحذية، ومسح السيارات؛ حتي يزيد دخلهم، ودخل أسرهم، وعادة ما يرسل هؤلاء الأطفال المال لأسرهم.

الأطفال المشردين الأيتام

هؤلاء الأطفال هم الذين يعيشون ويعملون في الشارع، وليس لديهم أي اتصال مباشر مع أسرهم، وقد سبق لهم الهروب من إساءة المعاملة النفسية والجسمية، حيث يعد هؤلاء الأطفال مشردين وأيتامًا. وفي أغلب الأوقات يتعرض هؤلاء الأطفال للتعذيب، أو الضرب المبرح؛ نتيجة للعلاقات الممزقة

[1] https://www.unicef.org/reports/annual-report-1986

لأسرهم، وقد يكون هؤلاء الأطفال أيتامًا بالفعل وتخلت عنهم أسرهم، أو لديهم أسر مفككة؛ نتيجة للهجرة من أسرهم، أو الحرب، أو المجاعة، أو الأمراض أو الفقر.

وتشير العديد من الدراسات إلى خصائص أطفال الشوارع باعتبارهم إشكالية مرتبطة بالظاهرة، وبالآثار المترتبة عليها، وتؤكد تلك الدراسات على أن هؤلاء الأطفال يتصفون بالكذب، والسرقة، والنشل، والتخريب، والشغب، والخطورة على الأمن، والهروب من المنزل والمدرسة، والفشل الدراسي، والتشرد والبطالة والتسول، والعدوان والتمرد على السلطة، وعدم ضبط الانفعالات، والسلوك الجنسي المنحرف، وتعاطي المخدرات والمسكرات،[1]

أسباب حدوث ظاهرة أطفال الشوارع

إن ظاهرة أطفال الشوارع لم تأت من فراغ ولم تنشأ دون أسباب أدت الى نشوئها وتفاقمها حتى أصبحت معضلة كبيرة يواجهها المجتمع الدولي برمته بالرغم من إختلاف حدتها بين بلد وآخر، وأن وضع اليد على أسباب هذه الظاهرة الخطيرة هو الخطوة الأولى في الاتجاه الصحيح من أجل معالجتها أو الحد منها والتخفيف من مخاطرها وآثارها وإنعكاساتها على المجتمع.

وهناك الكثير من الدراسات التي تناولت أسباب هذه الظاهرة، وقد تعددت الآراء والاتجاهات في تبيان أسبابها، ولكنها، كمحصلة نهائية، قد أجمعت على أسباب اجتماعية واقتصادية وأسرية وذاتية تتعلق بالأطفال أنفسهم. وفي ما يأتي أهم الأسباب:[2]

أسباب اجتماعية تتعلق بالمجتمع:

لقد شهدت مدن العالم نمواً كبيراً في العقود الأخيرة أدى إلى تضخم أعداد السكان فيها، فقد هاجر إليها الآلاف من العوائل من الريف واستقروا فيها، مما ولد ضغطاً شديداً على موارد العيش فيها، وجعلها لا تستطيع تلبية حاجات سكانها بما يتناسب مع متطلبات العيش الحضري، فلجأت العوائل المهاجرة من الريف إلى بناء العشوائيات في أطراف المدن، وهي عشوائيات شكلت مشكلة كبيرة للحكومات والأجهزة الرقابية، حيث سكنتها العوائل الفقيرة التي لا تستطيع تلبية متطلبات الدراسة

[1] الدكتور برزان ميسر الحامد، ظاهرة أطفال الشوارع: الأسباب والمشكلات والمعالجات، جامعة الموصل، العراق 2019

[2] مظفر جواد أحمد، سيكولوجية أطفال الشوارع، ورقة بحثية مقدمة الى مركز الدراسات التربوية وألبحاث النفسية، جامعة بغداد، 2018

لأطفالها فضلاً عن عدم قدرتها على تلبية متطلبات العيش لأفراد الأسرة، فأرسلت أطفالها إلى الشوارع ليعملوا في بيع بعض الحاجيات أو يمارسون أعمالاً خدمية أخرى للسيارات، فأصبح هؤلاء الأطفال فريسة للانحراف؛ إذ شهدت مدن العالم في القرن الماضي نمواً سكانياً سريعاً، وحسب الأمم المتحدة، فقد ازداد سكان المدن زيادة كبيرة، فبعد أن كان سكان المدن يشكلون 13% من مجموع السكان في العام 1900 أصبحت النسبة 29% في العام 1950، ثم ارتفعت لتصل إلى 49% في العام 2005، ومن المتوقع أن تبلغ النسبة 60% عام 2030.[1]

ومن العوامل التي يسهم فيها المجتمع في إنتشار ظاهرة أطفال الشوارع هو إزدياد الطلب على عمالة الأطفال، حيث يفضل أصحاب العمل تشغيل الأطفال بسبب قلة الأجور التي يتقضاها الأطفال ولكونهم لا يخضعون لقوانين الضمان الأجتماعي والتأمين الصحي وغيرها من القوانين التي يفرضها تشغيل الكبار، وتشير إحدى الدراسات التي تناولت عمالة الأطفال الى أن 84% من أصحاب العمل يفضلون تشغيل الأطفال لأنهم قادرون على القيام بأعمال ومهام وواجبات لا يستطيع الكبار القيام بها، وأن 86% من أصحاب العمل يشغلون الأطفال لأنهم يعملون بشكل متواصل طوال ساعات العمل ولا يطلبون الاستراحة، ولا يهدرون الوقت في أعمال جانبية أخرى، فيكون إنجازهم أفضل من الكبار، وأن 30% من أصحاب العمل لا يفضلون تشغيل الكبار بسبب تذمرهم أو مطالبتهم بزيادة الأجور أو عدم تنفيذهم للواجبات.[2]

أسباب تتعلق بالأسرة:

الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، والأسرة السليمة المتماسكة تنتج جيلاً واعياً متعلماً من الأبناء الذين يصبحون قادة في مجتمعاتهم، وكلما كان بناء الأسرة سليماً، كان الأبناء عناصر فاعلة في مجتمعاتهم، ولنا في موروثنا الثقافي خير دليل على ذلك، فالشاعر العربي حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

والأم هنا في قول الشاعر هي الأسرة، ولا بد من رعاية الأسرة التي تستحقها من الرعاية الاجتماعية

[1] أبو بكر مرسي محمد مرسي، ظاهرة أطفال الشوارع، المفهوم، الأنتشار، العوامل المسؤولة، المخاطر، الجهود المبذولة، رؤية غير حضارية، الطبعة الأولى، القاهرة، جمهورية مصر العربية، مكتبة النهضة المصرية، 2001، ص42

[2] برزان ميسر الحامد، ظاهرة أطفال الشوارع الأسباب، الآثار، المشكلات والمعالجات، المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، العدد 10 سنة 2019، ص55

والاقتصادية والتربوية لكي نضمن مستقبل الأجيال ولكي نجنب مجتمعاتنا عواقب الأنحراف والجنوح والشذوذ.

بيد أن هناك عوامل كثيرة تجعل من الأسرة سبباً في جنوح الأطفال إلى الشارع وضياعهم وضياع مستقبلهم، الأمر الذي يتسبب في هذه الظاهرة التي نحن بصددها وما تنطوي عليه من مخاطر.

التفكك الأسري: ويعني تشتت الأسرة وتمزقها بسبب الطلاق أو موت أحد الوالدين أو تعدد الزوجات وغير ذلك من العوامل التي تؤدي الى تفكك النسيج الاجتماعي الرابط للأسرة والذي يحافظ على وحدتها وتماسكها. فكثيراً ما تؤدي هذه العوامل إلى فقدان معيل الأسرة، الأمر الذي يضطر الابن الأكبر، وهو في سن مبكرة، إلى ترك المدرسة والنزول إلى الشارع من أجل إعالة أمه وأخوته. ويذكر تقرير مفوضة الأمم المتحدة لحقوق الأنسان لعام 2012 "تعاني معظم أسر الأطفال ذوي الصلات بالشارع باستمرار من التمييز والفقر والإقصاء الاجتماعي في المجتمعات التي تكون فيها الفوارق كبيرة أو في تزايد. ويحصل قليل منها على الدعم الاقتصادي والمساعدة لرعاية الأطفال والمساعدة لضمان تحمل الآباء الغائبين لمسؤولياهتم تجاه أبنائهم، وعلى خدمات الصحة العقلية أو إعادة تأهيل مدمني المخدرات."[1]

العنف الأسري:

يرتبط العنف الأسري إرتباطاً وثيقاً بوضع الأسرة الاقتصادي والاجتماعي، فالأسرة المستقرة لا تعاني من هذه الحالة، بل تحتضن أبناءها بالمحبة والتربية السليمة، ولكن الأسر التي تعاني من أوضاع إقتصادية صعبة غالباً ما يمر فيها الأب بضائقة تجعله يقسو على أبنائه، الأمر الذي يسبب لهم عقداً نفسية تضطرهم في كثير من الأحيان إلى ترك المنزل والنزول إلى الشارع، كما أن الخلافات بين الوالدين وكثرة المشاكل بينهما تجعل الأطفال في وضع نفسي غير مستقر، وتدفعهم الى مغادرة المنزل. وتشير منيرة آل سعود الى أن العنف الأسري هو "أي سلوك أو عمل متعمد متكرر يصدر من قبل أحد الوالدين أو كليهما، أو الآخرين المحيطين بالطفل، أم من غرباء عن الطفل ويتسبب في إحداث أي نوع من الأذى والضرر على الطفل"[2]

[1] تقرير مفوضة الأمم المتحدة لحقوق الأنسان، مصدر سابق، ص8

[2] منيرة آل سعود، إيذاء الأطفاال: أنواعه وأسبابه وخصائص المتعرضين له،)القااهرة، مصر، الثقافة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، ص43

الوضع الأقتصادي السيء للأسرة

يعد العامل الاقتصادي أحد أهم جنوح الأطفال ونزولهم إلى الشارع، فالأسرة التي تعاني من شظف العيش وقلة الموارد تضطر إلى تشغيل أطفالها من أجل تلبية إحتياجات الأسرة وتأمين معيشتهم وملبسهم ومسكنهم، كما أن عمل الأب طوال اليوم وعودته إلى البيت منهكاً يجعله في وضع لا يستطيع متابعة أطفاله من حيث الرقابة والتوجيه، وقد تضطر الأم أحياناً الى العمل من أجل تغطية متطلبات الحياة، مما يجعل الأطفال بعيدين عن رقابة الوالدين، فيؤدي إلى الأمر إلى الانحراف وترك المدرسة والجنوح الى الشارع.

وتشير العديد من الدراسات الى أن سوء الوضع الاقتصادي للأسرة يعد المسؤول الأول عن تشرد الأطفال ونزولهم الى الشارع وممارستهم التسول، ولا سيما إذا كان الأب يعاني من البطالة، ويعجز عن تلبية متطلبات أسرته، فيدفع أطفاله إلى ترك المدرسة والنزول إلى الشارع للعمل.[1]

سوء معاملة الأطفال

إن تربية النشيء الجديد تعد من أولويات بناء المجتمع بناءً سليماً وضمان مستقبله، فالأطفال هم شباب المستقبل وقادة البلد في قادم السنين، وأن أي خلل في تربية النشيء له إنعكاسات خطيرة على مستقبل أي بلد، ولذلك تهتم الأمم ببناء الأنسان، فالاستثمار في بناء الإنسان هو ضمان لتقدم الأمم والشعوب ونموها وتطورها وازدهارها، وأن بناء الإنسان يبدأ من الأطفال، فكلما كان بناء النشيء الجديد بناء سليماً من الناحية الصحية والتربوية والنفسية والاجتماعية، تمكنت الأمم والشعوب من تحقيق أهدافها وطموحاتها في النهوض والرقي.

إن أخطر مشكلة تواجهها بلدان العالم اليوم هو هذه الأعداد المتزايدة من أطفال الشوارع الذين يشكلون قنبلة موقوتة قد تنفجر في أي لحظة لتلحق بالبلد آثاراً لا تحمد عقباها، ومن أهم أسباب هذه الظاهرة الخطيرة هي سوء معاملة الأطفال التي تتمثل في ما يأتي:

- التخلي عن الأطفال، هناك الكثير من الأسر التي تتخلى عن أطفالها بسبب سوء أوضاعها الاقتصادية والمعاشية سواء برمي الأطفال حديثي الولادة في الشوارع، أو عند أبواب الجوامع

[1] عبدالرحمن عسيري، الأنماط التقليدية والمستحدثة لسوء معاملة الأطفاال، أعماال ندوة سوء معاملة الأطفال واستغلالهم غير المشروع، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2001

أو الكنائس، أو بيعهم لقاء مبالغ مالية. وهذا أمر غاية في الخطورة؛ لأن هذا الطفل ربما يقع في أيادي العصابات التي تستغله لأغراضها الإجرامية.

- إهمال الأطفال، ويتمثل ذلك في فقدان الحب والحنان والرعاية والتشجيع، الأمر الذي يجعل الطفل بعدم أهميته وشعوره بالإحباط.
- الإيذاء الجسدي، ويتمثل في ضرب الطفل أو تعريضه للعقاب الشديد الذي يلحق به آثاراً جسدية، فيضطر الطفل إلى مغادرة المنزل والهروب إلى الشارع بهدف التخلص من ذلك.
- الإيذاء النفسي، ويتمثل في الإهانة والتحقير وحتى الطرد من المنزل، الأمر الذي يولد لدى الطفل حالة من الشعور بالحاجة للانتقام.
- الإساءة الجنسية، وهذه أخطر أنواع سوء معاملة الأطفال واستغلالهم، وهي للأسف الشديد في تزايد على المستوى العالمي.
- التسول بالأطفال، فهناك عصابات تستغل الأطفال لأغراض التسول في الشوارع، وهي عصابات جريمة منظمة.
- تشغيل الأطفال، إن اضطرار العوائل الفقيرة إلى إرسال أولادها للعمل سواء في الشوارع أو المصانع أو غيرها يعد انتهاكاً خطيراً لحقوق الطفل؛ وذلك لأن الطفل في هذا العمر ينبغي أن يكون في قاعات الدرس يتعلم وينشأ نشأة سليمة.

وقد أشارت الدراسة التي قدمها الدكتور عبدالرحمن عسيري إلى أن إساءة الآباء للأبناء وإيذائهم جسدياً ونفسياً وإجبارهم على العمل في المنزل أو خارجه وتعرضهم للطرد من المنزل، كلها عوامل تدفع الأطفال إلى الهروب من المنزل إلى الشارع، حيث يضطر الطفل إلى ذلك من أجل تجنب العقاب والضرب والإيذاء الجسدي والنفسي.[1]

أسباب تتعلق بالطفل

بالرغم من أن المجتمع والأسرة يتحملان المسؤولية الأكبر في نزول الأطفال الى الشارع، هناك

[1] عبدالرحمن عسيري، الأنماط التقليدية والمستحدثة لسوء معاملة الأطفال، أعمال ندوة سوء معاملة الأطفال وإستغلالهم غير المشروع، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2001، ص412

أسباب تتعلق بالطفل نفسه، فهناك أطفال يحملون من الصفات والطباع التي تجعل السيطرة عليهم غاية في الصعوبة، الأمر الذي يتطلب وضع برامج خاصة لرعاية هذا الصنف من الأطفال والحيلولة دون جنوحهم الى الشارع وضياع مستقبلهم، ومن الأسباب التي تتعلق بالأطفال وتؤدي الى نزولهم الى الشارع ما يأتي:

- حب الحرية وكسر القيود التي تفرضها الأسرة على حركة الطفل، يدفعانه للهروب من المنزل والنزول إلى الشارع.
- ضعف اهتمام الأسرة بالطفل ومتابعته ورعايته تجعله يشعر بعدم أهميته داخل الأسرة، فيبحث عن هذا الاهتمام في الشارع.
- إهمال الطفل من قبل الوالدين، بسبب أوضاعهما الاقتصادية أو الاجتماعية، وعدم الاستماع إليه، وتلبية احتياجاته ومتطلباته.
- الرغبة في التملك، فهناك أطفال يرغبون في تملك حاجات معينة، وعندما لا يحصلون عليها داخل الأسرة، ينزلون إلى الشارع الذي يوفر لهم دخلاً معينا يمكنهم من تأمين تلك الحاجات، وهنا يبدأ استغلال الأطفال وانحرافهم.
- الرغبة في المغامرة، فهناك أطفال لديهم روح المغامرة، وهذا يدفعهم إلى النزول إلى الشارع والتوجه نحو المجالات التي تحقق لهم هذه الرغبة.
- التميز بين الأطفال داخل الأسرة والتفرقة في معاملتهم ورعاية والاهتمام بهم تجعل الطفل يشعر بالظلم والغيرة، فيندفع إلى الشارع.[1]

آثار ظاهرة أطفال الشوارع على المجتمع

إنَّ وجود الأطفال بالشارع يعرضهم بلا شك للعديد من المخاطر التي تؤثر فيهم، وفي المجتمع، كالإصابة بالأمراض وتكوين جماعات انحرافية، والممارسات الجنسية الشاذة، والاستغلال من قبل

[1] عادل محمود رفاعي، الخدمة الأجتماعية في مجال تأهيل ورعاية أطفال الشوارع، 2003، دار الفكر العربي، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

عصابات الجريمة المنظمة حيث مارس هؤلاء الأطفال سلوكيات محفوفة بالخطر، قد تؤدي إلى إصابتهم بالأمراض النفسية أو العضوية على اختلاف أنواعها، ومن أهم تلك الممارسات الضارة:

- التدخين: حيث يؤدي حب الاستطلاع والرغبة في المغامرة والتقليد الى أن يمارس أطفال الشوارع التدخين الذي يشكل الخطورة الأولى نحو التعاطي فيما بعد.
- التسول: إن حاجة طفل الشارع إلى المال لتوفير احتياجاته من المأزى والغذاء والملبس تدفعه إلى ممارسة التسول، كما أن هناك عصابات تستغل هؤلاء الأطفال وتجبرهم على التسول، الأمر الذي له انعكاسات خطيرة على شخصية الطفل، وتدفعه إلى النفاق والسخط على الآخرين والتشاؤم والخوف من المستقبل والشعور بالدونية والرغبة في الأنتقام.
- السرقة: إن بقاء الأطفال في الشوارع دون رقابة ومتابعة وتوجيه من إسرهم أو مسؤولين عنهم يرشدونهم إلى الطريق السليم ويهدونهم إلى العمل الصالح والسلوك القويم، يجعلهم عرضة إلى الانحراف والاستغلال من قبل عصابات الجريمة المنظمة التي تستغلهم أبشع استغلال، وتدفعهم إلى ارتكاب الجرائم، وأولها السرقة، فتكون هذه الخطوة أولى الخطوات نحو الانحدار إلى عالم الجريمة والعدوان على الآخرين.
- التسرب من المدرسة: يعد تسرب الأطفال من المدارس أول خطوة نحو توجههم نحو الشارع، فالتسرب من المدرسة يجعل الطفل يعيش حالة من الفراغ التي لا يجد طريقاً يملؤه غير الشارع، ولهذا فإن العمل الجاد نحو القضاء على ظاهرة التسرب من المدارس ينبغي أن يحظى بأولوية عليا في برامج المؤسسات التربوية وذلك من خلال وضع المناهج التعليمية التي تتلاءم واحتياجات الأطفال، وضبط العلاقة بين التلميذ والمدرسة وجعل المدرسة بيئة محببة للطفل يشعر فيها بالأمان والاطمئنان والراحة، فضلاً عن تبني مجانية التعليم والتخفيف عن كاهل العوائل الفقيرة التي لا تستطيع الإنفاق على أطفالها. فهناك الكثير من الأسر الفقيرة التي تدفع أبناءها إلى ترك المدرسة والتوجه إلى الشارع للعمل. وتشير الإحصائيات الرسمية إلى أن أكبر نسبة تسرب قد حدثت في سن 12 سنة؛ حيث بلغت تلك النسبة 67%، وأن أهم الأسباب

في ذلك هو حاجة الأسرة إلى دخل يساعدها على تلبية متطلبات العيش، فيخرجون أطفالهم من المدرسة ويرسلوهم الى الشارع.[1]

وهناك آثار خطيرة لهذه الظاهرة على الأطفال أنفسهم، وأهمها:

- العقد النفسية، إذا تؤدي حياة الشوارع إلى أمراض نفسية خطيرة على الأطفال، كالانطوائية والعدوانية والحقد والغيرة وحب الأنتقام.
- التخلف الجسدي، فحياة الأطفال في الشوارع تؤدي إلى تخلفهم جسدياً بسبب ضعف النمو نتيجة لما ياعنونه من شظف العيش وسوء التغذية وعدم الرعاية الصحية.
- ضعف العاطفة والإحساس، وذلك بسبب التمتع بالطفولة والشعور بالدونية مقارنة بأقرانهم الذين أكملوا تعليمهم وتبوأوا مراكز في المجتمع، الأمر الذي يولد لديهم الشعور بالحسد والحقد.
- عدم الثقة بالآخرين، وذلك بسبب معاناة الأطفال من الأهمال والحرمان وسوء المعاملة والتعرض للأذى التفسي والجسدي.[2]

أما آثار هذه الظاهرة الخطيرة على المجتمع، فتتمثل بما يأتي:

المخاطر الأمنية:

- النصب والاحتيال والغش، حيث يتعلم هؤلاء الأطفال هذه الممارسات المنحرفة من أصدقاء السوء أو من العصابات الأجرامية التي تستغلهم لتنفيذ مآربها.
- الخطف، كثيراً ما يتعرض هؤلاء الأطفال إلى الخطف من قبل العصابات الإجرامية التي تتاجر بالبشر أو بالأعضاء البشرية.
- الاستغلال، حيث تستغل عصابات الجريمة المنظمة هؤلاء الأطفال لتنفيذ جرائم.

[1] فوزية محمود النجاحي، إكرام حمودة الجندي " الأبعاد الاجتماعية لظاهرة تشرد الأطفال، خطورة أطفال الشوارع (الأسباب – المشاكل – الحلول وسبل العلاج)" (القاهرة، جار الكتاب الحديث، 2015م

[2] عبدالرحمن عبدالوهاب علي، أطفال الشوارع في اليمن، دراسة إجتماعية، إقتصادية، نفسية، جامعة عدن، الجمهورية اليمنية، بحث منشور على صفحة منتدى المرأة للدراسات والتدريب بتاريخ 8 تموز 2008.

- الاستغلال الجنسي، وهذا أخطر أنواع الاستغلال، ويذكر الدكتور برزان ميسر الحامد في دراسته لهذه الظاهرة الخطيرة أن أطفال الشوارع سواء كانوا باعة أو متسولين أو عاملين في تقديم بعض الخدمات في الشارع، كثيراً ما يتعرضون إلى الاستغلال الجنسي من قبل العصابات الإجرامية التي تستغلهم بسبب ضعفهم وعدم قدرتهم على مواجهة الإساءة الجنسية.[1]

المخاطر الاجتماعية

إن المخاطر الاجتماعية التي تتركها ظاهرة أطفال الشوارع على المجتمع كثيرة ومتنوعة، الأمر الذي يحتم معالجتها بسياسات واقعية رصينة تجنب المجتمع مخاطرها، وأن أهم تلك المخاطر الاجتماعية هي ما يأتي:

- انتشار الأمية والتخلف بين أطفال الشوارع، حيث أن ترك الأطفال لمقاعد الدراسة يجعلهم فريسة للأمية والجهل والتخلف، الأمر الذي له إنعكاسات خطيرة على المجتمع وعلى نهوضه وتطوره ونموه.
- الجنوح للجريمة، إن وجود الطفل في الشارع يجعله في مستوى متدنٍ من الوعي والإدراك إلى الحد الذي لا يستطيع التفريق بين الخطأ والصواب في سلوكه، ويجعله يحمل قيماً متناقضة للمرح والعنف والسلوك القويم والسلوك المنحرف.
- الإجرام والتشرد، فكلما طالت فترة بقاء الطفل في الشارع كلما تعمقت لديه حالة الانعزال عن المجتمع وإزدادت لديه السمات العدوانية التي تدفعه إلى الإجرام والتشرد.
- الروح العدوانية، فنزول الطفل إلى الشارع يجعله يتبع سلوكاً منحرفاً معادياً للمجتمع حباً بالانتقام بسبب معاناته من الأهمال والشعور بالدونية والحرمان وسوء المعاملة.
- الأمراض العضوية، فحياة الأطفال في الشوارع مليئة بمخاطر الإصابة بالأمراض مثل سوء التغذية والتدرن والأنيميا والجرب وغير ذلك من الأمراض الخطيرة التي لها انعكاسات خطيرة على المجتمع.

[1] برزان ميسر الحامد، ظاهرة أطفال الشوارع، مصدر سابق، ص69

- انتشار البطالة بين البالغين، إذ إن نزول الأطفال إلى سوق العمل يؤدي إلى تقليص فرص العمل للبالغين، ولا سيما أن أصحاب العمل يفضلون تشغيل الأطفال بسبب قلة الأجور التي يتقاضاها الأطفال، وعدم شمولهم بالضمان الاجتماعي، وتنفيذهم لأوامر أصحاب العمل.

الإجراءات والتدابير المطلوبة للحد من ظاهرة أطفال الشوارع

دور الدولة في الحد من ظاهرة أطفال الشوارع

إن مسؤولية الدولة في رعاية مواطنيها هي من واجباتها الأساسية، فالدولة مسؤولة عن حماية مواطنيها وحماية ممتلكاتهم وتوفير الامن والاستقرار والهدوء لهم، والدفاع عنهم، وضمان الحريات العامة كحرية السكن والتملك والعمل والتنقل وإبداء الرأي وتوفير التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية، وإقامة المرافق العامة كالنقل والاتصالات ووسائل الإعلام المختلفة والكهرباء والمياه، وتحقيق العدالة بين الناس، وتأمين ضمان اجتماعي لمواجهة حالات الشيخوخة والعجز والمرض، وتوفير السكن الملائم لكل مواطن وغيرها من الواجبات التي تتكفل بها السلطة لضمان حياة المواطن وتوفير احتياجاته، إذ يتعين على السلطة في كل الأحوال والأوقات أن تكون هي المبادرة في توفير وضمان حقوق المواطنين الأساسية التي كفلها الدستور و القوانين الوطنية الأخرى، فكل حق ضمنه الدستور للمواطن يجب أن يكون مقدما ومضمونا في سياسات السلطة وسلوكها على نحو من شأنه أن يحفظ المواطنين من السقوط في براثن التعسف والظلم والاستبداد.

وتأتي حماية الأسرة في مقدمة هذه المسؤولية وأولوياتها بوصفها المكون الأساس للمجتمع، فالدولة تتحمل المسؤولية الأولى عن حماية الأسرة والحفاظ على ديمومتها وتماسكها والحيلولة دون تفككها بسبب الفقر والجوع وانخفاض الدخل أو فقدانه، الأمر الذي يؤدي إلى نزول الأطفال إلى الشارع للعمل أو التسول، فيتسربون من التعليم ويتعرضون إلى أنواع من الانتهاك لحقوقهم. ولغرض تحقيق هذا الهدف، يجب على الدولة القيام بما يأتي:

- تطوير برامج الدعم الأجتماعي
- العمل على تحقيق العدالة الأجتماعية
- توفير الحماية الاجتماعية لجميع المواطنين ضد مختلف أنواع المخاطر.
- ضمان معايير المعيشة الإنسانية للجميع

- ضمان وصول جميع المواطنين للخدمات الأساسية
- ضمان مجانية التعليم لجميع الأطفال، وبخاصة في المرحلتين الابتدائية والأساسية
- الضمان الصحي لجميع المواطنين
- تأمين السكن المناسب للأسر
- ضمان فرص العمل للقادرين على العمل[1]

وهذه الضمانات هي مجموعة من الإجراءات والبرامج والخطط السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية الهادفة لتوفير ضمانات شاملة لكل شخص في المجتمع بالرعاية اللازمة وتوفر له سبل تحقيق أقصى تنمية لقدراته وقواه وأقصى قدر من الرفاهية في إطار الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية، فيجب الإيمان بأهمية الأسرة كمؤسسة اجتماعية لها أهدافها ووظائفها، كما يجب ان تنصب عليها كافة عناصر الإصلاح والتوجيه والتنمية، لتحقيق التكيف الاجتماعي لأفرادها وتحسين أوضاعهم، وبخاصة الأطفال الذين يجب أن تركز عليهم برامج الدولة وخططها ومشروعاته التي تعنى أساساً بالطفل الذي يجب أن يشبع حاجاته داخل الأسرة، أو داخل منظمات إجتماعية أخرى كالمراكز الإيوائية حيث تصاغ هذه الخدمة لتعزيز مقدرة الوالدين أو مقدمي الرعاية على تقديم ما يحتاجه الطفل، وتعزيز علاقات الأسرة بالمنظمات الاجتماعية بهدف إستكمال الرعاية ومعالجة نواحي الضعف والخلل في تلك الرعاية أو التعويض عنها بتولي الرعاية المتوقعة للطفل من أسرته، أو غيرهم ممن يقدم له الرعاية.

ولغرض تحقيق هذه الأهداف، لا بد أن تقوم الدولة بما يأتي:

1. الانضمام إلى الاتفاقيات والمواثيق الدولية الخاصة بحقوق الطفل.
2. تشريع القوانين الوطنية التي تحمي حقوق الطفل وبما يتوافق مع الاتفاقيات، والمواثيق الدولية ذات الصلة.
3. إنشاء الهيئات الوطنية الخاصة بالطفولة.

[1] الدكتور محمد أحمد محمود عبدالرحيم، أستاذ التخطيط الاجتماعي-جامعة بني سويف، جمهورية مصر العربية، الحماية الاجتماعية ومعالجة إشكاليات الأسرة، 2022، ص28

4. إنشاء المؤسسات الخاصة برعاية الأطفال الأيتام والمشردين.

فالأسرة أساس المجتمع، والدولة مسؤولة مسؤولية مباشرة عن المحافظة على كيانها وتماسكها وقيمها الاجتماعية والأخلاقية والدينية، وأن من واجب الدولة أن تكفل حماية الأمومة والطفولة وترعى النشء وتوفر لهم الظروف المناسبة للعيش الكريم، وأن ترعاهم من النواحي الصحية وتوفر لهم التعليم والسكن ضمن عوائلهم بهدف الحيلولة دون اضطرار أسرهم إلى إرغامهم على ترك مقاعد الدراسة، والنزول إلى الشارع أو التوجه إلى سوق العمل، إذ إن من واجب الدولة ومسؤوليتها أن تكفل للفرد والسرة، وبخاصة الطفل والمرأة، الضمان الاجتماعي والصحي والمقومات الأساسية للعيش الكريم والدخل المناسب والسكن المناسب أيضاً.

إن قيام الدولة بمسؤولياتها وتنفيذ التزاماتها بموجب القوانين الوطنية والمواثيق الدولية الخاصة بحقوق الطفل سيقودنا إلى ضمان تنشئة النشء على وفق القيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية والوطنية التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها والمحافظة عليها ويجنبنا مخاطر إنحراف الأطفال وتشردهم وضياعهم، الأمر الذي يهدد كيان المجتمع وأمنه واستقراره ورفاهيته، حيث إن التنشئة السليمة للأطفال تحقق ما يأتي:

- تشكيل شخصية الطفل وطبعها بالطابع الأصيل من خلال غرس قيم التسامح والشهامة والمروءة والتضحية والتضامن والاحترام ونبذ قيم الانحراف والعنف والتعصب.
- تأمين تنشئة الأطفال في السنوات الأولى وسط أسرة يحس فيها الطفل بأنه عضو فيها يتعلم منها القيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية السليمة.
- ضمان التوعية الأسرية لتفادي عوامل التصدع داخل الأسرة ومساعدتها على حل مشاكلها وتوجيهها في مجالات رعاية الطفل حتى ينمو في جو أسري سليم.
- ضمان عدم انحراف الأطفال، لأن تنشئة الطفل داخل أسرة متماسكة هو الضمانة الأساسية للتنشئة السليمة.
- تنمية مواهب الطفل واتجاهاته العقلية والفنية والابداعية ليكون قادراً على التفكير السليم .
- تكوين أسر واعية بحاجات أطفالها ومطالب نموهم في مختلف المراحل والحرص الدائم على حماية حقوقهم.

- ضمان إبتعاد الطفل عن كل ما يضر بجسمه وبعقله وبمجتمعه حتى يكون متمتعا بالاستقرار النفسي والشعور بالسعادة.[1]

الخاتمة والاستنتاجات

لقد أصبح واضحاً اليوم أن ظاهرة أطفال الشوارع حقيقة ماثلة للعيان وهي تتفاقم يوماً بعد يوم، الأمر الذي يتطلب من الدول والمنظمات غير الحكومية والمجتمع بمعناه الأوسع المبادرة إلى حلول ناجعة لمعالجة هذه الظاهرة والحد من آثارها وتداعياتها الخطيرة على المجتمع من النواحي الأمنية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وبالرغم من اعتراف جميع الجهات المعنية، بمن فيهم الحكومات والمنظمات الدولية والمنظمات الأقليمية الحكومية وغير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني، بخطورة هذه الظاهرة، لكن التدابير والأجراءات المتخذة حتى الآن لمعالجتها لم ترتقِ، للأسف، إلى المستوى المطلوب من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والأمنية لمعالجة أسبابها والحيلولة دون تفاقمها.

لقد قادنا البحث في هذه الظاهرة الخطيرة إلى الاستنتاجات التالية:

1. إن ظاهرة أطفال الشوارع مشكلة خطيرة تعاني منها الكثير من دول العالم.
2. إن هذه الظاهرة تتفاقم يوماً بعد يوم.
3. هناك مفاهيم مختلفة في النظرة إلى أطفال الشوارع، فهناك من يصمهم بالانحراف والجنوح، وهناك من يعتبرهم ضحية الفقر والتفكك الأسري وغير ذلك من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والأمنية التي تمر بها الدول.
4. أكدت المواثيق الدولية ذات الصلة بحقوق الطفل، وأهمها إتفاقية حقوق الطفل لعام 1989، على حقوق جميع الأطفال، بمن فيهم أطفال الشوارع، في الحياة والتعليم والصحة والرفاهية وغيرها من الحقوق التي أقرتها تلك المواثيق الدولية.
5. لم تحقق الدول التي تعاني من ظاهرة أطفال الشوارع حتى الآن حقوق الطفل المنصوص عليها في المواثيق الدولية.
6. لم تعالج الدول بشكل جدي أسباب ظاهرة أطفال الشوارع.

[1] موقع الأمم المتحدة على الأنترنيت، وثيقة صادرة عن الأمم المتحدة، لجنة حقوق الطفل، برقم CRC/C/IRQ/2-4 بتاريخ 2014/3/17 بعنوان "تقارير الدول الأطراف في إتفاقية حقوق الطفل لعام 1989 والمقدمة الى اللجنة عام 2013".

7. لم تتخذ الدول التي تعاني من ظاهرة أطفال الشوارع حتى الآن الإجراءات والتدابير التي من شأنها الحيلولة دون تفكك الأسر ونزول الأطفال إلى الشوارع وتسربهم من مقاعد الدراسة.
8. ليس هناك مؤسسات كافية لإيواء الأطفال الأيتام أو المشردين وتربيتهم تربية سليمة تحول دون نزولهم إلى الشارع.
9. لم تكافح الأجهزة الأمنية عصابات الجريمة المنظمة التي تستغل الأطفال وتدفعهم إلى ارتكاب جرائم السرقة والبغاء وتعاطي المخدرات وغيرها.
10. تتعامل أجهزة الشرطة والأجهزة الأمنية مع أطفال الشوارع بالعنف والإساءة إليهم.
11. الحراس في المؤسسات الإصلاحية لا يتعاملون مع الأطفال بهدف إصلاحهم، بل إن الطابع الأمني والعنف هو السائد في تلك المؤسسات.
12. هناك عجز كبير في قدرات الجمعيات الخيرية والمجتمع المحلي على المساعدة في معالجة ظاهرة أطفال الشوارع.

التوصيات

1. ضرورة الانضمام إلى الاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق الطفل وتشريع قوانين وطنية لحماية حقوق الأطفال المنصوص عليها في المواثيق الدولية ذات الصلة، وبخاصة إتفاقية حقوق الطفل لعام 1989.
2. تشريع قوانين الرعاية الاجتماعية للأسر والأمومة والطفولة ورعاية الأيتام والمشردين.
3. بناء المؤسسات الإصلاحية ودور الأيتام والمشردين وتجهيزها بما تتطلبه رعاية الأطفال من مستلزمات ومتطلبات تحقق لهم التنشئة السليمة.
4. تدريب الكوادر المسؤولة عن المؤسسات الإصلاحية ودور الأيتام والمشردين وتأهيلهم وتوعيتهم بحقوق الطفل، وأن دورهم في هذه المؤسسات يتمثل في إصلاح هؤلاء الأطفال، وجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع.
5. تشريع القوانين التي تجرّم العنف ضد الأطفال سواء من عصابات الجريمة، أو من أجهزة الشرطة والأمن، أو حراس المؤسسات الإصلاحية.
6. تقديم الدعم العيني والمالي والاقتصادي للأسر الفقيرة بهدف الحيلولة دون تفككها، ومساعدتها على تربية أطفالها تربية سليمة.

7. توفير التعليم المجاني، وبخاصة في المرحلتين الابتدائية والأساسية، لجميع الأطفال.
8. وضع آليات مناسبة للإرشاد ومعالجة الشكاوى، والإبلاغ تراعي خصوصيات الطفل وتكون متاحة للأطفال ذوي الصلات بالشارع؛ للتبليغ عن حوادث العنف التي يتعرضون لها.
9. ضرورة وضع برامج ومشروعات وطنية تشترك فيها جميع الجهات ذات العلاقة لتوفير خدمات التعليم والصحة والترفيه والسكن، وغيرها للأطفال الأيتام والمشردين.
10. ضرورة وضع نظام وطني لحماية الطفل تقوده الحكومة وبمشاركة جهات معنية متعددة يعتمد القوانين القائمة والقيم الاجتماعية، ويقوم من حيث الممارسة على الحقوق ويستطيع حماية الأطفال من صنوف متعددة من الحرمان وانتهاك الحقوق.
11. ضرورة وضع آليات منظمة لجمع البيانات عن أطفال الشوارع، وذلك لتحديد أوجه التمييز والفوارق في تحقيق الحقوق المنصوص عليها في المواثيق الدولية ذات الصلة وإمكانية تصنيف أطفال الشوارع حسب الظروف والصلات والخصائص والتجارب بغية تصميم الاستراتيجيات والسياسات والبرامج واكتشاف العوائق ومعرفة مستوى التقدم المحرز في تنفيذها من خلال جمع الأدلة. ويعني هذا جمع بيانات نوعية وكمية وضمان مشاركة أطفال الشوارع في جمع المعلومات، وتحليلها ونشر البحوث، باعتبارهم خبراء في أمور حياتهم.

المصادر:

- أحمد، مظفر جواد، (2018)، "سيكولوجية أطفال الشوارع"، ورقة بحثية مقدمة إلى مركز الدراسات التربوية والأبحاث النفسية، جامعة بغداد.
- آل سعود، منيرة، (2005)، "إيذاء الأطفال: أنواعه وأسبابه وخصائص المتعرضين له"، القاهرة، مصر، الثقافة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع.
- تقرير مفوضة الأمم المتحدة السامية لحقوق الأنسان بشأن حماية وتعزيز حقوق الأطفال الذين يعملون و/أو يعيشون في الشوارع رقم A/HRC/19/35 بتاريخ 2012/1/11 https://www.unicef.org/reports/annual-report-1986
- جواد، منيرة محمد، (2017)، "دور الرعاية الاجتماعية للطفولة"، مجلة مركز دراسات الكوفة-جامعة الكوفة، دراسة منشورة على موقع المجلة، المجلد 1، العدد 46.
- حسين، أحمد خضير، (2021)، "المخاطر الاجتماعية لتسول الأطفال في العراق"، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد-العراق.
- حمد، نورية علي، (2009)، "حماية الطفولة، قضاياها ومشكلاتها في دول مجلس التعاون"، ط1، جمهورية اليمن.
- الحامد، برزان، (2019)، "ظاهرة أطفال الشوارع: الأسباب، الآثار والمشكلات، المعالجات"، المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، العدد 10.
- رفاعي، عادل محمود، (2003)، "الخدمة الاجتماعية في مجال تأهيل ورعاية أطفال الشوارع"، دار الفكر العربي، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- زايد، أحمد، (2006)، "تطور السياسات الاجتماعية والقطاعية في ظل العولمة، مقاربة اجتماعية لوزارات الشؤون الاجتماعية والتنمية الاجتماعية بدول مجلس التعاون الخليجي"، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، رقم 45، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون الخليجي.
- زيادة، خالد، (2008)، "الخسيس والنفيس: الرقابة والفساد في المدينة السالمية"، بيروت، دار رياض الريس.

- ساحي، فوزية، (2017)، "ظاهرة أطفال الشوارع: أسبابها وإنعكاساتها على المجتمع"، موقع المجلة العلمية الجزائرية ASJP.
- الطراح، علي، (2004)، "تقييم فاعلية مشروعات الأسر في دول مجلس التعاون الخليجي"، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية.
- عبدالرحيم، محمد أحمد محمود، (2022)، "الحماية الاجتماعية ومعالجة إشكاليات الأسرة"، جامعة بني سويف، جمهورية مصر العربية.
- عسيري، عبدالرحمن، (2001)، "الأنماط التقليدية والمستحدثة لسوء معاملة الأطفال"، أعمال ندوة سوء معاملة الأطفال وإستغلالهم غير المشروع، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
- علي، عبدالرحمن عبدالوهاب، (2008)، "أطفال الشوارع في اليمن، دراسة إجتماعية، إقتصادية، نفسية"، جامعة عدن، الجمهورية اليمنية، بحث منشور على صفحة منتدى المرأة للدراسات والتدريب.
- علي، ماهر ابو المعاطي، (2010)، "الإتجاهات الحديثة في الرعاية الاجتماعية"، جامعة الحلوان، المكتب الجامعي الحديث.
- فهمي، محمد سيد، (2005)، "الرعاية الاجتماعية و خصخصة الخدمات"، الأسكندرية، المكتب الجامعي، جمهورية مصر العربية.
- ليلي، خواني، فاطمة الزهراء، بدي، (2018)، "الرعاية الاجتماعية وتطورها التأريخي"، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية العلوم الاقتصادية، تلمسان، كلية الحقوق، تلمسان، الجزائر.
- مرسي، أبو بكر مرسي محمد، (2001)، "ظاهرة أطفال الشوارع، المفهوم، الأنتشار، العوامل المسؤولة، المخاطر، الجهود المبذولة، رؤية غير حضارية"، الطبعة الأولى، القاهرة، جمهورية مصر العربية، مكتبة النهضة المصرية.
- مصطفى، عدنان ياسين، حمزة، كريم محمد، (2019)، "أطفال في نزاع مع القانون، دراسة تقويمية لمؤسسات إصلاح الأحداث في محافظتي بغداد ونينوى"،جمهورية العراق.

- موسى، أحمد، (2009)، "أطفال الشوارع، المشكلة وطرق العلاج"، المنصورة، المكتبة المصرية للنشر والتوزيع.
- النجاحي، فوزية محمود، الجندي، إكرام حمودة، (2015) "الأبعاد الاجتماعية لظاهرة تشرد الأطفال، خطورة أطفال الشوارع (الأسباب – المشاكل – الحلول وسبل العلاج)"، القاهرة، دار الكتاب الحديث.
- اليوسف، عبدالله، (2004)، "دراسة: أطفال الشوارع بداية مشكلة أمنية"، مجلة البحوث الأمنية، العدد 39، الرياض-جامعة الملك فهد الأمنية.

المقالات والأوراق التعريفية والبحثية

- لجنة حقوق الطفل التابعة للأمم المتحدة، الوثيقة رقم CRC/C/GC/21 الصادرة بتاريخ 2017/6/21 بعنوان "التعليق العام رقم 21 (2017) بشأن أطفال الشوارع
- بحث منشور على موقع اليونيسيف في تونس https://www.unicef.org/tunisia/media/6341/file/Cartographie-protection-enfance-2022.pdf بعنوان "الخارطة الوطنية للمتدخلين في مجال حماية الطفولة" من قبل وزارة الأسرة والمرأة والطفولة وكبار السن/مكتب المندوب العام لحماية الطفولة في عام 2022.
- ورقة بحثية منشورة على موقع وزارة التضامن والأندماج الأجتماعي والأسرة، https://social.gov.ma بعنوان وحدات حماية الطفولة عام 2024.
- بيانات منشورة على موقع اللجنة العليا للطفولة في ليبيا https://hcc.gov.ly في 2024/3/10
- موقع الشبكة العربية للطفولة المبكرة https://www.anecd.net/article نص الأستراتيجية الوطنية لرعاية الطفولة منشور على موقع الشبكة.
- وثيقة نشرتها وزارة الشؤون الاجتماعية اللبنانية موقع https://www.abaadmena.org/wp-content/uploads/documents/ebook.1474624965.pdf
- موقع الأمم المتحدة على الأنترنيت، وثيقة صادرة عن الأمم المتحدة، لجنة حقوق الطفل، برقم CRC/C/IRQ/2-4 بتاريخ 2014/3/17 بعنوان "تقارير الدول الأطراف في إتفاقية حقوق الطفل لعام 1989 والمقدمة إلى اللجنة عام 2013".

- ورقة تعريفية بهيئة رعاية الطفولة في العراق منشورة على موقع وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في العراق https://www.molsa.gov.iq/?page=167 بتاريخ 2022/2/8.
- المجلس العربي للطفولة، نبذة عن المجلس، أهدافه وإستراتيجياته، ورقة تعريفية منشورة على موقع المجلس https://www.arabccd.org
- برنامج الخليج العربي للتنمية، ورقة تعريفية عن البرنامج وأهدافه وسياساته، منشورة على موقع البرنامج https://agfund.org/ar
- مقال منشور على موقع وكالة الأنباء الجزائرية يوم 2024/3/24 تحت عنوان حماية و رعاية الطفولة في الجزائر : شبكة مؤسساتية تضم نحو 400 مؤسسة تنشط عبر الوطن.
- موقع وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في العراق، ورقة تعريفية بهيئة ورشة عمل أقامها قسم الشؤون الاجتماعية في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، بغداد- العراق بتأريخ 2021/1/21 منشور على موقع بيت الحكمةhttps://www.baytalhikma.iq/News_Print.php?ID1
- موقع الهيئة العامة للأستعلامات، جمهورية مصر العربية، "دراسات في حقوق الأنسان، حماية الطفل". معلومات منشورة على الموقع.
- إعلان جنيف لحقوق الطفل لعام 1924
- إتفاقية حقوق الطفل لعام 1989
- موقع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل الأردنية، معلومات منشورة على الموقع.
- رعاية الطفولة، منشورة على موقع الوزارة.
- ورشة عمل أقامها قسم الشؤون الاجتماعية في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، بغداد- العراق بتأريخ 2021/1/21 منشور على موقع بيت الحكمةhttps://www.baytalhikma.iq/News_Print.php?ID1
- موقع الهيئة العامة للأستعلامات، جمهورية مصر العربية، "دراسات في حقوق الأنسان، حماية الطفل". معلومات منشورة على الموقع.
- إعلان جنيف لحقوق الطفل لعام 1924

- إتفاقية حقوق الطفل لعام 1989
- موقع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل الأردنية، معلومات منشورة على الموقع.
- الأعلان العالمي لحقوق الأنسان لعام 1949.
- صحيفة الصباح العراقية الصادرة بتاريخ 2017/7/17.
- موقع رادو الأخباري، موقع إعلامي عراقي، حالات الطلاق في العراق في تزايد مستمر، إحصائية منشورة على الموقع في 2024/1/3.

منهج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرحمـــة بالمخـــالفين، دراســـة تطبيقية من السنة النبوية

د. عبد اللّطيف أحمد يعقوب محمّد [1]

مستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان منهج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التعامل الرحيم مع المخالفين، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، من خلال دراسة تطبيقية لنماذج مختارة من السنة النبوية، وتبين الدراسة أن الرحمة لم تكن خُلُقًا عارضًا في سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل منهجًا أصيلًا منضبطًا بالحكمة والمصلحة الشرعية، يوازن بين الدعوة والعدل، وبين الرفق والحزم، وقد أتّبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي الاستنباطي، وذلك بجمع المعلومات ووصف الموضوع وصفا دقيقا كما هو الحال في أنواع رحمته، والاستقراء بتتبع الجزئيات من مواقف النبي ﷺ مع المخالفين، للوصول إلى القواعد والأحكام، وذلك ما يساعد على فهم أعمق للمنهجيّة النبوية، ومن ثمّ استنباط الفوائد، وقد وخلصت الدراسة إلى نتائج مهمة، منها: أنّ الرحمة أصل جامع في المنهج النبوي، وشمولها لكل أصناف المخالفين، وفاعلية الرحمة في تصحيح الأخطاء واستمالة القلوب، وحرص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هداية المخالفين، وبناء على النتائج تقدم الدراسة التّوصيات التّالية: توجيه الدعاة وطلاب العلم لمزيد من الدراسة حول المنهج النبوي في الرحمة في التعامل مع المخالفين، وإدراج هذا الموضوع ضمن مناهج التعليم العام والعالي، و توجيه الدعاة إلى الاقتداء بالمنهج النبوي في إدارة الخلاف.

كلمات مفتاحية: الرحمة، المخالفون، السنة النبوية، المنهج النبوي، الدعوة.

[1] جامعة الشّرق للعلوم والتكنلوجيا – السودان.

البريد الإلكتروني:gmrya41@gmail.com

Abstract

The present study aimed to explain the merciful method of the Prophet (PBUH) in dealing with his opponents whether they were Muslims or non-Muslims. This is done through applied studies on a number of selected examples from the Sunnah. The study explained that his mercy was not a casual matter but an inherent characteristic governed by wisdom and the objectives of Islamic Sharia which strikes a balance between the calling to Islam and justice and between gentleness and decisiveness. The researcher adopted the descriptive, inductive and deductive approaches for data collection. The most important findings are as follows: first mercy was inherent in the nature of the Prophet's method of dealing with all types of opponents. Second, being merciful was an effective method for correcting mistakes and convincing opponents. Finally, the Prophet was keen to guide his opponents to the right path. Based on the these findings، the study recommends that diligent preachers and students should conduct further research on the topic and it should be included in higher education curriculum and that preachers should follow the prophet method in managing differences. Last but not least praise be to Allah the Lord of the Universe.

Keywords: mercy - opponents – Sunnah – method – invitation -inductive-deductive – inherent - convince - preach – decisive

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين في الأولين والآخرين، أمّا بعد:

لقد جاء الإسلام برسالة عالمية قامت على الرحمة والهداية، قد عبّر النبي ﷺ عن نفسه : "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما بعثت رحمة مهداة" [1] ، ونعته الله في التنزيل بقوله: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة : 128]، وقد شملت رحمته الإنس والجن والحيوانات، ولقد كانت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلّم مانعا من عذاب الاستئصال، كما هو حال الأمم الماضية، {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال : 33]، إنها الرحمة في أعلى صورها.

ولقد بلغت رحمته الطيور، كما ورد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا» [2].

وقد تجسّدت الرحمة في حياة رسول الله ﷺ، فنال المخالفون له القَدَح المعلى من رحمته، من كفار ومشركين ومنافقين، أما من قلّ علمهم، ومن كان بهم جهل، والعصاة من المسلمين، فكانت رحمته بهم أعظم، وحرصه أتم، حتى ينقذهم من الهلاك، كما قال صلى الله عليه وسلّم: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ

---

[1] / البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م)، بالرقم 9205، (16/ 122)، قال الهيثمي: رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَرِجَالُ الْبَزَّارِ رِجَالُ الصَّحِيحِ، الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، التحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م، بالرقم 13940، (8/ 257).

[2] / أبو داوود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، أبو داود، التحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، بالرقم 2675، (3/ 55)، وهو صحيح.

حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا» [1]، فكان رحمة حقيقية، اتّسمت بالحكمة، والحرص على هداية المخالفين من الكافرين، دون تفريط في ثوابت الدين، وإرجاع العصاة إلى الطريق القويم، بكل رفق ورحمة، وذلك هديه ﷺ.

وتأتي أهمية الدراسة لتبيين المنهج النبوي، ولا سيّما أنّنا في عصر تزايدت فيه الخلافات الفكرية، وظهرت فيه ممارسات تتنافى مع المنهج النبوي في التعامل مع المخالفين، مع بيان التطبيقات العملية من خلال السنة النبويّة الصحيحة، مع ربط ذلك بواقعنا المعيش، لمزيد من الاستفادة من السنة النبويّة المشرّفة، وإبراز مظاهر الرحمة وشمولها في تعامل النبي ﷺ مع المخالفين، وبيان أن رحمة النبي ﷺ بالمخالفين، لا تعني التنازل عن الحق، وأن الإسلام دين رحمة وسلم، لا غلظة وحرب.

وتبرز أهمية هذا الموضوع في واقع معاصر تتزايد فيه حدة الخلافات الفكرية والدينية، وتظهر فيه ممارسات تتنافى مع المنهج النبوي في إدارة الاختلاف، ما يحتّم علينا الرجوع للمنهج النبوي وكيف كان رسول الله ﷺ يتعامل مع المخالفين، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي تلصق التّهم جزافا بالإسلام، كالإرهاب والعنف ونحوهما، الوقوف على الجوانب التّطبيقية يقوّي ارتباط المسلم بالرسول صلى الله عليه وسلّم وهو قدوتنا.

أما مشكلة البحث، فتتمثّل في أن التعامل مع المخالفين لدى الكثيرين انبنى على الإفراط والتفريط: بين متشدد، ينتهي بالتنفير، ومتساهل يميّع الأحكام، وكلاهما مذمومان، يؤديان إلى ظهور الغلو والتطرف، وإضاعة كثير من الأحكام، مع كثرة صور المخالفة.

وتهدف الدراسة للإجابة عن بعض التّساؤلات: ما هي أهم معالم المنهج النبوي في التعامل بالمخالفين، وكيف نوازن بين الرحمة والحزم على ضوء السنّة النبويّة ؟.

[1] / البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، صحيح البخاري، التحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، بالرقم 6483، مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، التحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بالرقم 2284.

ويتكون البحث من مقدّمة، وخمسة مباحث، وخاتمة وتشتمل على النتائج والتّوصيات.

المبحث الأول: وفيه تمهيد وأربعة مطالب.

تمهيد:

الرحمة خلق أصيل من أخلاقنا، تقوم عليه الإنسانية الحقة، وهي سبب لازدهار المجتمعات، بنشر الألفة، وإبعاد الغلظة والجفاء، ولقد جاءت الدعوة للجميع أن يتراحموا، لينالوا رحمة الرحيم الرحمن، «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

المطلب الأول: تعريف الرحمة لغة:

رَحِمْتُه أَرْحَمُه رَحْمةً ومَرْحمة، وتَرَحَّمْت عليه، أي قلت: رَحْمةُ اللهِ عليه، وقال الله جلَّ وعزّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أي أوصَى بعضُهم بعضاً برحمة الضَّعيف والتَّعْطُّف عليه، [1]، الرَّحْمَة الْخَيْر وَالنعْمَة وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {وَإِذا أذقنا النَّاس رَحْمَة من بعد ضراء مستهم}[2].

المطلب الثاني: تعريف الرحمة اصطلاحا:

رقة في القلب تقتضي الإحسان إلى المرحوم ودفع الأذى عنه.

الرحمة خُلُقٌ يحمل على الإحسان ودفع الأذى، وقد اتصف بها النبي ﷺ قولًا وفعلًا، حتى كانت سِمَةً عامة لمنهجه في التعامل مع الناس.

المطلب الثالث: تعريف المخالف وأنواعه:

(خلف) الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قدام، والثالث التغير، فالأول الخلف. والخلف: ما جاء بعد. ويقولون: هو خلف صدق من أبيه. وخلف سوء من أبيه. فإذا لم يذكروا صدقا ولا سوءا قالوا للجيد خلف وللردي خلف. قال الله تعالى:

---

[1] / الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، كتاب العين، التحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، (3/ 224)، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987م، (5/ 1929).

[2] / مجموعة من العلماء، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة، (1/ 335).

{فخلف من بعدهم خلف} [الأعراف: 169]، والخليفى: الخلافة، وإنما سميت خلافة؛ لأن الثاني يجيء بعد الأول قائما مقامه. وتقول: قعدت خلاف فلان، أي بعده، والخوالف في قوله تعالى: {رضوا بأن يكونوا مع الخوالف} [التوبة: 87][1].

الاختلافُ والمخالفة: أن يأخذ كلّ واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخِلَاف أعمّ من الضّدّ، لأنّ كلّ ضدّين مختلفان، وليس كلّ مختلفين ضدّين، ولمّا كان الاختلاف بين النّاس في القول قد يقتضي التّنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال: {فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ} [مريم/ 37] ، {وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ} [هود/ 118][2].

المخالف من الخِلاف، وهو ضدّ الموافقة، ويُقال: خالفه مخالفةً، إذا سار على غير طريقه، أو أخذ بغير رأيه.

المخالف هو: من خرج عن أمرٍ شرعيٍّ ثابت، أو خالف أصلًا عقديًا، أو انحرف عن منهجٍ سلوكيٍّ معتبر، قولًا أو فعلًا أو اعتقادًا، مع قيام الحجة أو إمكان قيامها عليه.

المطلب الرابع: أنواع المخالف، أنواع:

1/ المخالف في الاعتقاد: وهو من خالف أصلا من أصول الإيمان أو ما عُلم من الدين بالضرورة، ويندرج تحته: الكفر، والشرك، والنفاق الاعتقادي، والإلحاد.

2/ المخالف في المنهج والفهم: وهو من انحرف في فهم النصوص أو تنزيلها، مع انتسابه إلى الإسلام، كأهل البدع، أصحاب الأهواء، والغلاة والجفاة.

3/ المخالف في السلوك والعمل: وهو من خالف الأحكام الشرعية العملية مع إقراره بها، ويشمل: العصاة، والفسّاق، والمفرّطين في الواجبات أو الواقعين في المحرمات.

4/ المخالف بالجهل أو التأويل: وهو من وقعت مخالفته بسبب: الجهل بالحكم، أو الخطأ في الاجتهاد، أو التأويل السائغ أو غير السائغ.

---

[1] / الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م، (2/ 210).

[2] / الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، التحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى - 1412 هـ، (ص: 294).

5/ المخالف المسالم والمخالف المعتدي من حيث الموقف العملي: المخالف المسالم: من لم يظهر عداءً ولا اعتداءً، المخالف المعتدي: من ناصب العداء أو اعتدى على الدين أو النفس أو الحقوق.

ويراد بمنهج النبي صلى الله عليه وسلّم في التعامل مع من خالفه في الدين أو الاعتقاد، وهو منهج قام على الشّفقة بالخلق، والحرص على هدايتهم، مع العدل معهم، ورحمته صلى الله عليه وسلّم بالمخالفين، هي مواقفه وتصرفاته التي تجسّدت فيها معاني الرفق والعدل والإحسان، في تعامله مع من خالفه، أو جهل الأحكام الشّرعيّة، أو تعمّد المخالفة.

وتشمل صور المخالفة: الكفر باعتباره خروجًا عن أصل الإيمان، والبدعة لمخالفتها منهج الاتباع، والمعصية لمخالفتها الأمر أو النهي الشرعي، والجهل لكونه سببًا في وقوع المخالفة أو استمرارها، مع تفاوت هذه الصور في الحكم والآثار الشرعية.

راعى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال المخالف، ودرجة مخالفته، ومآل التعامل معه.

المبحث الثاني: الرحمة بالمخالفين غير المسلمين المشركين والكافرين:

وفيه تمهيد وسبعة مطالب.

تمهيد:

اتّسم منهج النبي ﷺ في التعامل مع المشركين والكافرين، فكان رحيما حكيما، جمع بين الدعوة بالتي هي أحسن، مع الصبر على الأذى، فكان متوازنا، يظهر العدل والإحسان، مع الالتزام بالثّوابت، فكان حقا رحمة للعالمين، ومن صور رحمته بهم:

المطلب الأول: الدعاء لهم بالهداية:

لما قيل لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن دوسا عصت وأبت، وفي رواية: أنهم طلبوا من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو عليهم، فكان أن دعا لهم، رحمة بهم، وإرادة للخير لهم، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ، عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ» [1].

[1] / البخاري: صحيح البخاري بالرقم 2937، مسلم: صحيح مسلم بالرقم 2524.

المطلب الثاني: دعوتهم إلى الإسلام:

كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حريصا على هداية قومه، ويحض أصحابه لبذل الجهود لهدايتهم، ورتّب على ذلك أجرا عظيما، وهذا دليل بيّن على رحمته بهم، وحرصه على هدايتهم، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الحَسَنَ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِمَالٍ - أَوْ سَبْيٍ - فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ» فَوَ اللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمْرَ النَّعَمِ [1]، تَابَعَهُ يُونُسُ[2].

من ذلك دعاؤه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقومه: فقد كان يدعو لهم بالهداية، ويعلل عنادهم وعدم اتباعه بأنهم لا يعلمون، وهذا من رحمته بهم، وإرادة الخير لهم، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنِي شَقِيقٌ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»[3].

المطلب الثالث: موقفه من ثمامة بن أثال، قبل إسلامه:

لما جيء به وربط في سارية من سواري المسجد، والرجل سيّد أهل اليمامة، فخرج إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسأله: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟»، يستفهمه النبي ﷺ ماذا عندك؟. جاء في عون المعبود وحاشية ابن القيم: ماذا عندك: أي أيُّ شيء عندك ويحتمل أن تكون ما استفهامية وذا موصولة

[1] / حمر النعم: "حمر" النعم، بضم حاء وسكون ميم أي أقواها وأجلدها، أي خير لك من أن تتصدق بها، وقيل: أن تقتنيها. ط: أي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب فجعلت كناية عن خير الدنيا كلها، الفتني، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، 1387 هـ - 1967م، (1/ 579).

[2] / البخاري: صحيح البخاري بالرقم 923.

[3] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 4477.

وعندك صلة أي ما الذي استقر في ظنك أن أفعله بك (قال عندي يا محمد خير) أي لأنك لست ممن يظلم بل ممن يعفو ويحسن (إن عزّ وجل تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر) هذا تفصيل لقوله عندي خير وفعل الشرط إذا كرر في الجزاء دل على فخامة الأمر، قال النووي قوله ذا دم فيه وجوه أحدها معناه إن تقتل تقتل صاحب دم لدمه موقع يشتفي بقتله قاتله بثأره أي لرياسته وفضله وحذف هذا لأنهم يفهمونه في عرفهم وثانيها إن تقتل تقتل من عليه دم مطلوب به وهو مستحق عليه فلا عتب عليك [1].

وهنا لطيفة، وهي أنه قدم في المرة الأولى القتل على الإنعام وعكس الترتيب ها هنا فكأنه رأى في اليوم الأول أمارات الغضب فقدم القتل وهو أشق الأمور عليه وأشفى لصدر خصمه في زعمه فلما لم يقع القتل قدم الاستعطاف وطلب الإنعام [2].

ولقد كانت رحمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثمامة سببا لإسلامه، ومنافحته عن دين الله.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ:

[1] / العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1415 هـ، (7/ 243).

[2] / الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي المستشار برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، الناشر: دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009م، (19/ 195).

عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ»، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ، فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

المطلب الرابع: رفضه إهلاك أهل الطائف:

وهم الذين فعلوا ما فعلوه به، جمعوا له السفهاء، وحصبوه بالحجارة، وأدموا قدميه، وسنحت له الفرصة لينتقم منهم، وهو على حق، فكان أن أفاض عليهم رحمته، فصفح وعفا عنهم، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ[2] ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

[1] / مسلم، صحيح مسلم بالرقم 1764.

[2] / الأخشبان: هما جبلان مطيفان بمكة أبو قيس والأحمر، والأخشب كل جبل خشن غليظ، الفتني، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار (2/ 39).

وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا "[1].

المطلب الخامس: عفوه عن أهل مكة:

وقد سنحت له الفرصة ليرد عليهم، فترفع، وأظهر لهم رحمة فائقة، وقال لهم سائلا: يا معشر قريش: إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية، ثم قال: «يا معشر قريش: ما ترون أني فاعل فيكم» ؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، ثم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[2]، نعم عفا عنهم تأليفا لقلوبهم، وحتى يسلكوا مسلك الهداية.

لقد عامل النبي ﷺ أسرى بدر معاملةً كريمة، تجلّت فيها الرحمة والحكمة والعدل، في سابقةً أخلاقية فريج في تاريخ الحروب، فبعد انتهاء المعركة، استشار النبي ﷺ الصحابة في شأن الأسرى: فرأى أبو بكر ﷺ العفو عنهم وأخذ الفداء؛ لعل الله أن يهديهم، ورأى عمر ﷺ قتلهم؛ لأنهم أئمة الكفر، فمال النبي ﷺ إلى رأي أبي بكر ﷺ، أوصى النبي ﷺ بإحسان معاملة أسرى بدر، فكان الصحابة يقدمون للأسرى الطعام الجيد، حتى كانوا يعطونهم الخبز ويأكلون هم التمر، امتثالًا لأمره ﷺ.

وقد أعطى النبي ﷺ الأسرى خيارات عديدة، إما الفداء بالمال لمن كان قادرًا، أو الفداء بالتعليم، فمن كان يحسن القراءة والكتابة علّم عشرة من صبيان المسلمين، فكان ذلك مظهرًا من تقدير العلم ونشره، وعفا عن بعضهم دون مقابل وذلك مراعاةً لقرابتهم، أو لفقرهم، أو رجاءَ إسلامهم، فكان ذلك قمّة في الرحمة.

المطلب السادس: منعَ من ظلم المعاهد:

وقد أرسى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قاعدة متينة في حفظ العهود والوفاء بها، ولو كانت مع الكفرين لا سيما إذا كانت بيننا وبينهم معاهدة، وأن ظلمهم أمر محرّم، حتى إذا رأينا منهم أمارات الغدر، لا نباغتهم ولا نفاجأهم، وإنما نعلنهم أننا في حل من العقد الذي بيننا وبينهم، {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ

[1] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 3231.

[2] / ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، الناشر: دار القلم – بيروت، الطبعة: الأولى، 1414/1993م، (2/ 226).

خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال : 58]، بل إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون يوم القيامة حجيج من يظلم معاهدا أو ينتقص من مقامه، أو يأخذ منه شيئا بغير طيب نفس، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ الْمَدِينِيُّ، أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ، أَخْبَرَهُ عَنْ عِدَّةٍ، مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [1].

من قتل معاهدا: كيف وبيننا وبينه عهد وميثاق ثم نغدر به؟ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» [2].

المطلب السّابع: رحمته بهبّار بن الأسود:

فقد آذى النبي صلى الله عليه وسلّم، وكان سببا بأن ألقت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما في بطنها، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ خَرَجَتِ ابْنَتُهُ زَيْنَبُ مِنْ مَكَّةَ مَعَ كِنَانَةَ أَوِ ابْنِ كِنَانَةَ، فَخَرَجُوا فِي أَثَرِهَا فَأَدْرَكَهَا هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ، فَلَمْ يَزَلْ يَطْعَنُ بَعِيرَهَا بِرُمْحِهِ حَتَّى صَرَعَهَا وَأَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا وَأَهْرَاقَتْ دَمًا، فَحُمِلَتْ فَاشْتَجَرَ فِيهَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو أُمَيَّةَ فَقَالَ بَنُو أُمَيَّةَ: نَحْنُ أَحَقُّ بِهَا، وَكَانَتْ تَحْتَ ابْنِ عَمِّهِمْ أَبِي الْعَاصِ فَصَارَتْ عِنْدَ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَكَانَتْ تَقُولُ لَهَا هِنْدٌ: هَذَا بِسَبَبِ أَبِيكِ... [3]، ولقد أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلّم دمه.

قال الواقدي: وَأَمّا هَبّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ، فَإِنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ كُلّمَا بَعَثَ سَرِيّةً أَمَرَهَا بِهَبّارٍ إنْ أُخِذَ أَنْ يُحْرَقَ بِالنّارِ. ثُمّ قَالَ: إنّمَا يُعَذّبُ بِالنّارِ رَبّ النّارِ، اقْطَعُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ إنْ قَدَرْتُمْ

[1] / أبو داوود، سنن أبي داود بالرقم 3052، (3/ 170)، وهو صحيح.

[2] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 3166.

[3] / الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990م، بالرقم 6836، (4/ 46)، وهو صحيح.

عَلَيْهِ، ثُمّ أُقْتُلُوهُ، فَلَمْ يُقْدَرْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَكَانَ جُرْمُهُ أَنّهُ عَسّ بِابْنَةِ النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ وَضَرَبَ ظَهْرَهَا بِالرّمْحِ- وَكَانَتْ حُبْلَى- حَتّى سَقَطَتْ، فَأَهْدَرَ النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَمَهُ. فَبَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ بِالْمَدِينَةِ فِي أَصْحَابِهِ إِذْ طَلَعَ هَبّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَكَانَ لَسِنًا، فَقَالَ: يَا مُحَمّدُ! سُبّ مَنْ سَبّك، إنّي قَدْ جِئْت مُقِرّا بِالْإِسْلَامِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَقَبِلَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَتْ سَلْمَى مَوْلَاةُ النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: لَا أَنْعَمَ اللهُ بِك عَيْنًا! أَنْتَ الّذِي فَعَلْت وَفَعَلْت. فقال: إنّ الإسلام محا ذلك [1].

نعم محا الإسلام كل ذلك، وهكذا بانت رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وظهر حرصه على هداية من عادوه وخالفوه، هو بأبي وأمي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المبحث الثالث: الرحمة بأهل الكتاب، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب.

تمهيد:

تميّز تعامله ﷺ مع أهل الكتاب بالإنصاف والعدل، حاورهم بحكمة، ثبّت لهم حقوقهم، وفق مبدأ التعايش واحترام العهود والمواثيق، ولقد دعاهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بالحكمة والرفق، واحتج عليهم بما يعرفون من كتبهم، ونزل القرآن محاورًا لهم: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران : 64]، وهو خطاب دعوي رحيم غير إقصائي.

المطلب الأول: قيامه لجنازة يهودي:

عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ، وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، كَانَا بِالْقَادِسِيَّةِ فَمَرَّتْ بِهِمَا جَنَازَةٌ فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَقَالَا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ، فَقَامَ فَقِيلَ: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا» [2]، وفي ذلك إقرار لإنسانية الانسان، وأنها نفس تفلتت منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

[1] / الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1989/1409م، (2/ 857).

[2] / مسلم، صحيح مسلم بالرقم 961.

عاد غلامًا يهوديًا مريضًا كان يخدمه، فدعاه إلى الإسلام بلطف، فأسلم الغلام، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» [1]، ولنا أن نتأمل كيف أثمرت هذه الزيارة ثمرة عظيمة بأن أسلم الغلام، وبإرشاد من أبيه الذي فخّم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال لولده: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قبل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هدايا أهل الكتاب، وتعامل معهم بيعًا وشراءً، بل إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم مات ودرعه مرهونة عند يهودي في طعامٍ لأهله دلالة على المعاملة بالعدل والثقة، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، بِثَلاَثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ» [2]، وربنا سبحانه وتعالى ما نهانا أن نتعامل معهم مطلقا، {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8)} [الممتحنة : 7 - 8].

المطلب الثاني: اعترافه بحقوق اليهود كما في وثيقة المدينة:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَادَعَ فِيهِ يَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ، وَأَقَرَّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَشَرَطَ لَهُمْ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ [3].

المطلب الثالث: رحمته بالرهط أصحاب السام عليكم:

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ

[1] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 1356.

[2] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 2916.

[3] / للوقوف على نصّ الوثيقة: راجع ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، السيرة النبوية لابن هشام، (المتوفى: 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م، (1/ 501 ـ 504).

كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ"[1]، ولنا أن نتأمل كيف أنّ أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت لهم: وعليكم السام واللعنة، فأوقفها رسول الله ﷺ، مهلا يا عائشة، وبيّن لها أن الله يحب الرفق في الأمر كله، بل ورد في رواية عند مسلم أن الرسول ﷺ قال لها: يَا عَائِشَةُ «لَا تَكُونِي فَاحِشَةً»[2]، وقعّد رسول الله صلى الله عليه وسلّم قاعدة عظيمة: «يَا عَائِشَةُ» إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ"[3].

المبحث الرّابع: الرحمة بالعصاة والمخطئين من المسلمين، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب.

تمهيد:

تعامله صلى الله عليه و سلم مع العصاة والمخطئين والجهلة من المسلمين، فقد كان برفق وحلم ولطف، وحسن تعليم ُ راعى أحوالهم، وقوّم أخطاءهم بتوجيه ورحمة، وحرص على الخير لهم، كيف لا وهو الذي وصف بالولد، وأنعم به من وصف كامل، فالأب شفقة وعطفا وحنانا ورحمة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، أُعَلِّمُكُمْ فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلَا يَسْتَدْبِرْهَا وَلَا يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، وَيَنْهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ»[4]، ولقد كانت المواقف كثيرة، من أمثلتها معالجته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأخطاء الأعراب والجهال بالرفق والتعليم.

المطلب الأول: قصة الأعرابي الذي بال في المسجد:

ما عنّفه، ولا سبّه، وإنما وجّهه بلا تعنيف، بل وتركه يكمل بولته، ووجه الصحابة كما في الرواية التي عند مسلم، ... قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَمَرَ

[1] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 6024.

[2] / مسلم، صحيح مسلم بالرقم 2165.

[3] / مسلم، صحيح مسلم بالرقم 2593.

[4] / أبو داوود، سنن أبي داود، بالرقم 8، (1/ 3)، وهو حديث حسن.

رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ [1]، ثم وجههم وأمرهم أن ييسروا، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» [2].

المطلب الثاني: توجيهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ:

قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [3]،

ما كان يعرف أن الكلام في الصلاة ممنوع، حتى لما صمّته الصحابة واصل كلامه: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، ولنترك له الكلام وهو يتكلم عن الكيفية التي وجهه بها رسول الله ﷺ: فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، وإنما علمه ووجهه برفق، «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ».

المطلب الثالث: تعليمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للرجل المسيء صلاته :

خلاّد بن رافع ـ برفق: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلَاثًا،

[1] / مسلم، صحيح مسلم بالرقم 285.

[2] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 220.

[3] / مسلم، صحيح مسلم بالرقم 537.

فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا» [1]، هو أتى بصورة صلاة، ولما ردّه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعل مثل ما فعل، فردّه، فما كان منه إلا وأن قال له بعد الثالثة: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فكان أن علّمه برفق تام.

ويعظم الأمر في حق هذا الفتى الذي أتى النبي ﷺ، وفي حضرة أصحابه، ويصدح بها مدويّة وبكل ثبات: ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا! سبحان الله، أقبل عليه القوم وزجروه، لكن النبي صلى الله عليه وسلّم، المعلم الأكبر التفت إلى الفتى وسأله: كيف قلت؟ ألم يسمعه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ سمعه، إذاً لماذا استفهمه مرة أخرى؟، الذي يظهر والله أعلم، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يغير كلامه، لكنه ازداد وأعاد على رسول الله صلى الله كلامه، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، هذا الموقف يحتاج معالجة حكيمة تتضمن رحمة تزجر هذا الفتى الجامح، وتعيده إلى رشده وصوابه، فكان أن قدّر النبي ﷺ موقفه، وأن الشّهوة أخذت منه كل مأخذ، فدعا له بدعاء جمع الخير، وأنعم به من دعاء، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: " اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " ولذلك ثبت الفتى، وطهر الله قلبه، فصار أبعد ما يكون عن الفاحشة، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: " ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ". قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: " اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ [2].

[1] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 757.

[2] / أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله التحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، بالرقم 22211، (36/ 545)، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

المبحث الخامس: الرحمة بالمنافقين، وفيه تمهيد وأربعة مطالب.

تمهيد:

اتّسم تعامل النبي ﷺ مع المنافقين بالرحمة والحِلم وضبط النفس، فلم يقابل نفاقهم بالانتقام، بل عاملهم بالظاهر وترك سرائرهم إلى الله، وقد أقام ﷺ منهجه على الستر والإصلاح ودفع الفتنة، حفاظًا على وحدة المجتمع، وإقامةً للحجة، وتجسيدًا لأسمى صور الرحمة النبوية، نعم على عظيم خطورتهم، وسوء نواياهم، وكبير حقدهم، مع ذلك قبل ظاهرهم، وصفح عنهم، تأليفا لقلوبهم، وأحسن التعامل مع المنافقين عموما، ومع رئيسهم عبد الله بن أبي خصوصا، وسترهم النبي ﷺ، {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} [النساء : 145].

المطلب الأول: تركه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتل رأس النفاق درءًا للمفسدة:

عنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمَّعَهَا اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَتِ الأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ المُهَاجِرُونَ بَعْدُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَوَقَدْ فَعَلُوا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» [1].

المطلب الثاني: عفوه عن المنافقين الذين لم يظهروا الكفر صراحة واستغفر لهم:

وذلك قبل أن ينهى عن ذلك، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [التوبة : 73]، {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة : 113].

[1] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 4907.

صبر على أذاهم، وما واجههم في أول الدعوة، وكان القصد والهدف من رحمته بهم أن يحافظ على تماسك مجتم المدينة.

لما مات عبد الله بن أبي سلول ورّث النبي ﷺ ابنه عبد الله منه، وصلى عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك قبل أن ينهى عن ذلك، {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة : 84].

المطلب الثالث: رحمته بذي الخويصرة:

وهو الذي أساء الأدب مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتهمه بعدم العدل، كان في إمكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن يقتله، وذلك ما أشار به عمر بن الخطاب ﷺ، كما ورد عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، - وَهُوَ قِدْحُهُ -، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ [1] ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي نَعَتَهُ [2].

[1] / البضعة تدردر أراد تتدردر فحذف احدى التائين استخفافاً ومنه "تنزل الملائكة والروح فيها" أي تتنزل فحذف احدى التائين، ومعنى يتدردر: أي ينتفخ ويعظم ويدر وقد قيل فيه يتحرك، الجبي، شرح غريب ألفاظ المدونة، التحقيق: محمد محفوظ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1425 هـ - 2005 م، (ص: 59).

[2] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 3610.

نعم تجلت رحمته صلى الله عليه وسلّم في هذا الموقف، وعظم حلمه، وكان ردّه في منتهى الانصاف: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ؟ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَلاَ تَأْمَنُونِي»، «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ»، ومن يعدل إن لم أعدل؟ الله أكبر، ومن يعدل إن لم يعدل رسول الله ﷺ! نعم غضب رسول الله ﷺ لأنه إنما يعمل بأمر الله تعالى، «فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ»؟، ومع ذلك كظم غيظه وقال: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»، فالصبر من شيم الحلماء، وصدقت فيه نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلّم: " إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، أَوْ: فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ ".

ويتجلى التوازن بين الرحمة والحزم في المنهج النبوي، لما له من خطورة بالغة، الحزم يكون لحماية الدين إذا انتهكت الحرمات، ووقع الإضرار بالنّاس، والرحمة والتيسير لإصلاح الأخطاء وتقويمها عند ضعف الخلق، وقد ورد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا» [1]، الحزم في الثّوابت والقطعيّات، والرحمة في المسائل الاجتهادية والخلافيّة.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ " [2].

المطلب الرّابع: كيف نطبّق الرحمة في الواقع المعيش؟.

إن واقعنا المعيش اليوم يحتاج إلى بسط الرحمة في كافة المناحي الحياتية بصفة عامة، وبصفة أخص في الخطاب الدعوي والإعلامي، لأن الإعلام اليوم أصبح له القدح المعلى، وهو لسان الحال، وبه يعبر عن الواقع، ومآلات الأمور، وبالتالي يتعايش الناس في أمان، وتتنزل الخيرات والبركات على الجميع، حتى المخالف إذا رأى ذلك قاده إلى إحسان التعامل مع الآخرين.

وضرورة الأخذ بالرحمة لنبذ العنف والتشدد لا سيّما في معالجة الخلاف.

[1] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 3560، مسلم، صحيح مسلم بالرقم2327.

[2] / أبو عبد الله، مسند الإمام أحمد بن حنبل بالرقم 1839، (3/ 339)، وهو صحيح لغيره.

وأن نجعل من الرحمة سلوكا لنا، بدءً من رحمة أنفسنا، بأن لا نحملها ما لا تطيق، ثم برحمة أهلنا

ومن هم تحتنا، وذلك يتطلب حسن الخلق في التعامل مع الزوجة والأبناء، مع رحمتهم، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ» [1]، والعناية برحمة الأطفال، وكبار السن، كما ورد عَنْ زَرْبِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَبْطَأَ القَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا» [2].

وأن نشيع الرحمة في المجتمع، ونرسّخ لثقافة الحوار والتسامح، بعيدا عن القسوة، فنقدم الرفق على العنف، والتيسير قبل العسير، وأن نفرّق بين الخطأ وصاحبه، وأن نهتم بالرحمة في الدّعوة، وفي الحكم على النّاس، فلا نتعجل في القاء التهم، وأن نشفق على إخواننا الذين تعرّضوا للبلايا والمحن، نقول لهم كلاما حسنا يخفف مصابهم، وندعو لهم، ونقدم لهم يد العون، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» [3].

الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

لقد تجلت معالم المنهج النبوي في التّعامل مع المخالفين، رأفة ورحمة، هدفها الأخذ بأيديهم إلى الطريق السّوي، ولقد خلص البحث إلى أن الرحمة تمثل ركنًا أصيلًا في المنهج النبوي للتعامل مع

[1] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 5997، مسلم، صحيح مسلم بالرقم 2318.

[2] / الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975م، بالرقم 1919، (4/ 321)، وهو صحيح.

[3] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 6011، مسلم، صحيح مسلم بالرقم 2586.

المخالفين، وأنها كانت وسيلة إصلاح وبناء، لا مظهر ضعف أو تنازل، وبتلك الموازنة كانت نتائج تلكم المعاملات خيرا كثيرا، قاد كثيرين إلى الحق، وإن استحضار هذا المنهج في واقع الدعوة المعاصرة، وتفعيله في معالجة الخلافات الفكرية والسلوكية، يحقق صلاحا ورشادا.

أولا: النتائج

1/ أنّ الرحمة أصل جامع في المنهج النبوي، وشمولها لكل أصناف المخالفين.

2/ فاعلية الرحمة في تصحيح الأخطاء واستمالة القلوب.

3/ أسهمت رحمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هداية المخالفين ودخولهم في الإسلام.

4/ أسهمت الرحمة في تحقيق مقاصد الدعوة.

5/ أن رحمة المخالفين لا تعني التنازل عن الحق، وإنما تمارس مع مراعاة القيم الشرعية.

6/ أدت الرحمة النبوية إلى تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع.

ثانيا: التوصيات

1/ توجيه الدعاة وطلاب العلم لمزيد من الدراسة حول المنهج النبوي في الرحمة في التعامل مع المخالفين.

2/ إدراج هذا الموضوع ضمن مناهج التعليم العام والعالي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، صحيح البخاري، التحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

(2) البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).

(3) الجبي، شرح غريب ألفاظ المدونة، التحقيق: محمد محفوظ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1425 هـ - 2005 م.

(4) أبو داوود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، التحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

(5) الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي المستشار برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، الناشر: دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009م.

(6) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م.

(7) الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع

الفوائد، التحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م.

(8) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1989/1409م.

(9) الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990م.

(10) مجموعة من العلماء، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.

(11) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، التحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(12) ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، الناشر: دار القلم – بيروت، الطبعة: الأولى، 1993/1414م.

(13) أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله التحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

(14) العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1415 هـ

(15) الفتني، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، 1387 هـ - 1967م.

(16) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، كتاب العين، التحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(17) الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.

(18) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، التحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت، الطبعة الأولى 1412 هـ

(19) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975م.

Low-Cost Production of Sucrose Fatty Acid Esters from Sugarcane Molasses Using a Non-Aqueous Chemical Process

Daiekh A. A. Abod[1], Ali B. AL-Zubaidy[2] Olla Sharhan[3],

Abstract

Sucrose fatty acid esters are biodegradable, non-ionic surfactants widely used in food, pharmaceutical, and cosmetic applications. Conventional production methods typically require purified sucrose and refined fatty acid derivatives, resulting in high processing costs and complex separation steps. This study presents a simplified and cost-effective chemical method for producing sugar esters directly from sugarcane molasses as a low-purity renewable feedstock. Free fatty acids were prepared from corn oil via saponification followed by acidification and purification. Esterification was conducted in a non-aqueous medium using dimethyl sulfoxide and tert-butanol as solvents at 60 °C for 24 h in the presence of molecular sieves to remove water formed during the reaction. The resulting products were separated and characterized using Fourier Transform Infrared Spectroscopy (FTIR). FTIR analysis confirmed the formation of ester bonds, as indicated by a strong absorption band near 1740 cm^{-1} corresponding to C=O stretching of ester groups, alongside characteristic C–H and C–O absorption bands of fatty acid sugar esters. The process was further evaluated through material and energy balance calculations and scaled to a conceptual industrial design with an estimated production capacity of 1000

[1] Department of Pharmacy, Faculty of Medical Sciences, Thamar University, Yemen
Faculty of Medical Sciences, Civilization University, Sanaa, Yemen
[2] Faculty of Medicine & Health Sciences, Hodeidah University, Sanaa, Yemen
[3] Department of Chemistry, Faculty of Education, Thamar University, Thamar, Yemen
Department of Pharmacy, Faculty of Medical Sciences, Thamar University, Yemen

tons/year. An economic assessment demonstrated high feasibility due to the use of low-cost raw materials and simplified processing steps. Overall, these findings indicate that molasses can serve as an effective alternative feedstock for sucrose ester production, offering a sustainable and economically viable approach for local chemical manufacturing.

Keywords: Molasse, Esters of fatty acids, Sucrose fatty esters acid, Glucose and fructose esters

1. Introduction

Sucrose fatty acid esters are non-ionic surfactants widely recognized for their biodegradability, low toxicity, and excellent emulsifying properties. Due to their amphiphilic structure, these compounds are extensively used in food processing, pharmaceuticals, cosmetics, and agricultural formulations as stabilizers, solubilizers, and surface-active agents. Their production has attracted increasing attention as industries shift toward sustainable and bio-based chemical products(Csóka *et al.*, 2007; Teng *et al.*, 2021; Zheng *et al.*, 2015).

Industrial manufacturing of sucrose esters is typically performed using purified sucrose and fatty acids through chemical transesterification in organic media. However, the low solubility of sucrose in non-polar systems, high raw material purity requirements, and complex downstream purification steps contribute significantly to production cost. These limitations have motivated research into alternative feedstocks and simplified production strategies that can improve economic feasibility while maintaining product functionality(Cetinkaya *et al.*, 2020; Dirbeba *et al.*, 2021; Geremew Kassa *et al.*, 2024; Stubbs *et al.*, 2022).

Molasses, a by-product of sugar manufacturing, represents an abundant and low-cost renewable resource rich in fermentable sugars, primarily sucrose, glucose, and fructose. Despite its high carbohydrate content, molasses remains underutilized in chemical manufacturing and is often directed toward low-value

applications such as animal feed. Valorization of molasses as a direct substrate for esterification processes offers a promising pathway for producing high-value bio-based surfactants while reducing dependence on purified raw materials (Gutiérrez *et al.*, 2018; Jamir *et al.*, 2021; Mordenti *et al.*, 2021; Palmonari *et al.*, 2020).

Previous studies have primarily focused on sucrose ester synthesis using refined substrates or enzymatic catalysis under controlled conditions. While enzymatic methods provide high selectivity, their industrial implementation is limited by enzyme cost, reaction time, and substrate solubility constraints. Chemical methods remain the dominant industrial approach due to their scalability and robustness, yet opportunities remain for improving feedstock flexibility and reducing process complexity (Csóka *et al.*, 2007; Geremew Kassa *et al.*, 2024; Hyla and Janek, 2025; Neta *et al.*, 2015; Otache *et al.*, 2022).

This study proposes a simplified chemical method for producing sugar fatty acid esters directly from sugarcane molasses without prior sugar purification. The process employs free fatty acids derived from vegetable oil and conducts esterification in a non-aqueous solvent system under moderate temperature conditions. Product formed was verified using Fourier Transform Infrared Spectroscopy (FTIR), and the process was evaluated through material and energy balance analysis as well as conceptual industrial scale design and

economic assessment. The objective of this work is to demonstrate the technical feasibility and economic potential of molasses-based sucrose ester production as a sustainable approach for local chemical manufacturing.

2. Materials and Methods

2.1 Raw Materials and Instruments

Sugarcane molasses was used as the primary carbohydrate source due to its high content of sucrose, glucose, and fructose. The molasses was used without prior purification to evaluate its feasibility as a low-cost industrial feedstock. Corn oil served as the lipid source for fatty acid production. Dimethyl sulfoxide (DMSO) and tert-butanol were used as reaction solvents due to their ability to enhance miscibility between hydrophilic sugars and hydrophobic fatty acids. Sodium hydroxide, sodium carbonate, ethanol, and hexane were of analytical grade and used without further purification. The use of non-refined substrates was intended to simulate practical industrial conditions for bio-based surfactant production (Molasses: Types, Production and Uses).

The synthesized products were characterized using Fourier Transform Infrared Spectroscopy (FTIR) to confirm ester formation and identify functional groups. Spectral analysis focused on characteristic absorption bands of ester carbonyl groups, hydroxyl groups, and aliphatic chains. FTIR is widely used for structural

confirmation of carbohydrate-based esters and surfactants due to its sensitivity to functional group transformations.

2.2 Extraction of Corn Oil

Corn oil was extracted from ground corn using a Soxhlet extraction apparatus with hexane as the solvent. Extraction was conducted at approximately 50 °C using a solvent-to-solid ratio of 6 mL g^{-1}. After extraction, hexane was removed by evaporation to obtain crude corn oil. This method is widely used for efficient recovery of vegetable oils intended for chemical processing and fatty acid production.

2.3 Preparation of Free Fatty Acids

Alkaline saponification was used to get free fatty acids from extracted corn oil, which was then acidified. The oil was heated with a sodium hydroxide solution (40% w/v) in 95% ethanol to produce sodium soaps in aqueous solution. The reaction mixture was then acidified to produce free fatty acids, which were separated using a separating funnel and rinsed with hot distilled water to remove any remaining contaminants. This process yields fatty acids appropriate for esterification reactions in organic media(Bailey, 1951; Bockisch, 2015; Dutta *et al.*, 2007).



Figure.1: Free fatty acid extracting

2.4 Synthesis of Sugar Fatty Acid Esters

Molasses was dissolved in DMSO to solubilize the sugar components. Tert-butanol was used as a co-solvent to promote the solubility of fatty acids and phase compatibility. Molecular sieves were used for removing water produced during esterification, shifting the equilibrium toward ester formation. The reaction mixture containing free fatty acids, molasses, and tert-butanol was shaken at 200 rpm and 60 °C for 24 h in an incubator. After completion, the mixture was centrifuged at 5000 rpm to achieve phase separation. The upper phase containing the esterified products was collected and stored at −20 °C prior to analysis (Teng *et al.*, 2021).

2.5 Industrial Process Description for Sucrose Esters Production

The process begins by feeding a mixture of reactants and solvents into a batch reactor run at a temperature of 60 °C for 24 hours, as shown in **Figure**.2. Molecular sieves absorb excess water during the esterification reaction, leading to the production of sugar esters. After completion, transport the reaction mixture to a centrifuge for phase separation (Park *et al.*, 2018; Teng *et al.*, 2021). The heavy phase is discarded, while the light phase, which includes unreacted fatty acids, solvents, and esters, is used for further processing.

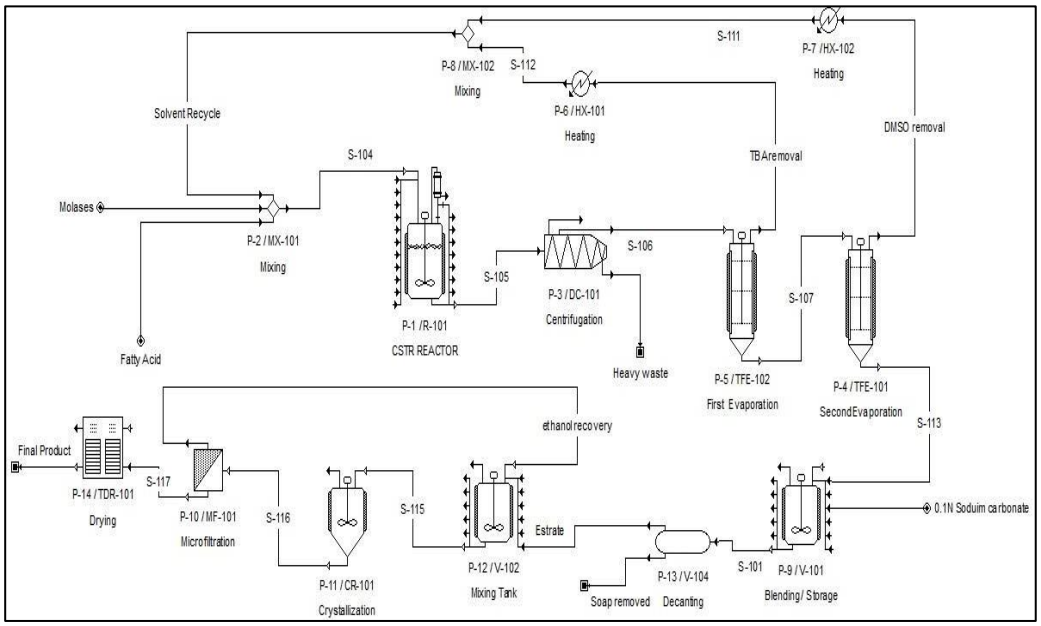


Figure.2: Sucrose esters production flow

The light phase undergoes two stages of vacuum evaporation to recover the solvents: first, TBA is removed and recovered at 50 °C and 0.2 atm. Second, the

mixture enters to separate and recover of DMSO at 60°C and 0.05 atm. The residual mixture containing free fatty acids and sugar esters is transfered to a mixer and add an aqueous solution of sodium carbonate (1N). This solution interacts with free fatty acids to create soap, resulting in two immiscible layers: aqueous soap and an organic layer with esters. The mixture is transferred to a phase separator to remove the soap layer. The remaining ester-rich phase is transferred to a crystallizer and pure ethanol is added. The temperature is slowly reduced to -5°C, selectively crystallizing the sucrose esters while leaving other esters in industrial process description to produce sucrose esters solution. The crystallized sucrose esters are separated with a filter, and the ethanol filtrate is transferred for recovery. The ester crystals are dried in a vacuum dryer to produce pure sucrose ester product (Gutiérrez *et al.*, 2018; Sasayama *et al.*, 2021).

2.6 Process Evaluation and Scale-Up Design

Material balance and energy balance calculations were performed to evaluate process feasibility and support conceptual industrial scale-up. The process flow included batch esterification, centrifugal separation, solvent recovery by vacuum evaporation, saponification of residual fatty acids, crystallization, and drying. Economic feasibility was assessed based on raw material consumption, equipment cost estimation, and projected production capacity (Park *et al.*, 2018)

. Integration of laboratory synthesis with process design is essential for evaluating the industrial applicability of bio-based surfactant production systems (Introduction to Chemical Equipment Design).

3. Results and Discussion

3.1 Synthesis of Sugar Fatty Acid Estere's

The purpose of this stage was to produce sucrose esters by reacting free fatty acids with the high sucrose content of molasses. The aim of this approach is to produce sucrose esters in a more economical way by utilizing locally available and inexpensive raw materials compared to other methods, resulting in lower-cost and more sustainable products.

3.2 Confirmation of Ester Formation by FTIR

Fourier Transform Infrared Spectroscopy (FTIR) analysis confirmed the successful formation of sugar fatty acid esters from molasses-derived sugars and free fatty acids. The spectrum exhibited a strong absorption band near 1740 cm^{-1}, corresponding to the C=O stretching vibration of ester functional groups. This peak is a primary indicator of ester bond formation and confirms the occurrence of the esterification reaction.

A broad absorption band around 3400 cm^{-1} was observed, attributed to O–H stretching vibrations of residual hydroxyl groups within the sugar structure. The persistence of hydroxyl groups is consistent with partial esterification, which is commonly reported in sucrose ester synthesis due to the multiple reactive sites present in sugar molecules.

Additional absorption bands at 2920 and 2850 cm^{-1} were assigned to aliphatic C–H stretching vibrations of fatty acid chains, confirming the incorporation of lipid components into the final product. Strong bands within the range of 1050–1250 cm^{-1} correspond to C–O stretching vibrations associated with ester linkages and carbohydrate structures. The absence of a broad carboxylic acid O–H band in the region 2500–3000 cm^{-1} indicates involvement of free fatty acids during ester formation (Hu *et al.*, 2022).

These spectral features collectively confirm the successful synthesis of sugar fatty acid esters and are consistent with previously reported FTIR signatures for carbohydrate-based surfactants.

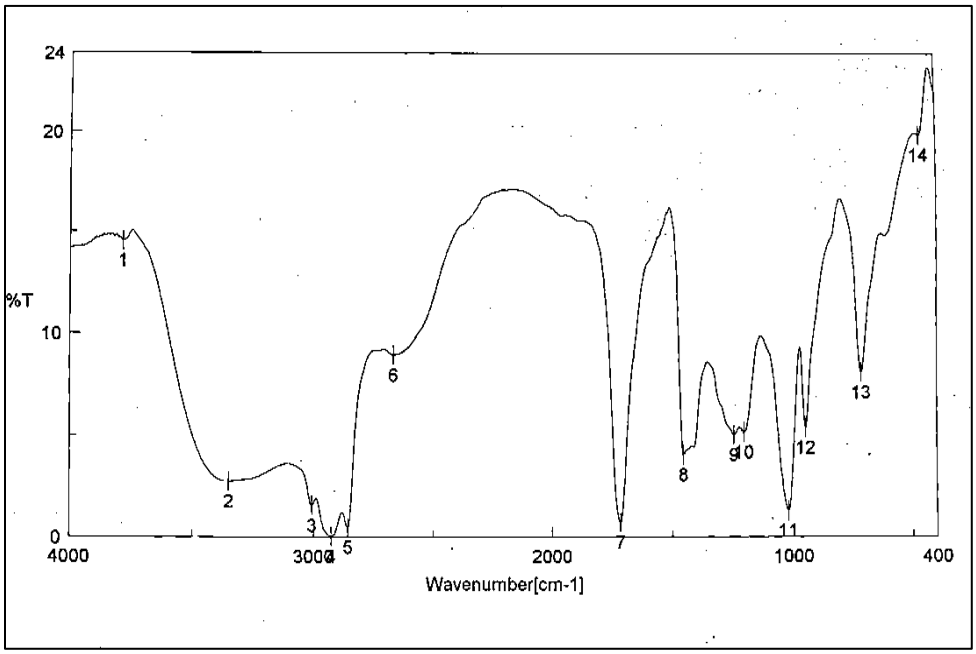


Figure.2: Fourier transform infrared spectroscopy (FTIR) for Fatty acids– Sugars esters.

3.3 Effect of Using Molasses as a Non-Purified Feedstock

The direct utilization of molasses as a sugar source represents a key innovation of this study. Unlike conventional processes that rely on purified sucrose, the present method demonstrates that esterification can proceed effectively in the presence of mixed sugars and non-sugar components (Addai *et al.*, 2020; Zhang *et al.*, 2021).

Molasses contains sucrose, glucose, fructose, minerals, and organic compounds that may influence reaction kinetics and product composition. Despite this complexity, successful ester formation indicates that high-purity substrates are not strictly required for the industrial production of sugar esters (El Asri and Farag, 2023). This finding supports the feasibility of employing low-cost industrial by-products as alternative feedstocks in bio-based surfactant synthesis. The use of non-refined substrates significantly reduces upstream processing requirements and may contribute to improved economic and environmental performance. Similar approaches emphasizing feedstock flexibility have been identified as critical factors for sustainable chemical manufacturing (El Asri and Farag, 2023; Phasha, 2025) (Molasses: Types, Production and Uses).

3.4 Reaction Conditions and Process Efficiency

Esterification was successfully achieved at 60 °C in a non-aqueous solvent system consisting of DMSO and tert-butanol. This moderate reaction

temperature demonstrates that effective ester formation can occur without extreme thermal conditions typically required in solvent-free systems.

The presence of molecular sieves played a crucial role in removing water generated during the reaction and shifting equilibrium toward product formation. This approach is widely recognized as an effective strategy for enhancing esterification efficiency in systems involving hydrophilic reactants.

Partial esterification observed in the FTIR analysis suggests the formation of a mixture of mono-, di-, and poly-esters. Such product distributions are commonly reported in chemical synthesis routes and are often desirable in industrial formulations due to their balanced hydrophilic–lipophilic properties.

3.5 Industrial Feasibility and Process Design Implications

Material and energy balance calculations support the technical feasibility of scaling the process to an industrial production. The proposed process integrates batch esterification, phase separation, solvent recovery, saponification of residual fatty acids, crystallization, and drying into a coherent production system.

The estimated production capacity of approximately 1000 ton/year demonstrates the potential of molasses-based synthesis for large-scale manufacturing. Economic evaluation indicates strong profitability driven by low-cost feedstock utilization and simplified processing steps.

The integration of laboratory synthesis with process design provides a comprehensive framework for evaluating the industrial applicability of sugar ester production from renewable resources. Process intensification through solvent recovery and raw material recycling further enhances both process sustainability and economic performance (Introduction to Chemical Equipment Design).

3.6 Comparison with Conventional Production Approaches

Traditional industrial production of sucrose esters typically employs purified sucrose and fatty acid methyl esters under controlled conditions. While these methods yield high product consistency, they require extensive purification steps and refined raw materials.

In contrast, the present method demonstrates that acceptable ester formation can be achieved using raw molasses and free fatty acids under moderate conditions. This approach simplifies raw material preparation and reduces process complexity while maintaining functional product characteristics (Plat and Linhardt, 2001).

The results suggest that molasses-based production represents a viable alternative pathway for manufacturing bio-based surfactants, particularly in regions with abundant sugar industry by-products.

3.7 Material balance

3.7.1 Process Production Capacity

The average production capacity of the plant was estimated based on the annual production rate and the number of operating days per year. The average daily capacity was calculated to be roughly 3300 kg/day by converting the annual output into kilograms and distributing it over the effective working days, as equation:

$$\textbf{Production Capacity} = 1000 \frac{ton}{year} \times \frac{1000\ kg}{1\ ton} \times \frac{1\ Year}{300\ day} = 3300\ \textbf{kg/day}$$

Molasses was selected as the primary carbohydrate feedstock due to its high sugar content. By weight, molasses typically includes 50% sucrose, 6.5% glucose, and 8% fructose. In addition, molasses is characterized by a high carbohydrate content, mostly made up of sucrose, along with small amount of fructose and glucose, which contributes to its applicability as a substrate in different industrial and biotechnological applications.

3.7.2 Mole balance for Sugars Esterification with oleic acid

3.7.2.1 Sucrose Esterification with Oleic Acid

$$C_{12}H_{22}O_{11} + 8\ C_{18}H_{34}O_2 \longrightarrow C_{12}H_6(OCO\text{-}R)_8 + 8\ H_2O$$

Where R = $C_{17}H_{33}$ (oleic acid chain)

Molecular formula of sucrose ($C_{12}H_{22}O_{11}$) = ~ 342.3 g/mol, and molecular formula of oleic acid ($C_{18}H_{34}O_2$) is ~ 282.5 g/mol. Sucrose has 8 hydroxyl (-

OH) groups, allowing reaction with up to 8 moles of oleic acid (Teng *et al.*, 2021).

Reactant molar quantities: -

1 mol sucrose (342.3 g) + 8 mol oleic acid (8 × 282.5 = 2260 g)

3.7.2.2 Glucose Esterification with Oleic Acid

Balanced Reaction:

$$C_6H_{12}O_6 + 5\ C_{18}H_{34}O_2 \longrightarrow C_6H_2(OCO\text{-}R)_5 + 5\ H_2O$$

Molecular formula of glucose ($C_6H_{12}O_6$) **is** ~ 180.2 g/mol. Glucose has 5 hydroxyl (-OH) groups.

Reactant molar quantities: -

1 mol glucose (180.2 g) + 5 mol oleic acid (5 × 282.5 = 1412.5 g)

3.7.2.3 Fructose Esterification with Oleic Acid

Balanced Reaction:

$$C_6H_{12}O_6 + 5\ C_{18}H_{34}O_2 \longrightarrow C_6H_2(OCO\text{-}R)_5 + 5\ H_2O$$

Molecular formula of fructose ($C_6H_{12}O_6$) **is** ~ 180.2 g/mol. Fructose, like glucose, has 5 hydroxyl (-OH) groups.

Reactant molar quantities: -

1 mol fructose (180.2 g) + 5 mol oleic acid (1412.5 g)

In practical and industrial applications for the synthesis of sugar using fatty acids, full theoretical molar calculations which assume esterification of all

hydroxyls (-OH) groups in the sugar molecule are generally not applied due to various technical and economic considerations. Therefore, it is common in industrial practice to use a fatty acid-to-sugar weight ratio ranging from 1.5 to 2.0, as follows: 1.5 kg of fatty acid per 1 kg of sugars (whether pure or as part of raw materials like molasses): to achieve moderate esterification, mainly producing mono- and di-esters. 2.0 kg of fatty acid per 1 kg of sugars: to increase the degree of esterification and obtain tri- or poly-esters (Cetinkaya *et al.*, 2020).

3.8 Reactor Feed Composition

The feed composition for the esterification reactor consisted of molasses, oleic acid, and two organic solvents used to improve the miscibility between hydrophilic sugars and hydrophobic fatty acids as shown in **Tables 1-4**.

Table .1: Reactor feed composition

Component	Input (kg)	Output (kg)
Molasses	4300	1821
Oleic acid	4100	410
DMSO	1260	1260
Tert-butanol	2940	2940
Sucrose ester	0	3400
Glucose ester	0	573
Fructose ester	0	763
Molecular sieves	1000	1000

The presence of DMSO and tert-butanol significantly improves the solubility of sugars and enhances mass transfer between reactants, which is essential for efficient esterification reactions involving carbohydrate substrates.

Table .2: Reactor feed composition on centrifugal

Component	Input (kg)	Output (kg)
Molasses	1821	1821
Oleic acid	410	410
DMSO	1260	1260
Tert-butanol	2940	2940
Sucrose ester	3400	3400
Glucose ester	573	573
Fructose ester	763	763

Table .3: Reactor feed composition on first evaporator

Component	Input (kg)	Output (kg)
Oleic acid	410	410
DMSO	1260	1260
Tert-butanol	2940	2940 (vapor)
Sucrose ester	3400	3400
Glucose ester	573	573
Fructose ester	763	763

Table .4: Reactor feed composition on second evaporator

Component	Input (kg)	Output (kg)
Oleic acid	410	410
DMSO	1260	1260 (vapor)
Sucrose ester	3400	3400
Glucose ester	573	573
Fructose ester	763	763

3.9 Conversion of Sugars in the Esterification Reactor

Mole balance of saponification reaction on blending tank

$$2\ C_{17}H_{33}COOH + Na_2CO_3 \longrightarrow 2\ C_{17}H_{33}COONa + H_2O + CO_2$$

2 mole oleic acid (2 x 282.460 g/mol) + mole sodium carbonate (105.99 g/mol) ⟶ 2 moles sodium oleate (2 x 304.44 g/mol) + 1 mole water (18.015g/mol) + 1mole CO_2 (44.01 g/mol)

Sodium carbonate needed to saponify 410 kg of oleic acid 410 x 1000 = 410000 g

410000/282.460 = 1451.5 mol

Sodium carbonate = 1451.5/2 =726 mole

=726 x 105.99 =77 kg For 1N Sodium carbonate

77 kg of pure Sodium carbonate = 763kg of 1N Sodium carbonate solution.

Table .5: Reactor feed composition on Dryer

Component	Input	Output
Sucrose ester	3400 kg	3400 kg

3.10 Conversion of Sugars in the Esterification Reactor

The molasses feed contained three major sugars: sucrose, glucose, and fructose. The esterification reaction was carried out at 60 °C for 24 h with pressure 1 atm. Thus, 90% of sugars were converted to esters**,** which is considered relatively high for heterogeneous sugar esterification systems (Gutiérrez Sánchez, 2018).

Table .6: Initial sugar composition

Sugar	Mass (kg)	Moles
Sucrose	2150	6281.5
Fructose	344	1909.4
Glucose	258	1432.1
Total sugars	2752	9623

3.11 Ester Product Distribution

The material balance around the reactor indicates the formation of three types of sugar esters. Sucrose esters represent the dominant product due to the higher concentration of sucrose in molasses (Bento *et al.*, 2019; Phasha, 2025). The formation of glucose and fructose esters confirms that all fermentable sugars in molasses participate in esterification**,** which significantly improves overall raw material utilization.

Table .7: Ester products from the reactor

Product	Mass (kg)
Sucrose ester	3400
Glucose ester	573
Fructose ester	763
Total esters	**4736 kg**

3.12 Solvent Recovery and Process Efficiency

After esterification, the reaction mixture underwent centrifugal separation followed by two evaporation stages for solvent recovery. The first evaporator

removed tert-butanol**,** while the second evaporator removed DMSO**,** enabling solvent recycling and reducing operating costs (Graczová *et al.*, 2020). The recovered solvents represented a significant fraction of the process mass balance:

Table .8: Total volume of reaction mixture

Solvent	Recovered mass
tert-butanol	2940 kg
DMSO	1260 kg

Efficient solvent recovery is essential for improving the economic viability of sugar ester production processes.

3.12 Energy Requirements of the Process

Energy balance calculations revealed that the esterification reactor represents the largest energy demand in the process**,** with a total heat duty of approximately:

$Q=8.14\times10^{6}$ kJ

This heat duty includes both sensible heating and the heat of reaction associated with ester bond formation. Additional energy requirements were associated with solvent evaporation and drying stages, particularly during tert-butanol removal in the first evaporator. Conversely, the crystallization stage exhibited a significant cooling requirement due to the exothermic crystallization of sucrose esters from the ethanol solution. These results highlight the importance of

energy integration and heat recovery in future industrial optimization(Rawlings and Ekerdt, 2002; Wangler *et al.*, 2022).

3.13 Economic Feasibility

Economic analysis indicated that the total production cost for 3400 kg of sucrose ester per day was approximately: 8436.63 USD/day. Raw materials represented the largest portion of operating costs, particularly oleic acid. Assuming an international market price of 6000 USD per ton, the annual revenue from a 1000-ton production capacity would reach approximately: 6,000,000 USD. After subtracting operating costs, depreciation, and taxes, the estimated net annual profit was approximately: 2.78 million USD. These results demonstrate that the proposed process has strong economic potential, particularly in regions where molasses is available as a low-cost by-product of the sugar industry.

4. Conclusion

This study demonstrated the feasibility of producing sugar fatty acid esters directly from sugarcane molasses using a simplified non-aqueous chemical process. The successful formation of ester bonds was confirmed by FTIR analysis, which identified characteristic absorption bands corresponding to ester carbonyl groups, aliphatic chains, and residual hydroxyl functionalities consistent with partial esterification. The FTIR results confirm that the esterification reaction between the fatty acid and the sugar alcohol was

successful. The formation of the ester group is clearly observed, and the presence of residual hydroxyl groups on the sugar is consistent with the partial esterification typically observed in sugar esters.

The results indicate that molasses can serve as an effective alternative feedstock for sucrose ester production without prior purification. The ability to utilize a low-cost and non-refined carbohydrate source represents a significant advantage over conventional production methods that rely on purified sucrose and refined fatty acid derivatives. The use of moderate reaction conditions and common organic solvents further supports the practicality of the proposed method.

Process evaluation through material and energy balance calculations demonstrated the technical viability of scaling the system to industrial production. Economic analysis indicated strong profitability driven primarily by the low cost of raw materials and simplified processing steps. These findings highlight the potential of molasses valorization as a sustainable pathway for manufacturing bio-based surfactants in regions with established sugar industries.

Overall, the study provides an integrated framework combining laboratory synthesis, process design, and economic assessment for the development of locally sourced chemical products. The proposed approach contributes to sustainable chemical manufacturing by promoting waste utilization, reducing reliance on imported raw materials, and enabling value addition to industrial by-products.

References

Addai, F. P., Lin, F., Wang, T., Kosiba, A. A., Sheng, P., Yu, F., . . . Shi, H. (2020). Technical integrative approaches to cheese whey valorization towards sustainable environment. *Food & function, 11*(10), 8407-8423.

Bailey, A. E. (1951). Industrial oil and fat products.

Bento, H. B., Carvalho, A. K., Reis, C. E. R., & De Castro, H. F. (2019). Microbial biodiesel production: From sucrose-based carbon sources to alkyl esters via enzymatic transesterification. *Process Safety and Environmental Protection, 121*, 349-356.

Bockisch, M. (2015). *Fats and oils handbook (Nahrungsfette und Öle)*: Elsevier.

Cetinkaya, S., Yenidünya, A. F., Başoğlu, F., & Sarac, K. (2020). D-Glucose-fatty acid ester synthesis with or without a Biocatalyst in the same organic media. *Journal of Oleo Science*, *69*(7), 737-742.

Csóka, G., Marton, S., Zelko, R., Otomo, N., & Antal, I. (2007). Application of sucrose fatty acid esters in transdermal therapeutic systems. *European journal of pharmaceutics and biopharmaceutics*, *65*(2), 233-237.

Dirbeba, M. J., Brink, A., Lindberg, D., Hupa, M., & Hupa, L. (2021). Thermal conversion characteristics of molasses. *ACS omega*, *6*(33), 21631-21645.

Dutta, P. C., Przybylski, R., Eskin, M. N., & Appelqvist, L.-Å. (2007). Formation, analysis, and health effects of oxidized sterols in frying fat. In *Deep frying* (pp. 111-164): Elsevier.

El Asri, O., & Farag, M. A. (2023). The potential of molasses from different dietary sources in industrial applications: A source of functional compounds and health attributes, a comprehensive review. *Food Bioscience, 56*, 103263.

Geremew Kassa, M., Asemu, A. M., Belachew, M. T., Satheesh, N., Abera, B. D., & Alemu Teferi, D. (2024). Review on the application, health usage, and negative effects of molasses. *CyTA-Journal of Food, 22*(1), 2321984.

Graczová, E., Šulgan, B., & Steltenpohl, P. (2020). tert-Butanol–water mixture separation by extractive distillation: Application of experimental data in process simulations. *Separation and Purification Technology, 251*, 116968.

Gutiérrez, M. F., Orjuela, Á., Rivera, J. L., & Suaza, A. (2018). Production of sucroesters using solvent-free reactive systems containing emulsifiers. *Ingeniería e Investigación, 38*(1), 16-23.

Gutiérrez Sánchez, M. F. (2018). Sucrose esters production in a solvent-free reaction system by transesterification of sucrose and fatty acid methyl esters.

Hu, Y., Ma, C., Liu, J., Bai, G., Guo, S., & Wang, T. (2022). Synthesis, physical properties, and in vitro-simulated gastrointestinal digestion of hydrophilic β-sitosterol sugar esters. *Journal of agricultural and food chemistry*, *70*(27), 8458-8468.

Hyla, K., & Janek, T. (2025). Sugar Esters of Fatty Acids: Chemo-Enzymatic Synthesis and Biological Activity. *Molecules*, *30*(15), 3123.

Jamir, L., Kumar, V., Kaur, J., Kumar, S., & Singh, H. (2021). Composition, valorization and therapeutical potential of molasses: a critical review. *Environmental technology reviews*, *10*(1), 131-142.

Mordenti, A. L., Giaretta, E., Campidonico, L., Parazza, P., & Formigoni, A. (2021). A review regarding the use of molasses in animal nutrition. *Animals*, *11*(1), 115.

Neta, N. S., Teixeira, J. A., & Rodrigues, L. R. (2015). Sugar ester surfactants: Enzymatic synthesis and applications in food industry. *Critical reviews in food science and nutrition*, *55*(5), 595-610.

Otache, M. A., Duru, R. U., Ozioma, A., & Abayeh, J. O. (2022). Catalytic methods for the synthesis of sugar esters. *Catalysis in Industry*, *14*(1), 115-130.

Palmonari, A., Cavallini, D., Sniffen, C., Fernandes, L., Holder, P., Fagioli, L., . . . Mammi, L. (2020). Characterization of molasses chemical composition. *Journal of dairy science*, *103*(7), 6244-6249.

Park, K.-M., Lee, S. J., Yu, H., Park, J.-Y., Jung, H.-S., Kim, K., . . . Chang, P.-S. (2018). Hydrophilic and lipophilic characteristics of non-fatty acid moieties: Significant factors affecting antibacterial activity of lauric acid esters. *Food Science and Biotechnology*, *27*(2), 401-409.

Phasha, M. J. (2025). *Conversion of sugar cane A-molasses and lignocellulosic biomass to value-added products: Techno-economics and greenhouse gas emissions*. Stellenbosch: Stellenbosch University,

Plat, T., & Linhardt, R. J. (2001). Syntheses and applications of sucrose-based esters. *Journal of Surfactants and Detergents*, *4*(4), 415.

Rawlings, J. B., & Ekerdt, J. G. (2002). Chemical reactor analysis and design fundamentals. *(No Title)*.

Sasayama, T., Hiromori, K., Takahashi, A., & Shibasaki-Kitakawa, N. (2021). Process for continuous production of sugar esters of medium-chain fatty acid: Effect of residence time on productivity and scale-up design.

Journal of Food Engineering, 305, 110608. doi:https://doi.org/10.1016/j.jfoodeng.2021.110608

Stubbs, S., Yousaf, S., & Khan, I. (2022). A review on the synthesis of bio-based surfactants using green chemistry principles. *DARU Journal of Pharmaceutical Sciences, 30*(2), 407-426.

Teng, Y., Stewart, S. G., Hai, Y.-W., Li, X., Banwell, M. G., & Lan, P. (2021). Sucrose fatty acid esters: Synthesis, emulsifying capacities, biological activities and structure-property profiles. *Critical reviews in food science and nutrition, 61*(19), 3297-3317.

Wangler, T., Pileggi, R., Gürel, S., & Flatt, R. J. (2022). A chemical process engineering look at digital concrete processes: critical step design, inline mixing, and scaleup. *Cement and Concrete Research, 155*, 106782.

Zhang, S., Wang, J., & Jiang, H. (2021). Microbial production of value-added bioproducts and enzymes from molasses, a by-product of sugar industry. *Food Chemistry, 346*, 128860.

Zheng, Y., Zheng, M., Ma, Z., Xin, B., Guo, R., & Xu, X. (2015). Sugar fatty acid esters. In *Polar lipids* (pp. 215-243): Elsevier.

الملخص:

تُعدّ إسترات الأحماض الدهنية للسكروز موادًا غير أيونية خافضة للتوتر السطحي قابلة للتحلل الحيوي، وتُستخدم على نطاق واسع في تطبيقات الأغذية والأدوية ومستحضرات التجميل. تتطلب طرق الإنتاج التقليدية عادةً إسكروزًا نقيًا ومشتقات أحماض دهنية مُكرّرة، مما يؤدي إلى ارتفاع تكاليف المعالجة وتعقيد خطوات الفصل. تُقدّم هذه الدراسة طريقة كيميائية مُبسّطة وفعّالة من حيث التكلفة لإنتاج إسترات السكر مباشرةً من دبس قصب السكر كمادة خام متجددة منخفضة النقاوة. تم تحضير الأحماض الدهنية الحرة من زيت الذرة عن طريق التصبن، متبوعًا بالتحميض والتنقية. أُجريت عملية الأسترة في وسط غير مائي باستخدام ثنائي ميثيل سلفوكسيد والبوتانول الثلاثي كمذيبات عند 60 درجة مئوية لمدة 24 ساعة في وجود مناخل جزيئية لإزالة الماء المتكون أثناء التفاعل. تم فصل المنتجات الناتجة وتوصيفها باستخدام مطيافية الأشعة تحت الحمراء . أكد تحليل FTIR تكوّن روابط الإستر، كما يتضح من حزمة امتصاص قوية قرب 1740 سم$^{-1}$ تُعزى إلى رابطة C=O في مجموعات الإستر، بالإضافة إلى حزم امتصاص C–H وC–O المميزة لإسترات سكريات الأحماض الدهنية. وقد خضعت العملية لمزيد من التقييم من خلال حسابات توازن المواد والطاقة، وتمّ توسيع نطاقها لتصميم صناعي مبدئي بطاقة إنتاجية تقديرية تبلغ 1000 طن/سنة. وأظهر التقييم الاقتصادي جدوى عالية نظرًا لاستخدام مواد خام منخفضة التكلفة وخطوات معالجة مبسطة. وتُشير النتائج إلى أن دبس السكر يُمكن أن يكون مادة خاما بديلة فعّالة لإنتاج إسترات السكروز، مما يُوفر نهجًا مستدامًا ومجديًا اقتصاديًا للتصنيع الكيميائي المحلي.

الكلمات المفتاحية: دبس السكر، إسترات الأحماض الدهنية، إسترات السكروز الدهنية، إسترات الجلوكوز والفركتوز

Seroprevalence of Anti- Rubella Antibody Among Pregnant Women in Al-Turbah City Taiz Governorate, Yemen.

Tawfique K Al-Zubiery[1 2], Dua'a Alam Aldeen[3], Mothana Ahmed Ali, Abdullah Mohammed Abdullah, Muaid Mohammed Almasani, Nusseibeh Abdullah Mohammed, Shatha Arif Abdul-Hamid, Zahrh Abdullah Abdul-Rahman, Ahmed Goad Ahmed, Riad Ebrahem Mohammed, Ola Radwan Shaher, Maha Tawfiq Hazza, Farej Abdul-Aziz, Saja Raif Abdul-Karim, Fanar Abdul-Qadir, Hamza Abdualmelek, Ameen Ghailan.[4]

[1] Associated professor of Clinical Microbiology Department of Medical laboratory Faculty of Medical and Health Sciences Taiz University

[2] Department of laboratory Medicine Faculty of Medical and Health Sciences Civilization University.

[3] BSc in Medical laboratory .Department of Medical laboratory Faculty of Medical and Health Sciences Taiz University

[4] Team work group of Graduation research project

Abstract:

Background: Infection with the rubella virus during pregnancy, especially during the first trimester, can result in congenital rubella syndrome (CRS). Like in many other developing countries, rubella surveillance is not well-established in Yemen. Therefore, this study was conducted with the objectives of estimating the seroprevalence and potential risk factors associated with acquiring rubella infection among pregnant women in Al-Turbah City.

Methods: A cross-sectional study was conducted involving 90 Pregnant women attending antenatal clinics in four main hospitals and health centers in Al-Turbah City. Demographic data, obstetric characteristics, and blood samples were collected and analyzed for rubella specific antibodies (IgG and IgM) using the Enzyme-Linked Immunosorbent Assay [ELISA] technique.

Results: The study revealed that, the prevalence of anti-rubella IgG was 81(90.0%) and anti-rubella IgM was 4 (4.4%). There was no statistically significant association between rubella seropositive and all the socio-demographic characteristics (P>0.05).

Conclusion: Observation, Although the protection rate (anti rubella IgG) was high, the cases of miscarriage and disabilities remained elevated. This suggests that while vaccine coverage or natural immunity is present, there are other factors and reasons that contributed to cause miscarriages and disabilities in newborns.

1.Introduction

Infection with the rubella virus during pregnancy, especially during the first trimester, can result in congenital rubella syndrome (CRS). [1]

The rubella virus belongs to the genus Rubivirus within the family Matonaviridae. Prior to 2018, it was classified as part of the family Togaviridae. (2) Rubella, commonly referred to as German measles or three-day measles, is a contagious viral infection caused by an enveloped, positive-stranded ribonucleic acid virus, usually causing a benign systemic illness resembling a mild case of measles. [3,4]

Transmission of postnatal rubella occurs mainly through the respiratory route via inhalation of respiratory droplets. Patients are most contagious during the time of appearance of the rash. The virus spreads quickly when an infected person coughs or sneezes, and commonly occurs in children and young adults, Rubella can also be transmitted from infected pregnant women to their unborn babies, that's the danger. (5,6) Primary implantation and replication in the nasopharynx are followed by spread to the lymph nodes. Subsequent viremia occurs, which in pregnant women often results in infection of the placenta. Placental virus replication may lead to infection of fetal organs. 7

In 1914, it was first suspected that rubella was caused by a filterable virus, which was confirmed in 1938 by infecting children with rubella virus using

filtered nasal washings from acute cases. However, it was not until 1941 that the Australian ophthalmologist Norman Gregg.first reported the association between congenital cataracts and rubella contracted during the first trimester of pregnancy. This report was the earliest recognition that an environmental exposure, and specifically a virus, could cause birth defects. The rubella virus was subsequently isolated in tissue culture in 1962.(4)

Rubella virus infection is a leading cause of vaccine-preventable birth defects, known as congenital rubella syndrome (CRS). (7) Congenital rubella infection (CRI) has outcomes including miscarriage, stillbirth, abortion, congenital rubella syndrome (CRS) or asymptomatic infection in the infant. The clinical manifestations of CRS encompass cardiac, cerebral, ophthalmic and auditory defects. The risk of congenital defects varies from 10% to 90%depending on the gestational age of the fetus at the time of infection. The occurrence of rubella earlier in gestation, particularly during the first 12weeks, increases the risk of more severe outcomes.(5) From just before conception and acquired in the early months of pregnancy, rubella infection may cause multiple fetal defects in up to 90% of cases. (3)

Epidemiological surveys in the world indicate that the immunity levels to Rubella virus in different communities are related to age, socioeconomic status,

climate, as well as population size and density. Rubella occurs worldwide with a seasonal distribution, peaking in late winter or early spring. [8]

Congenital rubella syndrome represents a global public health issue, with over 100,000 cases reported annually worldwide among newborns. [6] According to the World Health Organization (WHO) estimates, in Eastern Mediterranean Region (EMR) between 1996 and 2008, the average CRS incidence was 50 <100 per 100,000 live births. [9]

The pathology of CRS in the infected fetus is well defined, with almost all organs susceptible to infection; however, its precise pathogenesis remains poorly delineated. In fetal tissues, infections with rubella virus have diverse effect, ranging from no obvious impact to cell destruction.[10-15] The fetal defects observed in congenital rubella syndrome are likely secondary to vasculitis resulting in tissue necrosis without inflammation. Another possible mechanism is direct viral damage of infected cells. Studies have demonstrated that cells infected with rubella in the early fetal period have reduced mitotic activity. This may be the result of chromosomal breakage or due to production of a protein that inhibits mitosis. Regardless of the mechanism, any injury affecting the fetus in the first trimester (during the phase of organogenesis) results in congenital organ defects. A hallmark of fetal infection is its persistent nature, continuing throughout fetal development in utero and for up to 1 year after birth. [7,15] The

clinical manifestations of CRS apparent at birth including thrombocytopenic purpura intrauterine growth retardation, congenial heart disease psychomotoric retardation, defects in the eye (cataract, glaucoma, retinopathy), hearing loss, and hepatomegaly and/or splenomegaly. Nearly 80% of CRS children show some type of neural involvement, particularly neuro-sensory hearing loss.[16,17,18]

Epidemiological surveys in the world indicate that the immunity level to Rubella virus in different communities is related to age, socioeconomic status, climate, as well as population size and density. Rubella occurs worldwide with a seasonal distribution. Rubella seropositivity rates in different countries range between 54.1% and 95.2%.[17]

The prevalence of rubella antibody was 92% in Saudi Arabia,18 94.6% in Iran.19>90% in several African countries,[19-,21] And >89.5% in Turkey. [17]

Unfortunately, the epidemiology of Rubella virus in pregnant women resident in Yemen is not fully understood, as there is a lack of published data about the prevalence of Rubella virus among pregnant women in Yemen in general and in Al-Turbah City in particular. Therefore, the significance of this study lies in conducting a comprehensive study to determine the prevalence rates and identify the potential factors contributing to the transmission of the Rubella virus among pregnant women in Al-Turbah City Taiz governorate in Yemen.

This study aims to achieve the modest goal regarding the prevalence of rubella virus among pregnant women.

2. Material and methods

The study is a cross-sectional descriptive study. conducted in Al-Turbah City Taiz governorate, Yemen, under the oversight of Department Medical Laboratories, Faculty of Medical and Health Sciences- Taiz University - Al-Turbah Branch. Pregnant women seeking antenatal medical care were invited to participate in the study. Informed consent was obtained from all participants prior to enrollment, and individuals were informed of their right to withdraw at any time without affecting their medical care. Socio-demographic and clinical data were collected from each participant using a structured questionnaire, including age, vaccination status, occupation, residence, gestational trimester, education level, parity, history of abortion, history of malformed children, and history of stillbirth. Venous blood samples (2-5ml) were collected aseptically and following clotting serum was separated by centrifugation at 3,000 revolutions per minute (rpm) for five minutes, and transferred into clean Eppendorf tube, and the serum was stored at -20 C^{o} for up to 30 days.[10,11] All specimens were subjected for determination Anti-Rubella IgG and Anti-Rubella IgM antibodies by ELISA using Anti-Rubella IgG (Rubella IgG) Test System, (6325-300, Moonblind Inc. USA) and Anti-Rubella IgM (6425-300, Moonblind

Inc. USA) according to manufacture's instructions. Absorbance values were measured using a microplate reader (ELx800, BioTek Instruments, Inc., USA).

3. Statistical Analysis:

Data were analyzed using IBM SPSS Statistics software version 20.0. Bivariate analyses were conducted using $\chi 2$ test for categorical variables to evaluate the determinants of rubella infection in Al-Turbah City and values of ($P<0.05$) were considered as statistically significant while ($P>0.05$) was considered statistically non-significant.

4. Results

During the study period, 90 pregnant women were enrolled in this study with a mean age of 26.7 (SD) ±6.1 years.

Out of the 90 pregnant women, 81/90 (90.0%) had anti-rubella IgG Ab, 4/90 (4.4%) had anti-rubella IgM Ab, and 5/ 90 (5.5%) were susceptible to infection. On other hand, it was found statistical insignificance (*P*-value=0.756//X^2=0.1), in the rate of anti-rubella IgG Ab among patient resident rural 58/64 (90.6%) and 23/26 (88.5%) resident urban area.

As seen in table1, our study demonstrated that, the rate of IgG among all classes of education was around (90%) with no statistical significance in the difference of prevalence of anti-rubella IgG anti-rubella IgM Ab among them.

Our study demonstrated that, the rate of abortion was high 38/ 90 (52.8%) among pregnant women while the rate of rubella infection (IgM) among them was found low seen in the table in regarding the rate of newborn malformation it was found that out of total 90 pregnant women 3/ 90 (4.2%) of newborn were malformed with an account anti-rubella IgG and anti-rubella Ig M among them 100.0% and zero respectively.

Recent study reveal that, out of total 41/90 (46.1%) participant pregnant women had rubella vaccine with rate of immunity (anti-rubella IgG) among them was 40/41(97.6%) against rubella virus.

However, among the 4 pregnant women (4.4%) who were seropositive for anti-rubella IgM, 2 (50.0%) acquired the infection during the first trimester. Overall, the present study demonstrated no statistically significant association between the seroprevalence of either anti-rubella IgG or IgM antibodies and any socio-demographic characteristics.

Table 1. prevalence rubella virus among pregnant women in relation to demographic characteristics

Variable	Total N=90		Positive IgG N =81(90.0%)		X^2	***P***	Positive IgM N =4 4.4%)		X^2	***P***
	N	%	N	%			N	%		
Age										
15-25	46	51.1	43	93.5	1.3	0.528	2	4.3	1.5	0.482
26-35	36	40.0	31	86.1			1	2.8		
>35	8	8.9	7	87.5			1	12.5		
Residence										
Rural	64	71.1	58	90.6	0.1	0.756	3	4.7	0.03	0.861
Urban	26	28.9	23	88.5			1	3.8		
Trimester										
first	28	31.1	25	89.3	1.2	0.541	2	7.1	0.7	0.701
second	28	31.1	24	85.7			1	3.6		
third	34	37.8	32	94.1			1	2.9		
Education level										
Illiterate	13	14.4	12	92.3	1.6	0.649	1	7.7	0.4	0.940
Primary	29	32.2	27	93.1			1	3.4		
Secondary	24	26.7	22	91.7			1	4.2		
University	24	26.7	20	83.3			1	4.2		
Occupation										
Student	5	5.6	4	80.0	0.6	0.745	0	0.0	1	0.636
Employee	11	12.2	10	90.9			0	0.0		
Housewife	74	82.2	67	90.5			4	5.4		
Number of pregnant										
First	18	20.0	16	88.9	0.5	0.754	0	0.0	1.6	0.439
2 to 4	42	46.7	37	88.1			3	7.1		
>4	30	33.3	28	93.3			1	3.3		
Vaccination										
Yes	41	45.6	40	97.6	13.8	0.001	1	2.4	1	0.940
No	3	3.3	1	33.3			0	0.0		
Unknown	46	51.2	40	87.0			3	6.5		
Abortion										
Yes	38	52.8	35	92.1	0.6	0.580	2	5.3	0.01	0.909
No	34	47.2	30	88.2			2	5.9		
Stillbirth										
Yes	11	15.3	10	90.9	0.01	0.939	1	9.1	0.3	0.578
No	61	84.7	55	90.2			3	4.9		
newborn malformation										
Yes	3	4.2	3	100	0.34	0.561	0	0.0	0.2	0.668
No	69	95.8	62	89.9			4	5.8		

N: Number// % : percent // X^2 : chis square // P: Probability

4. Discussion

Our study revealed that 81 pregnant women (90.0%) were positive for anti-rubella IgG antibodies, which is in agreement with studies conducted in Saudi Arabia (91.6%) [18], Morocco (90.2%) [33], and another region in Yemen (89.2%)[34]. This rate is higher than those reported in other studies from Morocco (85.9%) [35], Sudan (65.3%) [36], and Nigeria (37.3%) [37]; however, higher IgG prevalence rates were reported by Abdul Jalel *et al*. (97.7%) [38] and Honarvar *et al*. (96.0%)[39].

Our study showed that the frequency of anti-rubella IgM among pregnant was 4(4.4%) which was in consent with that carried out in India (4.66%, 4.65),[40,41] and more than similarly studies contacted in Hodadah-Yemen (2.0%), [34] Sudan (3.4%),[36] and Ethiopia (2.1%).[5] and elsewhere had high IgM prevalence rate was reported by Akele, *et al* (12%),[42] and Al-Marzoqi, *et al* (53.9%).[43]

Regarding rural versus urban residence, Al-Thobhani et al. (34) reported an approximately similar prevalence pattern, with no statistically significant difference (P = 0.35) in IgG rates between rural (89.1%) and urban (92.1%) participants, aligning with our current findings. Additionally, Belefquih et al. (33) reported a comparable IgG seroprevalence rate (92.1%) among subjects aged 36–45 years.

Our study demonstrate that, indeed high rate of abortion38 (52.8%) but rubella infection (IgM) among participant was low with an account of IgM 2(5.3%) compare to 35(92.1%)had anti-rubella IgG. several studies reported similar observations were reported elsewhere in Yemen,[34] and Southern Ethiopia.[5]Increasing in the rate of abortion, stillbirth and disabilities in our study could be related to other causative agent such as infections caused by Toxoplasma gondii, Cytomegalovirus (CMV), and Herpes simplex virus, Zika virus, varicella-zoster etc.. [24] Where the prevalence of Anti-Cytomegalovirus (IgG) among pregnant women in AL-Turbah City was (68.8%)[25] compared to (27.8%)[26] of women had toxoplasmosis. In addition to other factors such as societal habit, feeding and poverty level which could play an important role in the rate of abortion, stillbirth and defects.

5.Conclusion:

The prevalence rate of anti-rubella IgM was 4.4%, indicating a low level of acute or recent infection among the study population. Conversely, the high seroprevalence of anti-rubella IgG (90.0%) demonstrates a robust level of baseline immunity within the community. However, despite this high protective rate, the rates of miscarriage and congenital disabilities remained elevated. This finding suggests that while rubella immunity is prevalent, these adverse obstetric outcomes are likely driven by other underlying etiologies or infectious agents

rather than vaccine failure alone. Furthermore, there was no statistically significant association between demographic characteristics and rubella infection, which further highlights the potential role of unmeasured environmental, clinical, or socio-economic risk factors.

6. Recommendations:

More comprehensive studies needed to get modest goal regarding rubella and other causative agent.

Acknowledgements

We would like to express our sincere gratitude to the members of the Department of Medical Laboratories, Faculty of Medical and Health Sciences, Taiz University (Al-Turbah Branch), for their unwavering support, guidance, and encouragement throughout this work. Special thanks are also extended to the medical and nursing staff at Khalifa Hospital in Al-Turbah City for their vital assistance in specimen collection, as well as to all the pregnant women who kindly consented to participate in this study.

References

1. Oyinloye SO, Amama CA, Daniel R, et al. Seroprevalence survey of rubella antibodies among pregnant women in Maiduguri, Borno State, Nigeria. African J Clin Exp Microbiol. 2014;15(3):151–157.
2. Mayo Clinic Diseases and conditions: rubella – prevention 2011 Available from:http://www.mayoclinic.com/health/rubella/DS00332/DSECTION=preventionAccessed March 30, 2012
3. Rubella Virus Infection, the Congenital Rubella Syndrome, and the Link to Autism, J. Environ. Res. Public Health 2019, 16(19), 3543; https://doi.org/10.3390/ijerph16193543
4. Winter AK, Moss WJ. Rubella. Lancet. 2022 Apr 2;399(10332):1336-1346. doi: 10.1016/S0140-6736(21)02691-X. PMID: 35367004.
5. Tamirat B, Hussen S, Shimelis T. Rubella virus infection and associated factors among pregnant women attending the antenatal care clinics of public hospitals in Hawassa City, Southern Ethiopia: a cross-sectional study. BMJ Open. 2017;7(10): e016824
6. WHO., 2024.Rubella. Available from: https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail.rubella (14 May 2024).

7. CDC., 2024. Fast Facts: Rubella and Congenital Rubella Syndrome (CRS). Available from: https://www.cdc.gov/global-rubella-vaccination/data-research/facts-stats/index.html [MAY 15, 2024]
8. Robertson SE, Featherstone DA, Gacic-Dobo M, et al. Rubella and congenital rubella syndrome: global update. Rev Panam Salud Publica. 2003;14(5):306–315.
9. WHO. Status Report on Progress towards Measles and Rubella Elimination SAGE Working Group on Measles and Rubella (22 October 2012). Geneva: WHO. 2012.
10. Loeffelholz MJ. 2016. CLINICAL VIROLOGY MANUAL.5th Ed. Washington: USA.
11. Atkinson W.L. 2000.Epidemiology and prevention of vaccine-preventable diseases.6th Ed. Atlanta: Georgia.
12. Ezike E, et al. 2024. Pediatric rubella. Medscape. Available from: https://emedicine.medscape.com/article/968523-overview#a1
13. Parija S.C.2012. Textbook of Microbiology and Immunology. 2nd Ed. Elsevier: India.
14. Das PK, Kielian M.2021.Molecular and structuralinsights intothelife cycleof rubella virus. JVirol95:e02349-20.https://doi.org/10 .1128/JVI.02349-20.

15. Jameson J. L, Fauci A.S, Kasper D. L. 2018. Harrison's principles of internal medicine.20th Ed . McGraw-Hill: USA
16. Parija S.C.2012. Textbook of Microbiology and Immunology. 2nd Ed. Elsevier: India.
17. Tanrıverdi EÇ, Dikbaş L, Alay H, Kadıoğlu BG, Özkurt Z. Seroprevalance of Rubella Antibodies Among Pregnant Women in a Regional Maternity Hospital in Eastern Turkey. Mediterr J Infect Microb Antimicrob. 2018;7:4.\
18. Alsibiani SA. Rubella Immunity among Pregnant Women in Jeddah, Western Region of Saudi Arabia. Obstet Gynecol Int. 2014; 2014 :659838, 6 pages
19. Ganjooie TA, Mohammadi MM. The prevalence of antibodies against rubella in pregnant women in Kerman, Iran. Saudi Med J 2003; 24:1270–1271. PMID: 14647572
20. Lawn JE, Reef S, Baffoe-Bonnie B, Adadevoh S, Caul EO, Griffin GE. Unseen blindness, unheard deafness, and unrecorded death and disability: Congenital rubella in Kumasi, Ghana. Am J Public Health 2000; 90: 1555– 15561. https://doi.org/10.2105/ajph.90.10.1555

21. Cutts FT, Abebe A, Messele T, Dejene A, Enquselassie F, Nigatu W, et al. Sero-epidemiology of rubella in the urban population of Addis Ababa, Ethiopia. Epidemiol Infect 2000; 124: 467–479.
22. Robertson SE, Featherstone DA, Gacic-Dobo M, et al. Rubella and congenital rubella syndrome: global update. Rev Panam Salud Publica. 2003;14(5):306–315.
23. Lanzieri TM, Segatto TC, Siqueira MM, et al. Burden of congenital rubella syndrome after a community-wide rubella outbreak, Rio Branco, Acre, Brazil, 2000 to 2001. Pediatr Infect Dis J. 2003;22(4):323–329.
24. . Ali Z, Hull BP, Lewis MJ. The neonatal manifestation of congenital rubella following an outbreak in Trinidad. J Trop Pediatr. 1986;32(2):79– 82.
25. Pandolfi E, Gesualdo F, Rizzo C, Bella A., et al. Global seroprevalence of rubella among pregnant and childbearing age women: a meta-analysis. Eur J Public Healt 2017 doi:10.1093/eurpub/ckw259
26. Alan C, Zimmerman LA, Alexander JP, et al Progress Toward Rubella and Congenital Rubella Syndrome Elimination — Worldwide, 2012–2022. MMWR. 2024;73 : 8.
27. Bhatia R., 2008. Essentials of Medical Microbiology. 4th Ed. Ajanta: India

28. T.K. Frey., 2021. Rubella Virus, In Encyclopedia of Virology 3th Ed. Elsevier Ltd: Berlin, Germany

29. WHO. 2007.Manual for the laboratory diagnosis of measles and rubella virus infection. 2th Ed. WHO Document Production Services, Geneva, Switzerland

30. Wreghitt T, Kudesia G.2024.Clinical and Diagnostic Virology. 2th Ed. British Library: United Kingdom

31. Anti-Rubella IgG (Rubella IgG) Test System Product Codes: 6325-300.Monobind Inc. lake forest, CA 9260, USA.

32. Anti-Rubella IgM (Rubella IgM) Test System Product Codes: 6425-300. Monobind Inc. lake forest, CA 9260, USA.

33. Belefquih B, Kasouati J, Doblali T, et al. Rubella seroprevalence in pregnant women at the military teaching hospital, Rabat, Morocco. Int J Gynecol Obstet. 2013;120(2):191-2.

34. Al-Thobhani Aassem, et al. Seroprevalence of Rubella Virus Antibodies among Pregnant Women in Hodeidah City, Western Yemen. J Hum Virol Retrovirol. 2023;10(1):7–10.

35. Alaoui HL,Saffer M, Kassouat J, et al. Rubella seroprevalence among pregnant women in the region of Rabat, Morocco: a cross- sectional study. BMJ Open 2023;13:e067842.

36. Hamdan HZ, Abdelbagi IE, et al. Seroprevalence of cytomegalovirus and rubella among pregnant women in western Sudan. licensee BioMed Central Ltd. 2011, 8:217
37. Zahradeen SU et al. Seroprevalence and risk factors for rubella infection in pregnant women attending a tertiary hospital in Kano-Nigeria. Pan African Medical Journal. 2023;46(97). 10.11604/pamj.2023.46.97.39433
38. Abdul-Jalel OS, *et al*. Sero-Detection of Cytomegalovirus and Rubella Virus IgG Antibodies Among Sudanese Pregnant Women in Khartoum State-Sudan. Arch Microbiol Immunology 2017; 1 (2): 58-64
39. Honarvar B, Moghadami M, Moattari A, Emami A, Odoomi N, et al. (2013) Seroprevalence of Anti-Rubella and Anti-Measles IgG Antibodies in Pregnant Women in Shiraz, Southern Iran: Outcomes of a Nationwide Measles-Rubella Mass Vaccination Campaign. PLoS ONE 8(1): e55043. doi:10.1371/ journal.pone.0055043.
40. Surpam RB, Kamlakar UP, Khadse RK, Qazi MS, Jalgaonkar SV: Serological study for TORCH infections in women with bad obstetric history. J Obstet Gynecol India. 2010;56:41-3.
41. Sadik MS, Fatima H, et al. Study of TORCH profile in patients with bad obstetric history. Biology and Medicine, 4 (2): 95-101, 2012.

42. Akele RY, Pam BN, Oluboyo BO, et al. Seroprevalence of Rubella IgG and IgM Antibodies among Pregnant Women Attending Antenatal Clinic in Federal Teaching Hospital Ido-Ekiti, Nigeria. Asian J Immunol. 2020;4(1):27–35.
43. Al-Marzoqi AHM, Kadhim RA, Al-Janabi DKF, et al. Seroprevalence study of IgG and IgM antibodies to toxoplasma, rubella, cytomegalovirus, Chlamydia trachomatis, and Herpes simplex II in Pregnancy women in Babylon Province. J Biol Agric Healthc. 2012;2(10):159–164.
44. Kumar M, Saadaoui M and Al Khodor S (2022) Infections and Pregnancy: Effects on Maternal and Child Health. Front.Cell.Infect.Microbiol.12:873253.doi:10.3389/fcimb.2022.873253
45. AL-zubiery T, *et al*, Seroprevalence of Cytomegalovirus among pregnant women in AL-Turbah city Taiz government, Yemen. 2021 graduation project submitted to department of medical laboratory, Faculty of medical and health sciences Taiz university AL-Turbah branch as a part of fulfillment requirement for obtaining of bachelor degree in medical laboratories.
46. Saif M, *et al*. The prevalence of toxoplasma gonadii parasite among adult women in Al-karisha region in AL-Turbah city,2020. graduation

project submitted to department of medical laboratory, Faculty of medical and health sciences Taiz university AL-Turbah branch as a part of fulfillment requirement for obtaining of bachelor degree in medical laboratories.

الملخص:

الخلفية: قد تؤدي الإصابة بفيروس الحصبة الألمانية أثناء الحمل، وخاصةً خلال الثلث الأول منه، إلى متلازمة الحصبة الألمانية الخلقية. وكما هو الحال في العديد من الدول النامية، فإن نظام ترصد الحصبة الألمانية في اليمن غير مُنظّم بشكل كافٍ. لذا، أُجريت هذه الدراسة بهدف تقدير الانتشار المصلي وعوامل الخطر المحتملة للإصابة بالحصبة الألمانية لدى النساء الحوامل في مدينة التربة.

المنهجية: كانت الدراسة دراسة مقطعية شملت 90 امرأة حاملًا، يراجعن عيادات رعاية ما قبل الولادة في أربعة مستشفيات ومراكز صحية رئيسة في مدينة التربة. جُمعت البيانات الديموغرافية والخصائص التوليدية وعينات الدم، وخضعت للفحص للكشف عن الأجسام المضادة النوعية للحصبة الألمانية (IgG وIgM) باستخدام تقنية المقايسة المناعية الإنزيمية المرتبطة (ELISA).

النتائج: كشفت الدراسة أن نسبة انتشار الأجسام المضادة IgG للحصبة الألمانية بلغت 81 حالة (90.0%)، بينما بلغت نسبة انتشار الأجسام المضادة IgM للحصبة الألمانية 4 حالات (4.4%). لم تُلاحظ أي علاقة ذات دلالة إحصائية بين وجود الأجسام المضادة للحصبة الألمانية وأيّ من الخصائص الاجتماعية والديموغرافية (P>0.05).

الخلاصة: على الرغم من ارتفاع معدل الحماية (الأجسام المضادة IgG للحصبة الألمانية)، إلا أن حالات الإجهاض والإعاقات كانت مرتفعة، مما قد يشير إلى عدم فعالية اللقاح، ولكن هناك عوامل وأسباب أخرى ساهمت في حدوث الإجهاض والإعاقات لدى المواليد الجدد.